الأصوات العربية

بين اللغويين والقراء



علاء الخضري

الدكتور
محمود زين العابدين محمد

دار الفجر الإسلامية
المدينة المنورة

الأصوات العربية
بين اللغويين والقراء

الدكتور
محمود زين العابدين محمد
كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر
فرع المنوفية

الطبعة الأولى
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م

دار الفجر الإسلامية
المدينة المنورة

ح مكتبة دار الفجر الإسلامية ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

محمد، محمود زين العابدين

الأصـوات العربيـة بين اللغـويين والقـراء./ محـمـود زين العـابدين محـمـد. المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ. ٢٥١ص؛ ٢٤سم

ردمك ٦-٠-٩٤٧١-٩٩٦٠

١ - اللغة العربية، الأصوات. ٢- القرآن - القراءات والتجويد. أ- العنوان.

ديوى ٤١١,٥ ١٤٢٤/٤٩٠١

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٤١٠١

ردمك: ٦-٠-٩٤٧١-٩٩٦٠

الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

الناشر: دار الفجر الإسلامية للنشر والتوزيع

المدينة المنورة: شارع الستين، مدخل السمانية

عمارة الأوقاف رقم (٤)

هاتف ٨٢٢٠٦١٧ فاكس ٨٢٦٦٧٥٢

ص.ب ٣٨٤٨هاتف ٨٢٢٠٦١٧ فاكس ٨٢٦٦٧٥٢

فرع السلام: طريق السلام النازل، هاتف ٨٦١٠٣٧٥ فاكس ٨٦١٠٤٤٠

Email: daralfaieralislami@hotmail. Com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، سيدنا محمد ﷺ، وآله وصحبه أجمعين. . وبعد، ،

فإن دراسة الأصوات العربية تتطلب مجهودًا كبيرًا وشاقًا؛ لأن العمل فى دراسة هذه الأصوات يتطلب حسًا لغويًا ومعرفة بأصوات اللغة العربية؛ لأن تغير الأصوات يتطلب دائمًا تغيرًا فى المعنى، إلا فى حالات نادرة من الإبدال.

لذلك كانت دراسة الأصوات تتطلب معرفة مخارج هذه الأصوات من حلقية وجوفية ولسانية وشفوية، كذلك تتطلب أيضًا معرفة ما لكل صوت من صفات، وخاصة إذا كانت هذه الصفات هى الفارقة بين الصوت والآخر.

فالصوت حين يتحد مع الآخر فى المخرج، يفرق بينه على أساس صفاته، وحين يتحد معه فى الصفات يفرق بينه على أساس المخرج.

فالفرق بين الصك، والمك، والبك، يتطلب معرفة بأصوات اللغة، وما لكل صوت من صفات، وحيز ذلك الصوت فى مخرجه.

كذلك يتطلب معرفة ما لكل صوت من صفات، حتى يمكن التفريق بين المعانى، كما فى نفع، نفد، نفخ، نفل، نفذ.

وقد كانت النظرة فى هذا البحث إلى ما قاله علماء اللغة قدامى ومحدثين فى هذه الأصوات، وما ذكره علماء الأداء - القراءات القرآنية - فى هذه الأصوات؛ لأنى رأيت أن وصف علماء الأداء يضيف ثقة وثباتا لما قاله علماء اللغة.

وقد اقتضى ذلك أن ننظر فيما ذكره علماء اللغة المحدثون واختلافهم مع علماء اللغة القدامى، وخاصة فى المخارج والصفات.

واقتضى ذلك - تتميمًا للفائدة - أن نذكر النبر والتنغيم وأثر تجاوز الأصوات وما يحدث للصوت حين يجاور صوتًا آخر يختلف معه فى الصفات.

ورأيت أساتذتنا الأجلاء يتبعون ذلك ببعض أبواب التجويد مثل المد والقصر، لذلك نحوت فى التجويد ناحية أخرى، فذكرت الوقف، سواء أكان تاما أم كان حسنًا، أم كان كافيًا أم كان قبيحًا.

ولم أقف مع كل وقف منها على حدة، وإنما ذكرت الوقف معرفًا به ومبينا متى يكون ومتى لا يكون.

وقدمت للبحث بتمهيد، ذكرت فيه تعريف علم الصوتيات، ونشأة التفكير الصوتى عند العرب وعند الهنود وعند الغربيين، وبينت فيه أهداف الدراسة الصوتية.

ثم تلا ذلك **الباب الأول**.. وذكرت فيه الصوت الطبيعى والصوت اللغوى والفرق بينهما، ثم الأسس التى تقوم عليها دراسة الصوت، ثم تعرضت للجهاز الصوتى ولأعضائه، شارحًا كل عضو منها ومبينًا وظيفته الأساسية والثانوية.

ثم تلا ذلك **الباب الثانى**، وذكرت فى الفصل الأول منه الفرق بين الصوت والحرف، معرفًا الصوت والحرف واشتقاق كل منهما، ثم ذكرت تقسيم علمائنا للأصوات إلى صوامت وصوائت ورأى المحدثين فى الصوائت، وذكرت أن

الأساس فى ذلك إنما هو لـلعرب، والفضـل فـيه لابن جنى الذى نظر إلى حـركة اللسان مع هذه الأصوات وتطبيق ذلك على صوائت اللغة العربية.

وذكرت فى هـذا الفصل أيضًا مـخارج الأصـوات واخـتلافـات العلمـاء القدامى فى عـدد هذه المخارج من ناحية، واخـتلاف القدماء والمحدثين مـن ناحية أخرى.

ثم جاء الفصل الثانى وذكرت فيه صفات الحـروف، متضادة وغير متضادة، وبينت ما ذكره القـدماء والمحدثون فى بعض الصفات ورجحت أقـوال القدماء فى بعض الصفات.

ثم جـاء الفـصـل الثالث، وتـعرضـت فـيه لكل صـوت علـى حدة، وكيـفية مـخرجـه، وما له من صفـات، ثم ذكرت الحـروف التى يقـرأ بها فى القـرآن الكريم مـن الحروف المستـحسـنة، والتى لا يقـرأ بها وهى الحـروف المستقبحة.

وجاء **الباب الثالث**، وفى الفصل الأول منه، ذكرت فيـه المقاطع الصوتية، معرفًا مـعنى المقطع، وأجزاءه، والأساس العضوى لتقـسيم المقطع، وأنواع المقاطع ووقوعها فى اللغـات، ومقاطع اللغة العربـية، والشائع منها فى لغتنا العربية، وما يمكن أن تشتمل عليه الكلمة من مقاطع، وأهمية دراسة المقطع.

ثم ذكرت فى الفـصل الثانى، النبـر ووظيفتـه فى اللغات، وتعـرضت لنبر الكلمة ونبر الجملة، ومواضع النبر فى الكلمة العربية وانتقال النبر.

ثم جاء الفصل الثالث فـذكرت فيه التنغيم، معرفًـا إياه ذاكرًا صور التنغيم، ثم ذكرت التنغيم فى الكلمة والتنغيم فى العبارة.

وذكرت فى الفـصل الرابع من هذا البـاب أثر تجاوز الأصوات مـتمـثلا فى المماثلة، سـواء أكانت تقدميـة أم كانت رجعـية، وألوان هذا التأثر من تغيـير فى المخرج أو الصفة أو فيهما معا.

ثم تلوت ذلك بباب التـجويد وتعرضت فـيه لتعـريفه وموضـوعه، وبينت الوقف ومـعناه فى اللغـة والاصطلاح، وأقســام الوقف، ثم ذكـرت الوقف على الحروف مثل كلا، بلى، نعم، والابتداء بهمزة الوصل.

ومعـتمـدى فى ذلك - بعد الله تعـالى - على ما ذكـره علماؤنا الـقدامى والمحدثون، وإن كانت هناك وجـهة نظر عبرت عنها فهى من خـلال كلام القدماء والمحدثين الذين أخذت عنهم أو قرأت لهم.

وبعد. . . فإن الـكمال لله وحده، والخلل إنما يكون من البشـر، وكل عمل بشرى لا يخلو من نقص.

فأدعو الله أن يغـفر ذلتى ويقبل توبتى، وأن يتقبل هـذا العمل منى ويجعله فى ميزان حسناتى، إنه نعم المجيب وهو حسبى ونعم الوكيل.

دكتور/ محمود زين العابدين محمد عبد المطلب

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالمنوفية

تمهيد

الوحدة الكبرى لأى مجموعة كلامية هى الجملة، مثل قولنا: محمد فى البيت. وهذه الجملة تتركب من وحدات أصغر، هى: محمد، فى، البيت، كما تتركب الكلمات أو الوحدات الصغيرة فى الجملة من وحدات أصغر، هى ما يطلق عليها اسم الأصوات، مثل ما نراه فى كلمة «محمد» المكونة من صوت الميم المضمومة، ثم الحاء المفتوحة، ثم الميم المشددة المفتوحة، ثم صوت الدال على الترتيب، هذه الوحدات المكونة لهذه الكلمة هى موضوع علم الأصوات.

وإذا أردنا أن نعرِّف هذا العلم، فهو: العلم الذى يدرس الأصوات اللغوية من ناحية وصف مخارجها وكيفية حدوثها وصفاتها المختلفة التى يتميز بها صوت عن آخر، كما يدرس القوانين التى تخضع لها هذه الأصوات فى تأثرها بعضها ببعض عند تركيبها فى الكلمات[1].

موضوع علم الصوتيات:

يظهر أن علم الصوتيات يتخذ من اللغة المنطوقة موضوعًا له «الكلام» ومادة لأبحاثه، فعلم الصوتيات لا يعني بغير الصوت الإنسانى من ناحية إنتاجه وانتقاله وإدراكه وصفاته وخصائصه ووظائفه، مستخدمًا المناهج العديدة فى الكشف عن ذلك[2].

(١) المدخل إلى علم اللغة، أ.د. رمضان عبد التواب، ص١٣.
(٢) علم الصوتيات، أ.د. علام، ص١٧، ٢١.

نشأة التفكير الصوتى:

يبدو أن التـفكير الصوتى بدأ منذ زمن بعـيد، وأنه صحب مراحل التـفكير الأولى فى اللغة، ولا نستطيع أن نقـول بوجود تفكير صوتى قديمًا إلا فيـما حفظه التاريخ مدونا فى تراث أمتين عظيمتين همـا الهنود والعرب. يقول برجشتراسر عن علم الصوتيـات: «لم يسبق الأوربيين فى هذا العلم إلا قومـان؛ العرب والهنود». ويقول فيرث: «لقـد شب علم الأصوات ونما فى أحضان لغتين مقـدستين: العربية والسنسكريتية»[1]؛ ولذلك فإننا سنحـاول إلقاء الضوء على نشأة التفـكير الصوتى عند الهنود وعند العرب وعند اليونان.

١- التفكير الصوتى عند الهنود:

يعد الهنود من أقـدم الشعوب التى عنيت بالتفكيـر اللغوى عامة، والتـفكير الصوتى خاصة، ويظهـر ذلك فيما سجله علماء الهنود عن لغـتهم، مدفوعين فى ذلك بالرغبة فـى تلاوة كتابهم المقدس «الفيـدا» تلاوة سليمة. وقد تركـزت جهود علماء الهنود على تفسير وشـرح النصوص المكتوبة باللغة الهندية القديمة، وتوجت هذه الجهود بكتاب «بانيـنى» والذى احتوى على ٤٠٠٠ قاعدة تشمل وصفـا دقيقا للغة الهندية القديمة من حيث بناؤها الصوتى والصرفى والنحوى.

ويرجع تاريخ هذا العمل إلى القرن الرابع قـبل الميلاد، ولكن «بانينى» أشار إلى أعمال سبقت، ولكنها بادت، ومن ثم لا يمكننا التـعرف على طبيعتها، ولكن يؤكد أن الدرس الصوتى قد تقدم على هذه الفترة[2].

٢- التفكير الصوتى عند العرب:

نشـأ التفكيـر الصوتى عند العـرب فى بدايته جـزءًا من أجزاء النحـو بمعناه العام، ثم اسـتعاره أهل الأداء، وزادوا فـيه تفصـيلات كثـيرة مأخـوذة من القرآن

(١) علم الصوتيات، ص٥٩، ٦٠.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١١، ١٢.

الكريم[1]، ولقد بدأت هذه الدراسات الصوتية فى اللغة العربية بمحاولة أبى الأسود الدؤلى (ت٦٩هـ)، وضع رموز صوتية للحركات فى القرآن الكريم[2]، وكانت الأسباب التى دعت إلى ذلك، الخطأ فى قراءة القرآن الكريم، وفساد السليقة وشيوع اللحن، وذلك لعدم وجود رموز دالة على الحركات، فكان وضع رموز لهذه الحركات، بمثابة المفتاح الأول لعلم الدرس الصوتى، من الناحية الإنتاجية الشكلية، ولم تدخل هذه الدراسة مرحلة النضج إلا فى القرن الثانى الهجرى على يد الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٧٠هـ) الذى عنى كثيرا بدراسة الأصوات وموسيقى اللغة، وساعده على ذلك سمعه المرهف الحساس على التفوق فى هذه الناحية، فألف فى الشعر، واستخرج بحوره وألف فى الإيقاع والنغم[3] ثم وضع كتابه العين مرتبًا على مخارج الأصوات.

رأى الخليل بن أحمد أن الترتيب المألوف لحروف العربية: (أ - ب - ت - ث - ج - ح)، إنما استمده النساخ من الترتيب السامى القديم الذى اشتهر عند الأمم القديمة كالفينيقيين، وأن النساخ وضعوا الرموز المتشابهة الصورة بعضها بجوار بعض، ومن هنا جاء الترتيب الهجائى المألوف لنا، ورأى الخليل أن ذلك الترتيب ليس قائمًا على أساس علمى، فآثر أن يختار ترتيبًا آخر، فاختار ترتيبًا أساسه مخارج الأصوات، فرتب معجمه «العين» على ذلك، فبدأ بأصوات الحلق وجعلها أقساما ثم أقصى الفم ثم أوسط الفم ثم أدنى الفم ثم الشفتين[4]. فجاء ترتيبه للأصوات العربية على النحو التالى: ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ى ء[5].

---

(١) التصور النحوى، براجشتراسر، ص٥.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٢.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، أ.د. رمضان عبد التواب، ص١٤.

(٤) المدخل إلى علم اللغة، ص١٩.

(٥) العين للخليل بن أحمد، ١/٤٣.

والذى دعا الخليل إلى هذا الترتيب، يظهر فيما ذكره ابن كيسان أنه قال: سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: «لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها. فنزلت إلى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن فى التأليف»[1].

وكان الخليل بن أحمد أسبق من ذاق الحروف ليتعرف مخارجها. يقول عنه تلميذه الليث بن المظفر: «وإنما كان ذواقه إياه، أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو أ ب، أ ت، أ ج، فوجد العين أدخل الحروف فى الحلق فجعلها أول الكتاب»[2].

ومعنى هذا، أن النطق بالصوت ساكنًا، يجعله لا يختلط بغيره، ولا يلتبس على الناطق معرفة كيفية صدوره ومخرجه الدقيق، وهى طريقة رائدها الخليل بن أحمد، وتقرب مما يدعو إليه المحدثون من علماء الأصوات[3].

لقد اعتمد الخليل فى وصفه للأصوات من حيث مخارجها على ما كان يحسه بنفسه أثناء صدور الصوت، دون أن يكون لديه شىء من الإمكانات الحديثة ومن دون معرفة بنظريات علم التشريح.

ومع ذلك فقد أيد علم الأصوات الحديث كثيراً مما ذهب إليه الخليل[4]، ومن أشهر التلاميذ الذين ورثوا الخليل فى فكره وعلمه من بعده تلميذه النابه سيبويه (ت ١٨٠هـ) الذى أفاد من أستاذه خير إفادة، فحفظ معارفه وعمقها وأضاف إليها ما عَنَّ له، وأودع ذلك كله فى كتابه الذى ألفه باسم «الكتاب»، وقد

---

(١) المزهر للسيوطى، ١/ ٩٠.

(٢) العين للخليل بن أحمد، ١/٥٣.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، ١/١٦.

(٤) الأصوات اللغوية، د. أنيس، ص١٠٦، مقدمة فى أصوات اللغة، ص١٤.

وصف فيه الأصوات العربية وصفا تفصيليا وتحدث عن صفاتها، ثم درس ظاهرة الإدغام دراسة واسعة، وأبدى ملاحظات جيدة تتعلق بالحركات وبكمها الزمنى[1].

وقد درس المستشرق الألمانى «شادة» الأصوات عند سيبويه فى رسالته التى أعدها للدكتوراه بعنوان «علم الأصوات عند سيبويه» وتضمنت هذه الرسالة: معارف سيبويه ومنهجه فى الدراسات الصوتية، وطبعت هذه الرسالة سنة ١٩١١م[2].

ثم جاء القرن الرابع فشهد تقدما كبيرا فى الدراسات الصوتية، وذلك على يد عبقرى اللغة أبى الفتح عثمان بن جنى (٣٩٢هـ) الذى أخذت الدراسة الصوتية تستقل بما كتبه هذا الإمام فى كتابه «سر صناعة الإعراب» من بحوث صوتية، ولم يكتف فى هذا الكتاب بجمع آراء من سبقه، وإنما كانت له فى هذا الكتاب وفى غيره إضافات وتوضيحات وشروح، جعلته المصدر الوافى لمن يريد معرفة التفكير الصوتى عند العرب، كما أشار إلى ذلك هنرى فليش[3].

وقد تلخصت المباحث الصوتية التى عرض لها ابن جنى فى سر الصناعة فيما يلى:

١- عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها.

٢- وصف مخارج الأصوات وصفًا تشريحيًا دقيقًا.

٣- حديثه عن الصوت والحرف والفرق بينهما واشتقاق كل منهما.

٤- بيان الصفات العامة وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.

٥- ما يعرض للصوت فى بنية الكلمة من تغيير يؤدى إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٦٦.

(٢) السابق، هامش رقم (٣).

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة، أ.د. البركاوى، ص١٤.

٦- نظرية الفصاحة فى اللفظ المفرد، وأنها راجعة إلى تـأليف الكلمة من أصوات متباعدة المخارج[١].

وكانت لابن جنى لمحات وإشراقات رائعة سبق بها البحث الصوتى الحديث، فقد استعمل مصطلح «علم الأصوات» للدلالة على دراسة الصوت والبحث فى مشكلاته، كما أشار إلى العلاقة بين علم الأصوات وعلم الموسيقى وشبه جهاز النطق بالناى، وأعضاءه بأصابع العازف على فتحاته.

كما أدرك ابن جنى الفرق بين الفونيم - أى الوحدة الصوتية - والفون - أى الصورة الصوتية - وسمى الأولى بالحروف الأصول وتشمل الأصوات العربية التسعة والعشرين، وسمى النوع الآخر بالحروف الفروع وقسمها إلى قسمين، حسنة يؤخذ بها فى القرآن الكريم وفصيح الكلام، وغير مستحسنة، لا يؤخذ بها فى القرآن الكريم ولا فصيح الكلام[٢].

وفى القرن الخامس الهجرى تقدم البحث الصوتى إلى الأمام على يد العالم الفيلسوف اللغوى ابن سينا (٤٢٨هـ) فى كتابه «أسباب حدوث الحروف» الذى تناول فيه الصوت الإنسانى كظاهرة طبيعية - أى من الناحية الفيزيائية، وذلك بوصفه الصوت بالثقل، والحدة، والأملس والمتخلخل، كما اهتم بالناحية الفسيولوچية وخاصة ما يتعلق من ذلك بتشريح الحنجرة واللسان فى الفصل الثالث من كتابه المذكور.

ولم يقتصر ابن سينا على وصف الأصوات العربية، وإنما أضاف إليها وصف ما سمعه من أصوات غير عربية، ذكر منها الفارسية فى الفصل الخامس من كتابه وقارن بينها وبين الأصوات العربية، وبذلك كان جديراً بأن يكون المؤسس الأول لعلم الأصوات العام والمقارن[٣].

---

(١) ينظر علم الصوتيات، ص٦٨، مقدمة فى علم أصوات اللغة، ص١٥.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٥.

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٥.

٣- التفكير الصوتى عند الغربيين:

مما لا شك فيه أن العرب والهنود قد سبقوا الغربيين فى مجال الدرس الصوتى كما أشار إلى ذلك براجشتراسر فى كتابه «التطور النحوى» ومعنى ذلك أن البحث الصوتى عند هاتين الأمتين كان قد بلغ درجة من النضج لم يصل إليها الغربيون إلا فى العصر الحديث.

وأول شىء وجد فى هذه الدراسة، دراسة الفيلسوف اليونانى أرسطوطاليس (٣٢٢ ق م) حيث تناول الأصوات اللغوية، وذكر أن العناصر الصوتية المكتسبة من تحليل كلمة ما لابد وأن تكون إما أصواتًا ذات دوى «مجهورة» لا دخل للسان فيها، وكان يقصد بذلك الحركات، وإما أصواتًا لا جرس لها إلا بمساعدة اللسان مثل السين والراء، أى أصوات قد يكون فيها المجهور وغير المجهور، وإما أصواتًا لا يمكن النطق بها إلا بمساعدة الحركات مثل الجيم والدال أى الأصوات الشديدة(١).

كما قسم الأصوات باعتبار مخارجها، وباعتبار قوة الهواء المصاحب لها، وفى القرن الثانى قبل الميلاد ظهر أول كتاب عن القواعد فى أوربا وهو كتاب «تراكس» متضمنا بعض المعلومات الصوتية القيمة.. مثل تقسيم الحركات إلى طويلة وقصيرة، كما تحدث عن أشباه الحركات، وهما الواو والياء (إذا لم تكونا حرفى مد).

وفيما يتعلق بالصوامت فقد قسمها «تراكس» إلى احتكاكية «رخوة» وغير احتكاكية «شديدة»(٢).

ولم يزد ما كتبه الرومان عما كتبه الإغريق شيئًا ذا بال؛ لأنهم تلامذتهم؛ ولذلك كانت معارفهم الصوتية بمثابة ترديد لمعارف اليونان.

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٨.

(٢) السابق، ص١٩.

وفى العصــور الوسطى: كان البــحث فى الأصوات يشكل جـزءًا من أجزاء النحو بمعناه العام، والذى كان يعنى علم الكتابة والقراءة الصحيحين، وكانت غايته الكشف عن تكوين المقــاطع الصوتيــة من الحروف وتكوين الكلمــات من المقاطع، وتكوين الجمل من الكلمات والنطق بطريقة صحيحة[1].

وتتمثل أهم الإضــافات إلى البحث الصوتى فى أوربا فى الـعصور الوسطى فيما كتبه عالم لغوى أيسلندى غير معروف، فقد قسم الأصوات إلى قسمين:

أحدهــما: مــا يترتب على اخــتــلافه اخــتــلاف المعنى، وهو مــا نعــبر عنه اليــوم بالوحدات الصوتية التى تؤثر فى اختلاف المعنى.

الثانى: مــا لا يترتب عليــه اخــتــلاف المعنى، وهو مــا نعبـر عنه اليوم بالصــورة الصوتية، وذلك مثل التفخيم والترقيق والإمالة[2].

وتحدث هذا العــالم أيضًا عن الزمن الذى يستــغرق نطق الحروف الصامــتة، وميز بين الحروف ذوات الطول البسيط والمضعف.

وهكذا كانت جهود هذا العالم علامة بارزة فــى تقدم البحث الصوتى بشقيه الوظيفى والنطقى[3].

وفى القرن الســابع عشــر تقدم البحث الصــوتى على يد «والس» (١٦٥٣م) والذى تحدث عن نطق الأصــوات بدقة كبــيرة وقارن بين الأصوات الإنجليــزية وما يناظرها فى العبرية واليونانية.

وكــذلك على يد «هولدر» (١٦٦٩م)، الذى وصف أعــضاء الــنطق وصفــا دقيــقا، ومــيز بين الأصــوات المجهــورة والمهمــوسة ووصف نطق الهــمزة وصــفا دقيقا[4].

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٨.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص١٩.

(٣) السابق، ص١٩.

(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص٢٠.

وفى القرن الثامن عشر ظهر مثلث «هلفاج» (١٧٨١م) للحركات الأساسية فى اللغة الألمانية وعلاقتها ببعضها البعض.

وتقدم كذلك بما كتب «كمبلن» عن آلية الكلام الإنسانى إلى جانب وصفه للآلة الناطقة التى اخترعها، وعن الدراسة التى هدته إلى ذلك، وقد احتوى كتابه هذا معلومات دقيقة عن الأصوات المركبة التى تأتى فى أواخر الكلمات أو أوائلها فى كل اللغات الأوربية[١].

وفى القرن التاسع عشر سادت البحوث اللغوية بصفة عامة المناهج التاريخية والمقارنة، ومن ثم فإن الجانب الصوتى للغة ما أو لمجموعة من اللغات تنتمى إلى فصيلة واحدة، قد حظى بأكبر قدر من الاهتمام، وكانت القوانين الصوتية التى توصل إليها «بوب»، و«راسك»، و «جريم» من أهم إنجازات هذا العصر[٢].

وفى القرن العشرين زاد اهتمام اللغويين الغربيين وغيرهم بالدراسات الصوتية، فتشعبت فروعها واختلفت مناهجها وزادت استفادتها بالنتائج التى قدمتها العلوم الأخرى، مثل الطب والهندسة - هندسة الاتصالات - فأفاد الأطباء من جهود الصوتيين فى حالات علاج الصم والبكم، وأفاد المهندسون من حقائق علم الأصوات فى كثير من المخترعات الحديثة الخاصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية[٣].

أهداف الدراسة الصوتية:

كل دراسة يتغيا دارسوها من وراء دراستهم لها هدفًا يسعون إلى تحقيقه وهذا هو الشأن فى كل دراسة.

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص٢١.

(٢) علم الصوتيات، ص٢٧١، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص٢١.

(٣) علم اللغة أسسه ومناهجه، أ.د. ربيع، أ.د. البركاوى، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، ص٢٢.

وهذه الأهداف تتلخص فيما يلي:

أولا: حفظ النطق الصحيح والأداء الفصيح للكلام العربى بعامة وفى قراءة القرآن الكريم خاصة[1]، إذ النطق الصحيح يساعد على فهم المعنى من أقرب طريق، كذلك من حق المتكلم أن ينظم كلامه بما يقتضيه حال السامع إسهاما فى صدق التعبير وكماله؛ لأن النطق السقيم يهدد وظيفة الكلام ويهضم حق السامع؛ ولذلك كان من دعاء سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم - ربه حيث قال: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه]، فرتب فقه الناسِ قولَه على حل عقدة لسانه.

ثانيا: دراسة أصوات اللغة وتحقيق مخارجها، فمخارجها وصفاتها مفردة ومنتظمة، تمكننا من رصد التطور الصوتى الذى تتعرض له اللغة، وتقنين هذا التطور وضبط اتجاهاته، وذلك بالمقارنة بين النطق القديم والنطق الحديث وملاحظة ما بينهما من فروق، ومعرفة كيف تم هذا التطور، وفى ضوء ذلك يمكننا معالجة المطالب اللغوية الآتية:

(أ) كشف ما وقع من تطور لأصوات اللغة قديما فيما تظهره النقوش عن أقدم صورة للغة العربية، وحديثا فيما حدث لأصوات مثل القاف والطاء والضاد والجيم وكذلك أصوات الظاء والذال والثاء.

(ب) بمعرفة اتجاهات هذا التطور وقوانينه، نستطيع أن نحول دون تشويه أصوات اللغة أو إبهام معالمها، مثل ما حدث لمعظم الأصوات من تبدل يؤدى إلى التباس المواد اللغوية[2].

(جـ) دراسة التطور الصوتى وكشف قوانينه، تمكننا من كشف الصلة بين لهجات اللغة العربية وفروعها، فبها تكشف العلاقة الصوتية بين الفصحى والعامية،

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٨.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص١٥ بتصرف.

وبها يمكن الكشف عن الصلة بين اللهجات العربية المختلفة من نجدية وحجازية ويمنية، وبها يمكن الكشف عن الصلة بين اللغة العربية وأخواتها السامية كالفينيقية والآرامية والعراقية.

(د) تفيد دراسة الأصوات وتطورها فى معرفة الصلة بين اللغة العربية واللغات غير السامية[(١)].

ثالثا: تحقق الدراسة الصوتية كشف أسس كثيرة من الظواهر اللغوية فى مختلف مجالات الدراسة اللغوية[(٢)].

(أ) ففى متن اللغة، فسرت دراسة الأصوات كثيراً من الظواهر مثل:

١- ظاهرة الإبدال اللغوى المبنى على التقارب، كما فى هتن - هتل والرجبة الرجمة - لما تدعم به النخلة، والغيم والغين، وهى ظاهرة ألفت فيها الكتب - مثل كتاب «القلب والإبدال لابن السكيت» وكذلك تفسر ظاهرة الإبدال للتخفيف كما فى (تقصيت وتفضيت).

٢- تفسر أيضًا سر إهمال بعض الأبنية، كالمواد التى آخرها ثاء وأولها ذال أو سين أو ظاء.

٣- وتفسر كذلك الألفاظ المعربة لعدم اتفاقها ونسق التأليف العربى للأصوات.

٤- كما تقدم أسس الترتيب المعجمى الصوتى.

(ب) وفى فقه اللغة - تفسِّر كل من الظواهر التالية:

١- ظاهرة التصاقب: كالأسف والعسف، والأز والهز، وهى ظاهرة مطردة فى اللغة لا يسوغ الجهل بها.

٢- كما تفسر بعض صور الاشتقاق ونظريات نشأة اللغة.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٢٧.

(٢) السابق، ص٢٨.

(جـ) وفى الصرف تفسر دراسة الأصوات السر فى ثقل بعض الأبنية كصيغ: فِعُل وفُعِل، كما تفسر ظواهر القلب والإبدال والإعلال الصرفى والإدغام وحالات التقاء الساكنين.

(د) وفى النحو تفسر دراسة الأصوات علامات الإعراب وتجانسها وإسكان آخر الفعل المسند للضمائر المتحركة والاستغناء عن الأدوات بالنبر والتنغيم.

رابعًا: تفيد دراسة الأصوات فى تحقيق الصلة بين أصوات اللغة ومعانيها على مستوى الصوت الأبجدى، وهذه الصلة وإن كان بعض الباحثين أنكرها، لكنها اليوم تثبت بما لا يدع مجالا للشك فيها[1]، ومنحت الجامعة فيها أربع رسائل للماچستير والدكتوراه؛ وكلها تؤيد بالاستقراء وجود الصلة بين الصوت والمعنى، سواء فى مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، كما فى قضم - خضم، وقسم وقصم، أم كانت فى سوق الحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، كما فى شد، وبك، ومك فى الثنائى، وكذلك فى بحث، صعق، نفخ، وما شاكل ذلك فى الثلاثى.

خامسًا: للدراسة الصوتية أثر كبير يمكن استخدامه فى وضع أبجديات دقيقة للغات التى ليس لها كتابات حتى الآن، كما هو الحال فى الصينية، كما أن اللغة يصيبها -بمرور الزمن- التغير والتطور، وعلى حين تبقى الأبجديات على صورتها، ومن هنا يظهر فيها نوع من القصور، ويتمثل هذى القصور فى أمرين[2]:

١- عدم قدرة الأبجدية على تمثيل النطق تمثيلا صادقًا بسبب التطور الذى يلحقها، ومن ذلك الحرف القصى الانفجارى المهموس (K) حيث يصور مرة (K) ومرة (C) وثالثة (Q) ورابعة (Ch)[3].

---

(١) ينظر فى ذلك رسالة دكتوراه بعنوان «سوق الأصوات على سمت المعنى» فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، وانظر أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٢١.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥.

(٣) علم اللغة العام، الأصوات، أ.د. بشر، ص٢٣٥.

ومثله فى العربية كـتابة الفتحة الطويلة مرة برمز الياء فى مـثل «رمى»، فطبيعة الصوت تـقتضى كـتابتـه بالألف «رما»، ومن ذلك الأصـوات التى تنطق ولا تكتب كالألف بعد الهاء فى اسم الإشارة «هذا».

٢- توجد رموز أبجدية فى اللغات ليس لهـا مقابل صوتى، وذلك مثل حرف (I) فى الكلمة (talk).

وفى العربيـة لا يوجد مقـابل صوتى للألف بعد واو الجـماعة فى مثل قـضوا وكذلك الواو فى مثل (عمرو)(١).

سادسًا: تفيد دراسة الأصوات فى تـعلم اللغة وتدريسها، إذ يجب أن تنطق أصواتها نطقًا سليـمًا، حتى تنقل إلى الأجيال التى تتعلم اللغة نقـلا سليما، إذ قد يكون منهم المهندس والطبـيب والفيلـسوف وغيـرهـم من المهن التى يحـتاج إليـها المجتمع، وحين ينطق هؤلاء الأصوات نطقًا سليمًا تؤخذ عنهم وتشيع.

سابعًا: هى مهمة أيضًا لوسائل الإعلام من صحافة وأجهزة إعلام مسموعة أو مرئيـة؛ لأن العاملين فيهـا ذوو تأثير بالغ وواسع المدى فى المجتـمع سواء على المستوى الثقافى والشعبى، والجماهير تتلقف الأصوات منهم ثم تقلدها.

ثامنًا: مهمة لتعليم الصم والبـكم: سواء ولدوا كذلك أم أصيب أحدهم فى وقت متأخر، فبالاعتماد على الـدراسة الصوتية يمكن تعليمهم طرائق خاصة بنطق الأصوات حـتى يفهموا تعـبيرات المتكلمين، وكذلـك تدريبهم على الإدراك بالنظر إلى الشفتين(٢).

تاسـعًا: دراسة الأصـوات مهمـة أيضًا لعـلاج عيوب النطـق، حتى يصل الإنسان إلى نطق سليم، سواء أكان ذلك العيب ناتجًا عن مرض فى الجهاز العصبى

---

(١) أصوات اللغة العربيـة، أ.د. هلال، ص١٦، الأصوات، أ.د. بشر، ص٢٣٦، علم اللغة، د. السحران، ص١٣٥، أصوات اللغة، د. أيوب، ص٢٤٠.

(٢) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار، ص٣٥٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٠.

للإنسان، أو كان نقصًا فى السـمع، ويدخل فى ذلك أيضًا إصلاح عيوب النطق، كالخلل فى سقف الحنك أو الحنجرة[1].

(1) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢١.

الجزء الأول

الأصوات

الباب الأول
الصوت الطبيعى والصوت اللغوى

الصوت الذى يسمعه الإنسان ينقسم إلى قسمين: عام وخاص.

فالصوت العام: هو الصوت الطبيعى.

والصوت الخاص: هو الصوت اللغوى.

أولا: الصوت الطبيعى:

يعرف الصوت الطبيعى بأنه: الأثر السمعى الذى ينشأ من اتصال جسم بآخر، أو هو الحدث الذى يختص السامع بإدراكه، وينشأ من التقاء جرمين أحدهما بالآخر[1]، واتصال الأجسام الذى ينشأ عنه الصوت له صور متعددة:

١- فهو ينشأ من التقاء جسمين التقاء ما، سواء كان على جهة الاصطدام كما يسمع فى الضرب باليد على الشىء أو اصطدام سيارة بأخرى، أو كان الاتصال على جهة الاحتكاك، كاحتكاك الأقدام بالأرض.

٢- كما ينشأ الصوت أيضًا من تفريق الأجسام بعضها عن بعض كتمزيق قطعة قماش أو نشر قطعة من الخشب.

٣- كذلك ينشأ الصوت من التفاعلات الكيماوية كتفجير القنابل وطلقات المدافع.

٤- وينشأ من التأثيرات الكهربائية كالرعد[2].

وذكر ابن سينا أن الصوت سببه: «تموج الهواء أو دفعه بسرعة وبقوة من أى سبب كان»، ثم ذكر أن الصوت يحدث من القرع، وذلك «حين تقريب جرم ما إلى جرم آخر مقاوم له لمزاحمته، تقريبًا تتبعه مماسة عنيفة لسرعة حركة التقريب وقوتها»[3]، وهو ما يسمى عندنا بالاصطدام، ومعنى ذلك الطرق الذى ذكرته قواميس اللغة، قال فى اللسان «قرع الشىء يقرعه قرعًا: ضربه»[4].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥، أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٣٣.

(٢) أصوات اللغة العربية أ.د. هلال، ص٢٧.

(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٥٦، ٥٧.

(٤) انظر اللسان، ق ر ع.

كمـا يحدث الصوت أيضًـا من القلع، وقد ذكره ابن سـينا حين قال: «هو تبعيد جرم ما عن آخر مماس له منطبق أحدهمـا على الآخر تبعيدًا ينقلع عن مماسته انقلاعا عنيفًا لسرعة التبعيد، وهذا يتبعه صوت»(١).

ويقـابل القلع عنـدنا الاحـتكاك وتفـريق الأجـسـام بعـضـهـا عن بعض، والأصوات التى تحـدث عن التقاء الأجسام، ليـست على درجة واحدة، فمـنها ما ترتاح له الأذن، ويمثلها صوت العود والكـمان والناى، ومنها ما لا ترتاح الأذن له كـالرعـد ودوى القنابل والمدافع(٢)، ومن ذلك ندرك إحـساس علـمائنا القـدامى بخواص الصوت وعوامل نشأته.

ثانياً: الصوت اللغوى:

هو الصوت الصـادر من جهـاز النطق الإنسانى، والفرق بـينه وبين الصوت الطبيعى أن:

الصوت الطبيعى يحدث من أى أثر، بينما يحدث الصوت اللغوى من جهاز النطق الإنسانى، وبذلك يفارق الصوت الطبيعى.

كما أن الصـوت الطبيعى عام، والصوت اللغوى خـاص، وكذلك الصوت الطبيعى متعدد المصادر ولكن الصـوت اللغوى مصدره واحد هو جهاز النطق، وقد حاول الإنسـان منذ القدم أن يعرف مـا حوله فى هذا الكون الفسـيح واتخذ لذلك وسائل عدة كان أهمها الكلام(٣).

وربما كانت تلك الأصـوات التى أصدرها الإنسان فى بدء وجـوده التاريخى كانت تقليدًا للأصوات الطبيعية. ولكن تقليده للأصـوات الطبيعية جاء متأخرًا بعد أن حاول النطق أولا.

---

(١) أسباب حدوث الحروف، ص٥٧.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٨.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٢.

وكان تقليـده للأصوات التى سمعـها عفو الخاطر، ومـا زال يتدرج فى هذا الطريق إلى أن اكتمل نموه اللغوى(١).

ويرجع العامل الأكـبر لرقى هذه اللغـة وبلوغها مـا بلغت إلى ما امـتاز به الإنسان من ذكاء لم يشـاركه فيه غيـره، فكثير من الحيوانات لهـا حناجر لكنها لا تستطيع التعبـير بأصوات متباينة، ولا تستطيع أن تنطق كـما ينطق الإنسان لأنها لم توهب القدرة على ذلك.

وقد سـاعد ذكـاء الإنسان على ترجـمة الأصوات، وأدى كـل هذا فى آخر الأمر إلى تكوين لغته ذات القواعد والأصول(٢).

الأسس التى تقوم عليها دراسة الصوت:

حين نريد دراسة الصوت، فلابد أن نتناولـه من ناحية إنتاجية وكيفـية انتقاله من مصدره ثم وصوله إلى نهايته وسماعه.

وعلى ذلك فللصوت ثلاثة أسس:

أولها: مصدر الصوت:

ومصـدر الصوت الإنسانى فى معظـم الأحيان هو الحنجرة أو بعـبارة أدق: الوتران الصـوتيان فـيها، فـاهتزازات هذين الوتـرين، هى التى تنطلق من الفم أو الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجى(٣).

ثانيها: الوسط الناقل للصوت:

الهـواء هو الوسط الناقل الذى تنتـقل خـلاله الهزات فـى معظم الحـالات فخـلاله تنتقل الهزات من مصـدر الصوت فى شكل موجـات حتى تصل إلى أذن السامع، وسرعة الصوت كما قدرها العلماء حوالى ٣٤٠ متراً فى الثانية.

---

(١) التجويد والأصوات، د. نجا، ص٢١.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٢.

(٣) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٨.

وتتوقف شـدة الصوت أو ارتفـاعه على بعـد الأذن من مصـدر الصوت أو قربها، فعلى قدر قرب الأذن من مصـدر الصوت، يكون الصوت واضحًا شديدًا، كما تتوقف شـدة الصوت على سعة الاهتزازة: وهى المسافـة المحصورة بين الوضع الأصلى للجسم المهـتز وهو فى حالة سكونه، وأقـصى درجة يصل إليهـا الجسم، فعلى قدر اتساع المسافة يكون علو الصوت ووضوحه[1].

وقد تكلم ابن سينا عن عملية انضغـاط الهواء وتخلخله بانتقال الهزات فيه، فذكر أنه لكى يكون الصوت مسمـوعًا فإنه يلزم فى كلا الأمرين - القرع والقلع - شىء واحد، هذا الشىء هو «تموج سريع عنيف فى الهواء» ثم بيَّن كـيفيته فى كل من القرع والقلع فقال:

«أما فـى القرع فـلاضطرار القارع - أى الصـوت - الهواء إلى أن ينضـغط وينغلق من المسافة التى يسلكها القارع إلى جنبتيها بعنف وقوة وشدة وسرعة.

وأما فى القلع فلاضطرار القـالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذى أخلاه المقلوع منهما دفعة بعنف وشدة[2].

ثالثها: وصول الصوت إلى غايته وسماعه:

ذكرنا أن الأصوات تبدأ بالإنتاج من جـهاز النطق، ثم تنتقل إلى الهواء لكى ينقلهـا إلى الأذن، وعندمـا يصل الصوت إلى الأذن يتم الـتعـرف على الذبذبات وإدراك الصوت، لأن الأذن هى الوسيلة الطبيعية لاستقبال الصوت وسماعه[3].

وقد أدرك ابن سينا ذلك فقال: «ثم ذلك الموج يتأدى إلى الراكد فى الصماخ فيموجه فتحس به العصبة المغروسة فى سطحه»[4].

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٦.

(٢) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٥٧.

(٣) علم الصوتيات، ص١٠٧.

(٤) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٥٨.

وبذلك قرر العلماء أن للصوت جوانب ثلاثة:

١- الجانب الإنتاجي: علم الأصوات النطقى.

٢- الجانب الفيزيائى: علم الأصوات الفيزيائى.

٣- الجانب السمعى: علم الأصوات السمعى - أو الإدراكى.

وبعون من الله سبحانه وتعالى نتعرض للجانب الفسيولوچى أو الإنتاجى أو النطقى.. محاولين بذلك النظر فى الأصوات من خلال ما ذكره علماء اللغة وعلماء الأداء - القراءات القرآنية.

بعض المصطلحات الصوتية:

هناك بعض الأمور التى تؤثر فى الصوت وتميزه عن غيره، فلكل صوت خصائصه نطقيا وفيزيائيا، وسماعيا، هذه الأمور هى:

١- شدة الصوت أو علوه:

هى خاصية تميز بها الأذن بين صوت مرتفع وآخر منخفض، ويتبين ذلك من مقدار تأثير الصوت على الأذن.

والأسباب التى تؤثر فى ارتفاع الصوت ما يلى:

(أ) **قوة الصوت من مصدره**: ويعنى بها العلماء أن تكون الاهتزازات واسعة[(١)]، وتأتى سعة الاهتزازة من قوة الصوت، فإذا كان وقع الذبذبات الصوتية على الأذن قويّا كان الصوت شديدًا، وكلما كانت الذبذبات الصوتية ضعيفة كان تأثير الصوت على الأذن ضعيفًا. ويمكن أن نلمس ذلك بطرق شوكة رنانة طرقًا قويّا وطرقها طرقًا ضعيفًا[(٢)].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٧، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٢٨.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٧.

(ب) **قرب السامع أو بعده من مصدر الصوت**: فكلما كان السامع قريبا من مصدر الصوت كان الصوت عاليا، وكلما بعد عنه كان الصوت منخفضًا.

(جـ) **صناديق الرنين التى تلحق مصدر الصوت**.

وذلك كما فى العود والكمان، كما أن الآلات الموسيقية تختلف فى حجم غرف الرنين لذلك نسمع نغمات مختلفة.

وفى جهاز النطق الإنسانى أعضاء تستخدم بمثابة غرف رنين كالقصبة الهوائية والحلق والفم والأنف.

(د) **الوسط الناقل للصوت**: فكلما زادت كثافة الوسط الناقل، كان الصوت قويا مرتفعًا، وذلك كأن يكون الوسط الناقل غاز الأيدروجين وهو أخف من الهواء، فينتقل فيه الصوت بصورة ضعيفة، وقد يكون غازا أثقل، كثانى أكسيد الكربون فيمر الصوت من خلاله بصورة أقوى(1).

٢- درجة الصوت:

وهى خاصية تميز بها الأذن بين الأصوات المختلفة فى ذبذباتها سرعة وعددًا، فدرجة الصوت تتوقف على سرعة الذبذبات وعددها، فإذا كثر عدد الذبذبات وازدادت سرعة، سمى الصوت حادًّا، وإذا قلت الذبذبات عددا وسرعة سمى الصوت غليظًا.

ولنا أن نتصور ذلك إذا قارنا بين مواء القطط وزئير الأسد، فالأول حاد لأنه ينجم عن عدد كبير من الاهتزازات الصادرة عن الوترين الصوتيين عن القطة، والثانى: غليظ لأن عدد ذبذباته أقل من الأول(2).

---

(١) دروس فى الطبيعة، أحمد موسى، ص٣٠، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣١.

(٢) أصوات اللغة العربية، ص٣٩، علم الصوتيات، ص١١٦.

ولوحظ بالتشـريح أن حنجرة الرجل تشتمل على وترين طويلـين وسميكين ومـرتخيين نسـبيـا إذا قورنت بحنجـرة الطفل، فـإن الوترين الصوتيين قـصيـران ومشدودان ورفيعان[1].

وقد قدر أن متـوسط الذبذبات للرجل من ١٠٠ إلى ١٥٠ دورة فى الثانية، وللمرأة ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دورة فى الثانية[2].

٣-نوع الصوت:

خاصية تميز بها الأذن بين الأصوات الناشئة من مصادر مختلفة، وإن اتحدت فى الشدة والدرجة[3]، ويتدخل فى تنويع الصوت عوامل أهمها:

١- موجات المواد المختلفة فى تكوين المصدر.

٢- التردد الناتج عن هذا الاختلاط.

٣- الفراغات الرنانة المحيطة أو الملامسة لمصدر الصوت[4].

وعلى ذلك فيمكن للأذن أن تميز بين صوتين صـادرين من كمان وناى، كما يمكن التمـييز بين صوت الرجل وصوت المرأة، بـل بهذا يمكن التمـييز بين صوتى رجلين يتحـدثان على هيئة واحدة، فـيعرف السامع أن هذا الصـوت لفلان، وهذا لغيره.

ونلاحظ أن لكل جسم رنان نغـمتين، إحداهما تسمى أسـاسية: وهى التى نقيس ترددها، والثانيـة تسمى توافقية: وهى تختلف مـن مصدر لآخر[5]، وعلى التوافقية يتوقف نوع الصوت.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٠، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٨.

(٢) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار عمر، ص٨٢.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٠.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٣٧.

(٥) دروس فى الطبـيعة، د. أحـمد مـوسى، ص٤٨، وانظر أصوات اللـغة العربـية، أ.د. هلال، ص٤٢.

والترددات التى تميز بين الأصـوات تسمى حزما صوتـية، وتظهر فى الرسم الطيفى كشرائط سوداء أفقية[1].

٤- تردد الصوت:

هو عدد الذبذبات التى يصدرها الجسم المهتز فى الثانية الواحدة، والأصوات تختلف فى هذا التردد وتتنوع مـعدلات اهتزازها تبعًا لظروف الجسم المهـتز كمادته وشكله، وكلما كان التـردد عاليا، كانت الذبذبات سريعة وكـان الصوت حادّا فى الأذن، وكلما كان التردد منخفضًا، كانت الذبذبات بطيئة وكان الصوت غليظًا[2].

ويقاس تردد الـصـوت بالنغمـة الأساسيـة، أما التـوافقيـة فيـقاس به نوع الصوت.

٥- الرنين:

وهو تقوية الصوت الصادر من جسم باهتـزاز جسم آخر متأثر بالجسم الأول وهو نوعان:

(أ) **اضطراري**: وهو الذى ينشأ عن الاهتزاز غيـر الإرادى كالجسم المجوف الذى يلحق بالأوتار الموسيقية فى الجهاز الموسيقى كالعود.

(ب) **اختياري**: وهو الذى ينشأ عن الاهتزاز الإرادى كرنين الأعـمدة الهوائية فى المزمار حيث يقوى كل عمود النغمة التى تلائمه.

وفى الجهاز الصوتى الإنسانى أجسام مجوفة، وظيفتها تقوية الصوت وتنويع نغـمتـه كالقـصبـة الهوائيـة، وفراغ الحنجـرة وفراغ الحلق وفـراغ الفم والجيـوب الأنفية[3]، وهى فراغات ينشأ عنها تعديل الصوت وتنويع رنينه.

---

(١) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار، ص٨.

(٢) ينظر فى ذلك أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٩، وعلم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١١٦، أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص١٣٦.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٥٠.

٦- الترشيح:

ويقصد به الطريقـة الخاصة لتعديل نوع الصـوت، فيكون نقيا تارة وعمـيقًا أخرى، وتقوم هذه الطريقة على إضعاف بعض الترددات وتقوية بعضها.

فإذا قويت النغمة الأساسية أصبح الصوت نـقيا، وإذا قويت النغمة التوافقية أصبح الصوت عميقًا[١].

٧- سرعة الصوت:

هى المسافة التى يقطعـها الصوت فى الثانية، ويمكن تحديدها بعـملية رياضية تقوم على ضرب تردد الصـوت - أى عدد ذبذباته فى الثانية - فى طول مـوجته، فإذا علمنا أن صوتا تردده ٥٠٠ ذبذبة فى الثـانية وطول موجته عشـرة أمتار، فإننا نضرب ٥٠٠ × ١٠ = ٥٠٠٠ وهى سرعة الصوت.

الجهاز الصوتى للإنسان:

يشمل الجهاز الصـوتى الإنسانى كل الأعضاء التى لها أثر مبـاشر فى عملية إصدار الصوت، والمعروف أن الأصوات اللغوية تتولد أثناء خروج الهواء فى عملية التنفس (الزفير) ويبدأ ذلك من الرئتين ثم القصبـة الهوائية فالحنجرة حتى يصل إلى الشفتين[٢].

ورغم أن لكل عضو من الأعضاء وظيفتـه الأساسية الخاصة به، فإن له دورًا مهما فى إحداث الصوت، وهى الوظيفـة الثانوية بالنسبة لهذه الأعضاء، ومن هنا ينبغـى على دارس الأصوات أن يكون على دراية وافـية بدور كل عـضو وأثره فى إحداث الصوت، ويتألف الجهاز الصوتى من عدة أعضاء هى:

١- الحجاب الحاجز. ٢- القفص الصدرى.

٣- الرئتان. ٤- القصبة الهوائية.

---

(١) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار، ص١٦، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٣.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٣٩.

٥- الحنجرة. ٦- الحلق.

٧- اللسان. ٨- الحنك الأعلى.

٩- الأسنان. ١٠- الأنف.

١١- الشفتان.

أولا: الحجاب الحاجز:

هو نسيج عضلى مستعرض، له قدرة على الحركة، يفصل بين الجهاز التنفسى والجهاز الهضمى، وحركته رأسية تتجه إلى أعلى وإلى أسفل، لأنه فى حالة الشهيق يتقلص إلى أسفل، أما فى حالة الزفير فيتقلص إلى أعلى(١).

وظيفته فى الكلام: يتجلى ذلك فى الضغط على الرئتين بمساعدة القفص الصدرى، مع اختلاف درجة هذا الضغط باختلاف أجزاء الكلام(٢).

ثانيًا: القفص الصدرى:

ويتكون من اثنى عشر زوجًا من الأضلاع التى تتقوس إلى الأمام والخلف وكلها متصلة بالعمود الفقرى، ومن الأمام بعظمة الصدر فيما عدا الزوجين الأسفلين.

وحركة الأضلاع تتجه عند الشهيق إلى الأمام والجنب معًا، أما عند الزفير فتتجه حركتها إلى الداخل، ضاغطة مع الحجاب الحاجز على الرئتين.

ووظيفته فى الكلام: الضغط على الرئتين ضغطات منتظمة بدرجات مختلفة ينتج عن كل ذلك دفعات هوائية، يقسم الكلام بناء عليها إلى أجزاء صغيرة تعرف بالمقاطع(٣).

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، ص٨٧.

(٢) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٨٧.

(٣) السابق، ص٨٨ بتصرف.

ثالثا: الرئتان:

الرئة جسم مرن قابل للانكماش والانبساط، يتكون من حويصلات هوائية وأنابيب شعرية، وما يعرف بالشعب الشعرية، والرئتان تقعان فى القفص الصدرى من ناحيته اليمنى واليسرى، وتنقبضان وتنبسطان بمعونة الحجاب الحاجز.

ووظيفتها الأساسية عملية التنفس، فتستقبلان الهواء فى حركة الشهيق وتخرجان فى حركة الزفير، ووظيفتها الثانوية: إخراج الهواء الذى يكوِّن الصوت فى عملية الزفير(١).

والهواء الذى يحدث معه الصوت لا يخرج مجردًا مناسبًا، وإنما يعترض طريقه عقبات معينة من أعضاء النطق، بواسطتها يتكون الصوت الكلامى(٢)، وقد أشار ابن سينا إلى ذلك عندما تكلم عن مخرج الهمزة فقال: «إنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير»(٣)، والمعروف أن الرئتين تقومان بحركتهما متأثرتين بعمل الحجاب الحاجز والقفص الصدرى، والرئتان لمرونتهما قادرتان على التكيف لاستقبال الهواء وإخراجه حسب الحالة التى تكون عليها(٤).

ونلمح فى ذلك كله ما يؤيد أن علماءنا قد عرفوا بداية الهواء وأنه يخرج من الرئتين بمساعدة الحجاب الحاجز والقفص الصدرى.

وقد ذكر ابن منظور أن الجوف: ما انطبقت عليه الكتفان والعضدان والأضلاع والصقلان(٥)، وهو وصف لما حول الرئتين، أما البطن فهى غير ذلك.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٦.

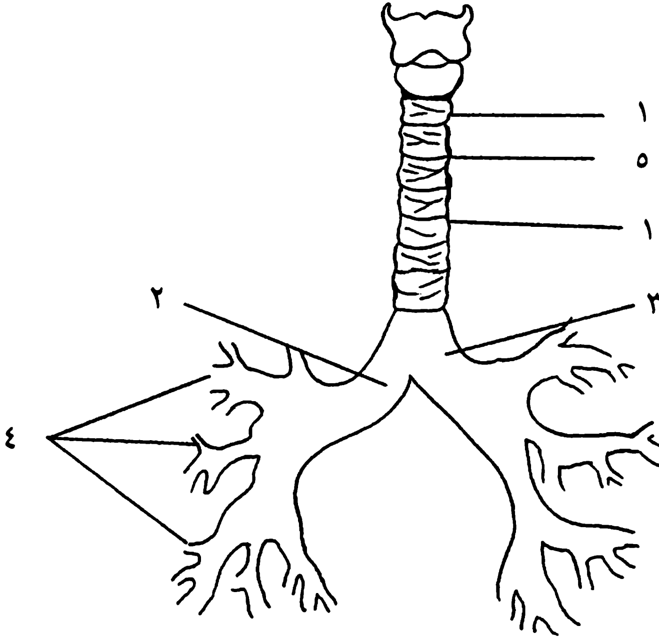
(٢) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٨٩، مقدمة فى أصول اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٤٠.

(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٧٢.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٧.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ج و ف، وانظر: غريب الحديث للهروى ج و ف، نقلا عن أصوات اللغة، د. أيوب وعلم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام.

رابعًا: القصبة الهوائية:



شكل (١)

الحنجرة والقصبة الهوائية

١- غضاريف القصبة الهوائية. ٢- الشعبة اليمنى.

٣- الشعبة اليسرى. ٤- الشعيبات.

٥- النسيج الضام بين حلقات القصبة الهوائية.

والقصبة الهوائية عبارة عن قناة غضروفية تقع فوق الرئتين وتتصل بالحنجرة من أعلى، وهى مكونة من حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف وهى مغطاة من الداخل بغشاء مخاطى، وتتشعب من أسفل إلى شعبتين تتصل كل منهما بإحدى الرئتين، ووظيفتها الأساسية إدخال الهواء خلالها إلى الرئتين ذهابا وإيابا(١).

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٨.

ودورها فى إحداث الصوت أنها توصل الهواء الخارج من الرئتين إلى الحنجرة وما فوقها حيث يحدث بمروره الصوت، ومع ذلك تعتبر غرفة رنين للصوت حين يحدث فى الأعضاء النطقية أو الصوتية العليا(١).

خامسا: الحنجرة:

هى أهم أجزاء النطق، وهى غرفة تكييف أساسية لإبراز الأصوات، ولمرونتها وحركتها من أسفل إلى أعلى وأمام وخلف، ينشأ فيها رنين خاص بالأصوات.

وتقع الحنجرة فوق القصبة الهوائية من أعلى وتتألف من عدة أجزاء.

١- الغضروف الدرقى:

وهو عبارة عن نسيجين غضروفيين مربعى الشكل ويقعان فى الجزء الأمامى من الحنجرة يلتقيان من الأمام فيكونان البروز الحنجرى (تفاحة آدم) ويبدو هذا البروز عند الرجال أكثر منه عند النساء(٢).

وقد ذكر ابن سينا ذلك فقال: «موضوع إلى قدام يناله الجس فى المهازيل عند أعلى العنق تحت الذقن، وشكله شكل القصعة حدبته إلى خارج وإلى قدام، وتقعيره إلى الداخل وإلى الخلف، ويسمى الغضروف الدرقى والترسى»(٣).

٢- الغضروف الحلقى:

وهو غضروف كامل الاستدارة، ولكنه عريض من الخلف ضيق من الأمام، ويتصل بأول حلقة من حلقات القصبة الهوائية، وقاعدته السفلى أفقية، أما ظهره فيكون الحائط الخلفى للحنجرة(٤) وهذا الغضروف قال عنه ابن سينا:

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٣٩.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٤٩.

(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٤.

(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٤١.

«الغضـروف الثانى خلفـه مقابل سطحـه لسطحه متـصل به بالرباطات يمنة ويسرة منفصل عنه إلى فوق، ويسمى عديم الاسم»[1].

٣- الغضروفان الهرميان:

كل منهما يشبه الثانى، وهو عبارة عن هرم أو بروز صغير، ويعدان كوتدين يربط فيهما الوتران الصوتيان، ويرتكز كل منهما على قاعدة الغضروف الحلقى من الخلف ويقع كل منهما فى ناحية منه.

ويتحـرك الغضروفـان الهرمـيان حركـة تشكل نصف دائرة إلى الخلف وإلى جنب، ويستـديران فى اتجاهين أحدهما نحـو الآخر حتى يلتقـيان، ويتسبـبان فى التقاء الوترين الصوتيين بدرجات متنوعة[2].

وقد وصف ابن سـينا هذين الغضـروفين على أنهما غـضروف واحد فـقال: «الغضروف الثالث: كقصعة مكبوبة عليها، وهو منفصل عن الدرقى، مربوط بالذى لا اسم له (يريد الحلقى) من خلف بمفـصل مضاعف يحدث من زائدتين تصـعدان من الذى لاسم له، وتستقران فى نقرتين له ويسمى «المكبى والطرجهالى»[3].

٤- الوتران الصوتيان:

همـا زوجان من الطيـات الجلدية، يربطان برباطين أفقـيين فى الغضـروفين الهرميين من الخلف، كل واحد منهما فى أحد الغضروفين، ومن الأمام يربطان معًا فى تجويف الغضـروف الدرقى عند زاوية التقاء جزئيه أحدهمـا بالآخر، وإذا عرفنا أن الغضـروفين الهرمـيين يدوران فى اتجاه مـتعاكس، أدركنا أن الوتريـن الصوتيين يلتقيان مرة وينفرجان أخـرى، ويتمثل ذلك فى ثلاث صور لكل منها وضع خاص فى إنتاج الصوت.

---

(١) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٥.

(٢) أصـوات اللغـة العربـية، أ.د. هلال، ص٤٩، علم الـصوتيـات، أ.د. ربيع، أ.د. عـلام، ص٩٢.

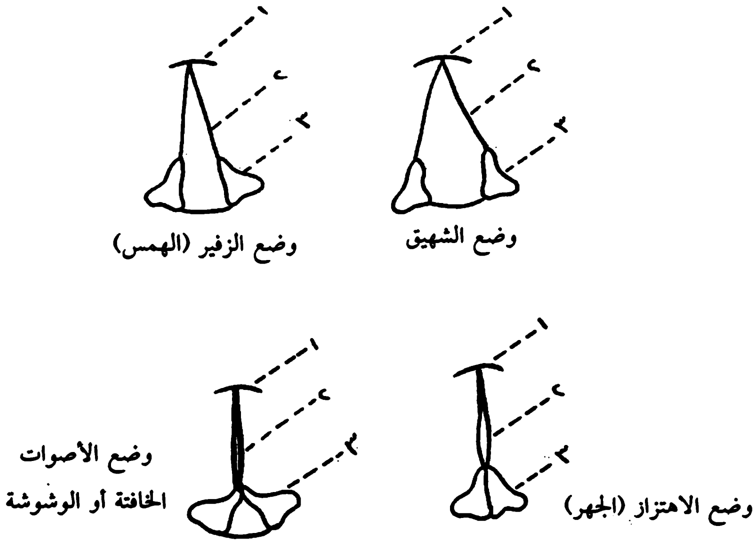
(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٥.

الصورة الأولى : عند دورانهما في اتجاه متقابل يلتقى الوتران التقاء تاما بحيث لا يتركان فراغا بينهما، وهنا ينشأ صوت الهمزة.

الصورة الثانية: قد يحدث فى أثناء هذا الدوران المتقابل أن يلتقى الوتران ويكون هذا الالتقاء غير محكم، ويلاحظ وجود فراغ بينهما بحيث يمر الهواء ويهزهما، وهنا تنشأ الأصوات المجهورة.

الصورة الثالثة: عند دورانهما فى اتجاه غير متقابل يبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر فيتركان الطريق مفتوحًا أمام الهواء ليمر عليهما دون اهتزاز فتنشأ الأصوات المهموسة(١).

هذه الصور الثلاث هى صور الوترين الصوتيين فى حالة إصدار الأصوات، وهناك حالة رابعة أو صورة رابعة، وهى وضع التنفس أو الشهيق.



شكل رقم (٢)(*)

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٠.

(*) هذا الرسم مقتبس من كتاب مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، وقد ذكر فضيلته أنه اقتبسه من كتاب «علم الصوتيات العام».

٥- لسان المزمار:

وهو عبارة عن نسيج ليفي غضروفي مثلث الشكل، أقرب ما يكون إلى ورقة الشجرة، وهو مربوط من قاعدته في الغضروف الدرقي من الأمام، ويقع خلف اللسان[١].

وهو صمام يغلق فتحة الحنجرة وهو الحارس الأمين عليها من دخول الأجسام الغريبة، ويظهر أثره عند الأكل والشرب، وعند عملية الكلام يقوم لسان المزمار بإغلاق الحنجرة أو فتحها حسب ما تقتضى الأصوات الصادرة، ويقوم بإغلاق الحنجرة في بعض الأحيان أمام الهواء القادم من الرئتين، فيصطدم بالأوتار الصوتية فتنشأ الأصوات المجهورة، وكذلك يقوم بفتح الحنجرة فيمر الهواء دون عائق ولا يصطدم بالأوتار الصوتية فتنشأ الأصوات المهموسة[٢].

وقد أحس ابن سينا بأثر الحنجرة وعمل الوترين الصوتيين وإن لم ينبه إليها فقال: «فإذا تقارب الذى لا اسم له (الحلقى) من الدرقى وضامَّه حدث عنه تضييق الحنجرة، وإذا تنحى عنه وباعده حدث منه اتساع الحنجرة، ومن تقاربه وتباعده يحدث الصوت الحاد والثقيل»[٣].

فالحدة والثقل - أى الغلظ - إنما يحدثان من ذبذبة الأوتار الصوتية، فإذا كانت الاهتزازات سريعة، كان الصوت حادّاً، وإذا كانت هذه الاهتزازات قليلة كان الصوت ثقيلا.

ثم يشير ابن سينا إلى أن المنع أو الحصر إنما هو للنفس، فيقول: «فإذا انطبق الطرجهالى، أى الغضروفين الهرميين على الدرقى حصر النفس وسد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة»[٤].

---

(١) دروس فى علم أصوات العربية، كانتنيو، ص١٧.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥١.

(٣) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٥.

(٤) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٦.

والمعروف فى علم الصوتيات الحديث أن منع النفس من المرور حين يحدث ذبذبة، يحدث فى حال الأصوات المجهورة، وهو ما عبر عنه ابن سينا بقوله: «انقلع عنه» وإذا لم ينطبق الطرجهالى على الدرقى لم يكن هناك حصر، وهو حال الأصوات المهموسة.

حالات الحنجرة:

بعد أن ذكرنا الأجزاء التى تتكون منها الحنجرة، يجدر بنا أن نذكر الحالات التى تحدث فى الحنجرة وتجعل لأجزائها مرونة فى التضييق والاتساع والانطباق والانفتاح، وهاك بيانها:

١- تضييق الحنجرة واتساعها:

حالة التضييق وتسمى حالة الضم أيضًا، وهى تحدث عندما يتقارب الغضروف الدرقى من الغضروف الحلقى، وذلك بواسطة عضلات خاصة، يأتى بعضها من العظم اللامى وبعضها الآخر من عضلات فردية مزدوجة تتصل بالغضروف الدرقى، وتلتف وراءه على الغضروف الحلقى مع عضلات تصله بالمرىء[١].

أما حالة الاتساع فتحدث بابتعاد هذين الغضروفين أحدهما عن الآخر بواسطة حفز النفس إلى الخارج بقوة عن طريق عضل الصدر والحجاب الحاجز، وقد أشار إلى ذلك ابن سينا فقال: «فإذا تقارب الذى لا اسم له من الدرقى وضامَّه، حدث منه تضييق، وإذا تنحى عنه وباعده، حدث منه اتساع الحنجرة»[٢].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٢، والعظم اللامى: قطعة من العظم على شكل حذاء الفرس أو على شكل حرف اللام فى الكتابة العربية، ومن أجل ذلك أطلق عليها ذلك. ينظر كتاب أصوات اللغة، د. أيوب، ص٦٠.

(٢) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٥.

٢- انطباق الحنجرة وانفتاحها:

الانطباق والانفتاح فى الحنجرة يحدث من بعض الغضاريف التى تقوم بهذه العملية.

وقد أشار إليها ابن سينا وتنبه إليها رغم ما يقال من أن العرب لم تعرف حركات الحنجرة، ولا الأوتار الصوتية، قال ابن سينا: «وإذا انطبق الطرجهالى على الدرقى حصر النفس وشد الفوهة، وإذا انقلع عنه انفتحت الحنجرة»، ثم يقول: «فالعضلات التى تفتح الحنجرة بتنحية الطرجهالى عن الدرقى لابد أن تكون طالعة من أسفل، ومن جنب الذى لا اسم له - الحلقى.

والعضلات التى تطبق يجب أن تكون لا محالة واصلة بين الترسى (أى الدرقى) والطرجهالى (أى الغضروفين الهرميين) حتى إذا تشنجت مدت الطرجهالى إلى الترسى، ومعلوم أنها إذا كانت من داخل كان إطباقها أشد وأحكم»[١].

سادسًا: الحلق:

هو الجزء الذى يلى الحنجرة: وينتهى بأول الفم، وينقسم الحلق فى عرف القدماء إلى ثلاثة أقسام هى: ١- أقصى الحلق، ٢- وسط الحلق. ٣- أدنى الحلق[٢]، بينما يقسمه علماء الأصوات فى الحديث إلى ثلاثة أقسام أيضًا، هى:

١- الحلق الحنجرى. ٢- الحلق الفموى. ٣- الحلق الأنفى.

وهذا التقسيم نسبة إلى الجزء القريب من الحنجرة أو الفم أو الأنف.

وتنشأ الأصوات فى الحلق عن طريق انقباض الحائطين الأمامى والخلفى أو بانقباض جذر اللسان ومؤخر الفم؛ ولذلك سميت الأصوات الصادرة منه «السانية حنكية»[٣].

---

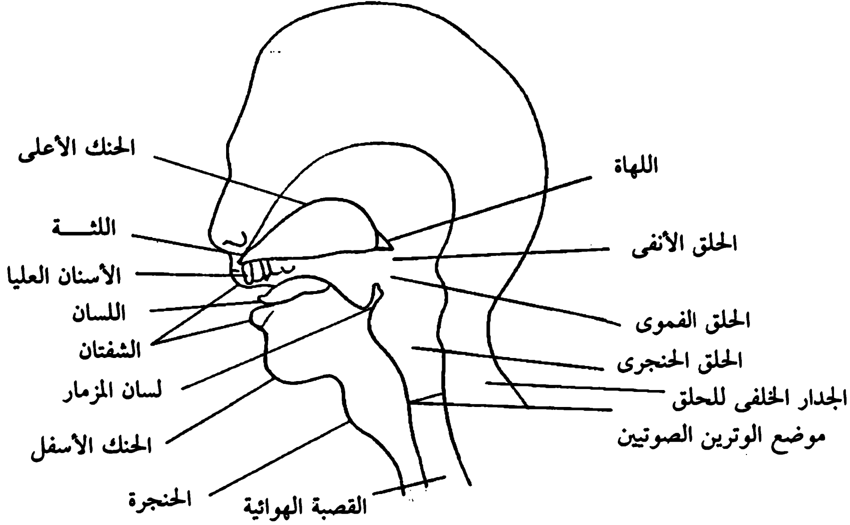
(١) أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص٦٦، ٦٧ بتصرف.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٣.

(٣) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار، ص٩٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٤.

ويعد الحلق فراغًا رنانًا يقوى بعض الأصوات بصفة عامة.

وقد قسم د. أيوب الحلق إلى ثلاثة أقسام، وعبر عنه بالبلعوم، ولكن تسميته بالحلق أولى، كما يقول أ.د. جبل(١).



شكل رقم (٣)(*)

وفيما يلى نتكلم عن تقسيم الحلق:

١- **الحلق الحنجرى**: ويبدأ من الغضروف الحلقى حتى العظم اللامى، وحده من الخلف العمود الفقرى، ومن الأمام لسان المزمار.

٢- **الحلق الفموى**: وهو يبدأ من العظم اللامى حتى مؤخر سقف الحنك الرخو - أى الفتحة العليا التى تنتهى بالفم.

٣- **الحلق الأنفى**: وهو المنطقة الواقعة فوق سقف الحنك الرخو وهو نسيج لحمى يستطيع أن ينزل إلى أسفل وأن يرتفع إلى أعلى(٢).

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٤٧.

(*) هذا الرسم مقتبس من كتاب أصوات اللغة العربية.

(٢) أصوات اللغة، د. أيوب، ص٦٥ وما بعدها.

ومن التأمل نجد أن هذا التقسيم الحديث للحلق لا يختلف عن تقسيم علمائنا القدامى، فقد قسم علماء اللغة القدامى الحلق إلى ثلاثة أقسام:

أقصى الحلق: أى أبعده مما يلى الصدر، ولو قارنا بين هذا وذلك لوجدناهما واحدا.

وسط الحلق: واكتفوا بأن هذا المخرج يخرج منه ع. ح.

أدنى الحلق: قالوا فيه: يعنى أقربه مما يلى الفم، أى أن هذا المخرج قريب من مخرج الفم الذى هو الحلق الفموى والذى بعده، هو الحلق الأنفى، وتلك ملاحظة تعد لعلمائنا القدامى الذين لم يكن لديهم وسيلة متقدمة مثل ما توافر لعلمائنا المحدثين.

فهذه التسمية قد لاحظها القدماء من علمائنا كما هى واردة فى لمحات من كتبهم تشير إلى معرفتهم بذلك.

وقد ذكر أ.د. ربيع أن أساس التقسيم عند العلماء القدماء كان أصواتيا أى بالنسبة لمخارج الأصوات.

أما الأساس الذى سار عليه المحدثون فهو أساس فسيولوچى دون التقيد بمخارج أصوات معينة، ثم قال:

«ولعل هذا هو السر فيما يكون بين التقسيمين من فروق»(١).

سابعًا: اللسان:

عضو مهم من أعضاء النطق وعليه المعول فى إبراز كثير من الأصوات، ولولاه لم يتمكن المتكلم من إخراج معظم الأصوات؛ ولذلك نسبت اللغة إلى اللسان، وقد عبر القرآن الكريم باللسان عن اللغة كما فى قوله تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ... ﴿٤﴾﴾** [إبراهيم]، وقال تعالى أيضًا: **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾** [الشعراء].

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٩٩.

وحين النظر فيما ذكره علماؤنا القدامى من أجزاء اللسان نجد أنهم ذكروا له عدة أجزاء هى:

١- أقصى اللسان. ٢- وسط اللسان.

٣- حافة اللسان. ٤- رأس اللسان.

٥- ظهر اللسان[١].

أما علماؤنا المحدثون فقد ذكروا أجزاء اللسان السابقة، ولم يذكروا ظهر اللسان، بل إن بعضهم لم يذكروا حافة اللسان، وبدلا من ذكر رأس اللسان، ذكروا طرف اللسان أو ذلقة أو ظبته، فلعلهم أرادوا من ذكر رأس اللسان أو طرفه، ما يجمع ذلك كله، سواء ما يخرج من الأصوات من رأس اللسان، وما يخرج من طرفه، وربما أرادوا بذكرهم «مقدمة اللسان» ما يجمع الرأس والطرف، لكنهم لم يذكروا حافة اللسان، إذ هى عضو مهم فى إنتاج صوتى الضاد واللام[٢]، ولا يقتصر الأمر على ذكر هذه الأجزاء، بل ذكر العرب مسميات أخرى فيميزون بين «عكدة» اللسان أو «عكرتة» - أى أصله، وبين أقصى اللسان، ووسط اللسان وحافة اللسان وجانب اللسان، كما يسمون طرف اللسان إذا كان يابسا - كحاله عند النطق بحروف الصفير - «أسله» وإذا كان رخوا وتحرك بسهولة، كحاله عند النطق بحروف التكرير والانحراف. ذلقا أو ذولقا[٣].

ثامنا: الحنك الأعلى:

وهو جزء مهم من أجزاء الجهاز النطقى، وهو الجزء العلوى من الفم، ويتصل به اللسان فى أماكن عديدة لإنتاج الأصوات، وله عدة أقسام:

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى نصر، ص٣٤، وما بعدها.

(٢) ينظر فى ذلك أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٥، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٠، أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٥١، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٥٠.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٥.

١- **مؤخـر الحنك**: أو أقصى الحـنك: وهو الجزء الخلفى منه القـريب من الحلق، ولطبيعته اللينة يسمـيه بعض الباحثين «الحنك اللين» ويطلق على الجزء المتدلى منه والقريب من الحلق اسم «اللهاة».

٢- **وسط الحنك**: وهو الجزء الذى يلى مـؤخره، ولطبيعـته الصلبة يسمـيه بعض الباحـثين «الحنك الصلب» وقد يسـمى «الغار» مثـل إطلاق ذلك على صوت الجيم فيقال إنه «غارى».

٣- **مـقــدم الحنك**: وهو الذى يلى الحنـك الصلب، وتقع فـيـه الأسنان العليـا واللثة[١].

وظيفة الحنك فى الكلام:

يقوم الحنك الأعلى مع قاع الفم بتشكيل التجـويف الفموى، وهو فراغ مهم بالنسبة لأصوات الكلام، ففيه تتكون فراغات رنينية متنوعة[٢].

تاسعا: اللهاة:

وتقع فى نهـاية مؤخـر الحنك - أى الحنك الطرفى - بين التجـويف الأنفى والتجويف الفموى.

وتظهر وظيفة اللهاة فـى الكلام فى أنها ترتفع إلى أعلى فتغلق طريق الأنف مع الأصوات العـربية التى تخرج عن طريق الفم، وتهـبط مع بعض الأصوات - كالنون والميم - لتفتح للصوت طريقا يمر من خلاله من التجويف الأنفى.

وللهاة دور مهم فى نطق القاف العربـية، وإذا حدث فى اللهاة عيب يمنع من غلق التجويف الأنفى مع الأصوات الفموية، حدث عيب نطقى يسمى بالتأفف[٣].

---

(١) السابق، ص٥٦.

(٢) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٢.

(٣) ينظر فى ذلك علم اللغة الـعام والأصوات، د. بشر، ص٧١، و علم الصـوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٣، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٥٠.

عاشرا: الأسنان:

للأسنان وظيفة مهمة من الناحية الصوتية، ويمكن إدراك أهميتها عندما نسمع كلام إنسان فقد بعض أسنانه، فنراه يخرج الأصوات بصورة مشوهة، فهى تشارك اللسان فى مخارج معظم الأصوات، فاللسان يتصل بأصولها أو بأطرافها أو بجوانبها، وكل واحد من هذه المواضع مخرج لأنواع معينة من الأصوات.

يضاف إلى ذلك أيضًا أن الأسنان تشترك مع الشفتين فى مخرج الفاء العربية.

كما أنها لها دور فيما يتصل بصناديق الرنين، فالنتوءات البارزة فى الأسنان والأضراس تشكل مع بقية السطوح تجاويف صغيرة هى بمثابة صناديق رنين(١).

وعدة الأسنان ثنتان وثلاثون موزعة على النحو التالى:

١- **الثنايا**: وهى أربع، فى كل فك ثنتان، وتقع فى الجزء الأمامى من الفم من أعلى وأسفل، وتظهر عند فتح الفم أو عند التحدث.

٢- **الرباعيات**: وهى أربع، ثنتان فى كل فك «العلوى والسفلى» وتلى الثنايا من الجانبين، وقد سمعنا أن الرسول ﷺ - فى إحدى الغزوات - كسرت رباعيته.

٣- **الأنياب**: وهى أربع كذلك، وتلى الرباعيات علوًا وسفلا ووظيفتها تمزيق الطعام وتسمى الضواحك.

٤- **الأضراس**: وهى عشرون، منها الضواحك، ومنها الطواحن، وهى التى تطحن الطعام، ومنها النواجذ، وهى ما تسميه العامة: ضروس العقل(٢).

---

(١) ينظر فى ذلك أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٧، أصوات اللغة العربية، أ.د. جبل، ص٥٢، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٤.

(٢) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص٥٨، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٥، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٥.

حادى عشر: التجويف الأنفى:

مجموعة من الفـراغات تأخذ شكل قنوات وجيوب أنفية، وتسـتعمل كفراغ رنان، وبصفة أساسية يتجه الهواء للمرور منها عند صوتى الميم والنون وتشترك فى وضوح الباء.

ويقع هذا التجويف فـوق الحلق وينتهى بفتحـة الأنف، ويتكون من فراغات مقسمة إلى قنوات وتعرف «بالفراغات الأنفية» ويلى هذه الفراغات مجموعة أخرى هى «الجيوب الأنفية»(١).

والجيوب الأنفية تشمل: الفراغ الجـبهى الذى يوجد تحت الحاجبين، والفراغ الوتدى الذى يوجد تحت عظمـة الوجنتين، والفراغ اللحوى الذى يوجـد فى جسم الفكين، ويستعمله الفرنسيون كثيرًا فى إبراز أصوات لغتهم.

ثانى عشر: الشفتان:

عضوان يأخذان شكلا مستعرضـا فى نهاية الفم، ويقومان بإغلاقه أحيانًا أو التحكم فى فتحة الفم أحيانا أخرى بحيث تأخذ أوضاعا ثلاثة:

١- **الاستدارة**: وفى هذه الحالة تكونان دائرة غير منتظمة تمامًـا، ويصيبها نوع من البروز.

٢- **الانفراج**: وذلك حين تبـتعـد كل منهمـا عن الأخرى، وتكون فـتحـة الفم مستعرضة.

٣- **الحياد**: وذلك حين لا يكون للشفتين تأثير فى الصوت(٢).

---

(١) أصوات اللغـة العربية، د. أيوب، ص٦٨، أصـوات اللغة العـربية، أ.د. هلال، ص٥٨، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٦.

(٢) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص٨٥، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٠٥، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٥٩.

كيفية بروز الأصوات من جهاز النطق:

يبرز الصوت فى عملية إخراج الهواء من الرئتين، والمعروف أن عملية التنفس مهمة لإبراز الأصوات، فعملية التنفس تتم على مرحلتين: **الأولى، تسمى الشهيق**، وهى عبارة عن إدخال الهواء من الفم حتى يصل إلى الرئتين حاملا للأكسجين اللازم لتنقية الدم. **والثانية، تسمى الزفير**، وهى الهواء الخارج من الرئتين حاملا ثانى أكسيد الكربون، وبه تتم عملية إبراز الأصوات، فالصوت ينشأ مع عملية الزفير، وليس مع عملية الشهيق(١).

وقد تحدث بعض الأصوات مع الشهيق كتلك التى تحدث فى حال التعجب أو الدهشة أو الاستنكار، وليست تلك الأصوات مادة لغوية بالمعنى الاصطلاحى، ولكن سماع مثل ذلك فى حالة التشنج أو الانتحاب، وبعض الأصوات الصادرة عن الشهيق تحدث بين الأطفال(٢).

فالهواء يجتمع فى الرئتين، ثم يبدأ فى الصعود داخل القصبة الهوائية التى تستعمل لتقوية الصوت حال تكوينه، فإذا دخل الهواء إلى الحنجرة بدأ فى التكوين، فإذا اهتزت الأوتار الصوتية نتيجة اقترابها من بعضها حدث ما يسمى بالجهر، وإذا لم تهتز نتيجة ارتخائها وابتعادها عن بعضها حدث ما يسمى بالهمس.

ويتدخل بعد ذلك فى عملية تكوين الصوت عضوان من أعضاء النطق فإذا التقى العضوان التقاء محكما - نشأت الأصوات الشديدة، وإذا كان الالتقاء جزئيا حدثت الأصوات الرخوة أو الاحتكاكية، وقد أدرك علماؤنا القدامى قيمة أعضاء النطق، وبينوا أثرها فى الأصوات، فقد اعتمد الخليل على ما يحسه عند مخرج الصوت، وعلى العملية العضلية التى تحدث عند إصدار الصوت(٣).

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦٠.

(٢) الصوت اللغوى، د. أحمد مختار، ص٩١، ٩٢.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦١ بتصرف.

وقال سيبويه عن المجهور: حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه، والمهموسة: حرف أضعف الاعتماد فى موضعه حتى جرى معه النفس[1].

ولم يكن سيبويه على علم بالناحية التشريحية من وجود وترين صوتيين بالحنجرة يقومان بوظيفة معينة.

وقد عقد ابن جنى مشابهة بين الجهاز الصوتى للإنسان وبين آلة المزمار، وذلك حيث يقول:

«فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناى المشوقة، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة، كان ذلك سبب سماعنا لهذه الأصوات المختلفة»[2].

وقد لاحظ القدماء فى عرضهم لمخارج الحروف وصفاتها أهمية اللسان والشفتين والحنجرة والأوتار الصوتية فيها، بيد أن المحدثين تبعًا لتقدم العلوم وكشف علم اللغة الحديث، حللوا الأصوات تحليلا يتصل بمصدره الأساسى، وزادوا تفصيلات تتعلق بالناحية التشريحية لجهاز الصوت والأصوات التى تنجم عنه[3].

استقبال الصوت:

تتم عملية السمع عن طريق الأذن، وهى المرحلة الثالثة من مراحل العملية الاتصالية، وتسمى هذه المرحلة فى اصطلاح علماء اللغة المحدثين باسم «علم الأصوات السمعى».

---

(١) الكتاب، ٤/ ٤٣٤ بتصرف.

(٢) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ٩.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦٣.

والسمع هو وظيفة الأذن الأساسية، وهى تنقسم إلى:

١- **الأذن الخارجية**: وأهم أجزائها: الصوان - أى الجزء الخارجى البارز - والصماخ والطبلة[1].

وعندما تحدث موجات صوتية بجوار الأذن، فإن ذرات الهواء تنقل اضطراباتها واهتزازها عبر قناة الأذن الخارجية إلى الطبلة فتهتز وتنقل تلك الاهتزازات إلى الأذن الوسطى، حيث تقوى عن طريق «الركاب والمطرقة والسندان»[2].

٢- **الأذن الوسطى**: وتتكون من عظيمات ثلاث يتصل بعضها ببعض وهى المعروفة بالمطرقة والسندان والركاب، ومهمة هذه العظيمات هى نقل الحركة من طبلة الأذن إلى الأذن الداخلية، كما أن الذبذبات المارة تتضخم إلى حد ما، حيث يعتبر التجويف الذى تقع فيه هذه العظيمات بمثابة فراغ رنان[3].

٣- **الأذن الداخلية**: أهم أجزائها القوقعة، وهى جسم ملتف ذو حوائط صلبة طوله حوالى ٣٥ مم، ويوجد بها السائل التيهى، وتتصل به الألياف العصبية التى تنقل ذبذبات الصوت التى تصل إليها من الطبلة إلى المخ، لتحويلها إلى مدركات مفهومة[4].

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٥٦.

(٢) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٣١.

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٥٦.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦٤.

الباب الثانى

الصوت، والحروف وصفاتها

الفصل الأول

الصوت والحرف والفرق بينهما

اشتقاق الصوت والحرف:

الصوت: مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت، وصوَّت تصويتًا فهو مصوِّت، وهو عام غير مختص، يقال: سمعت صوت الرجل وصوت الحمار، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ⑲﴾ [لقمان].

فأما قولهم: لفلان صيت، إذا انتشر ذكره فى الناس، فمن هذا اللفظ، وكأنهم بنوه على «فِعْل» بكسر الفاء وسكون العين، للفرق بين الصوت المسموع، وبين الذكر المتعالم، وقالوا أيضًا: انتشر صوته بين الناس، ويعنون به الصيت الذى هو الذكر[1].

وصات وأصات كله: نادى، ويقال: صات يصوت صوتًا فهو صائت، معناه: صائح[2].

أما الحرف، فالقول فيه وفيما كان من لفظه أن «ح ر ف» أينما وقعت فى الكلام يراد بها حد الشىء وحدته، من ذلك حرف الشىء: إنما هو حده وناحيته، وطعام حريف: يراد حدته، ورجل محارف: أى محدود عن الكسب والخير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ... ⑪﴾ [الحج]، أى على غير ثبات ولا طمأنينة، فكأنه معتمد على حرف دينه، كالذى هو على حرف الجبل ونحوه، ومن كان كذلك، فإنه يسقط.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦٩.

(٢) لسان العرب، ص و ت، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٦٩.

ومن هنا سميت حروف المعجم حروفًا، وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته، ويجوز أن تكون سُميت حروفًا، لأنها جهات للكلم ونواحٍ، كحروف الشيء وجهاته، وكل اشتقاق المادة يدل على هذا[1].

الصوت والحرف في منظور علماء الأصوات:

ربط المحدثون بين الصوت الإنساني كظاهرة لغوية، وبين الصوت الطبيعي، يقول الأستاذ/ فندريس: «إن ما يسمى صوتًا: هو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء، والذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم[2].

فالصوت ليس مادة، ولكن طاقة أو نشاط خارجي تقوم به أجسام مادية، وتؤثر في الأذن تأثيرًا يحدث السماع[3].

وعرفه د. تمام حسان بأنه: «العملية الحركية ذات الأثر السمعي، وهو من أداء المتكلم في نشاطه اللغوي العادي اليومي»[4].

وأما الحرف، فهو وحدة تصنيفية يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد كحرف الميم في الإظهار والإخفاء والإقلاب، ويطلق على هذه العملية اسم «الفونيم» فالفونيم في أحد معانيه يقصد به الحرف[5].

وقد عرف العلماء الأقدمون الفروق الدقيقة بين الصوت في حقيقته التي هي العملية الحركية ذات الأثر السمعي - وبين الحرف - كوحدة تجريدية قد تكون ذات صوت واحد أو عدة أصوات.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٧٠، سر الصناعة، ص١٥.

(٢) اللغة، فندريس، ص٤٣.

(٣) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص٢١.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٧١.

(٥) السابق، ص٧١.

يقول ابن جنى فى تعـريف الصوت أنه: عرض يخرج مع النفس مـستطيلا مـتصـلا حتى يعـرض له فى الحلق والفم والشـفـتين مقـاطع تثنيـه عن امتـداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا[1].

والفـرق الذى تصـوره ابن جنى بين الصـوت والحـرف أن الصـوت نشـاط عضوى حركى تنشأ عنه قيم صـوتية، والحرف هو تلك الوحدة اللغوية المعينة التى توجد عند موقع معين كالنون والباء، ويطلق عليه اسم المخرج.

تقسيم الأصوات:

يقسم قـدامى اللغويين العرب الأصـوات إلى قسمين: صـامتة، وصـائتة أو سواكن وحركات.

الصوت الـصامت: هو الصوت الذى ينحـبس الهواء فى أثناء النطق به فى أى منطقة من مناطق النطق انحباسا كليا أو جـزئيا، فالانحباس الكلى مثل صوت «التاء» والجزئى مثل صوت «السين».

والصوت الصائت: هو الصوت الذى ينطلق معه الهواء انطلاقا تاما بحيث لا يعوقه عائق فى أية منطقة من مناطق النطق، وهذا خاص بحروف المد والحركات القصيرة[2].

خصائص الصوائت:

١- الوضـوح التام بحـيث لا تخفى عند النطق وتسـمع بكامل صـفاتها بـخلاف الصامتة فهى خافتة قد تخفى على السمع.

٢- تشيع فى اللغـات؛ لذلك يكثر فيها التـغيير والخطأ مثـل «جاء» فتنطق الألف بطرق متفـاوتة، والعاميات خير شـاهد على ذلك، على حين تبقى الصوامت دون تغيير غالبا.

---

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/٦.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٠٤.

٣- الجهر، فالصوائت تحرك الأوتار الصوتية دائمًا، أما الصوامت فمنها ما يحرك الأوتار الصوتية، ومنها ما لا يحركها فهى مجهورات ومهموسات.

ويظن بعض الباحثين أن العرب لم يفرقوا بين الصوامت والصوائت تفريقًا دقيقًا، والمعروف أن الفرق بينهما - فى عرف علم اللغة الحديث - يتمثل فى وجود عائق فى طريق الهواء أو عدم وجوده(١)، ففى حالة عدم وجود عائق يكون الصوت صائتًا، وفى وجود هذا العائق يكون الصوت صامتًا.

يقول أستاذنا د. عبد الغفار هلال: ونحن نؤكد أن العرب عرفوا هذين النوعين من الأصوات، فالخليل يشير إلى أن «الألف والواو والياء» هوائية ليس لها حيز تنسب إليه، وقال: سميت هوائية لأنها تخرج من الجوف، ولا تقع فى مدرجة من مدارج اللسان ولا الحلق ولا اللهاة، وإنما هى هاوية فى الهواء(٢).

وهذه هى صفة الأصوات الصائتة التى يظن المحدثون أن الأقدمين لم يعرفوها، كما بين ابن جنى بعضًا من خصائص الأصوات الصائتة فقال:

«والحروف التى اتسعت مخارجها ثلاثة، الألف ثم الياء ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف»(٣).

وفى وصف مخرج كل منها: يبين أن هذه الأصوات تخرج دون عائق، مما يدل على أنه يعرف لهذه الأصوات ما لمحه فيها المحدثون، فهى تنطلق مع الهواء دون عائق.

أولا: الصوائت:

تنقسم الصوائت إلى أقسام ثلاثة:

١- الصوائت الطويلة.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٠٥.

(٢) العين للخليل بن أحمد، ١/ ٦٤، ٦٥، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٠٥.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ٨٢٧.

٢- الصوائت القصيرة.

٣- أشباه الصوائت[(١)].

١- الصوائت الطويلة:

هى التى تسمى فى اصطلاح القدماء «حروف المد» وهى الألف والواو والياء، وذلك إذا سكنت وجانستها الحركة التى قبلها وذلك مثل: وحيل بينهم، وقيل يا أرض، سور - نور - ومثل: قال وباع، والألف حرف مد ولا يقع إلا بعد الفتحة، إذ هى الحركة المجانسة لها فإن لم يقع قبلها الفتح تغير إلى حرف آخر.

والواو لا تقع إلا بعد الضم، والياء تقع حرف مد بعد الكسرة مثل ضارب، ضويرب، مصباح، مصيبيح فى التصغير[(٢)].

وقد فرق ابن جنى بين الأصوات الثلاثة من حيث مخرجها وكيفية نطقها فقال: «إن الصوت الذى يجرى فى الألف مخالف للصوت الذى يجرى فى الياء والواو، والصوت الذى يجرى فى الياء مخالف للصوت الذى يجرى فى الألف والواو، والعلة فى ذلك أنك تجد الفم والحلق فى ثلاثة الأحوال مختلفة الأشكال، أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر. وأما الياء فتجد الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتى اللسان، وضغطته وتفرج الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متضعدعا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النفس ويصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف، اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك كقولك فى الألف «أا» وفى الياء «إى» وفى الواو «أو»[(٣)].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٠٩.

(٢) التجويد والأصوات، د. نجا، ص٢٧.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ص٨، ٩.

٢- الصوائت القصيرة:

هى الحركات القصيرة، وقد اعتبرها القدماء أبعاض حروف المد، أى الصوائت الطويلة: الألف والواو والياء، فكما أن هذه الأصوات ثلاثة، كذلك الصوائت القصيرة ثلاثة، وهى الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو[١]. والدليل على أن الصوائت القصيرة أبعاض من الصوائت الطويلة:

١- أنك إذا أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه وذلك نحو فتحة عين «عَمـر» فإنك إن أشبعتها حدث بعدها ألف فقلت «عامر»، وكسرة عين «عِنب» إذا أشبعتها نشأت بعدها ياء فقلت «عينب»، وضمة عين «عُمر» إذا أشبعتها نشأت بعدها واو فقلت «عومر»[٢].

٢- أنك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة، وذلك مثل «فعل» من القول والطول، بأن تقول «قول وطول» بكسر الأول، ثم تستثقل ذلك فتقلب الواو إلى الياء فتقول: قيل وطيل.

٣- حروف المد تطول فى مثل شابة ودابة، وكذلك إذا وقع بعدهن الهمزة ازددن طولا، نحو يشاء ويسوء ويجىء، وإطالة صوت اللين فى هذه الحالة محافظة عليه لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام، لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين.

٤- صوت اللين - أو الصائت - كما يطول فى بعض الأحيان يقصر أيضًا فى أحيان أخرى، وهذا يدل على أن الصوائت الطويلة والقصيرة متشابهة إلى حد كبير.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١١١.

(٢) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ١٩، ١٠٨.

٥- أجرى العرب الحركة مجرى الحرف، فأجازوا صرف هند امرأة معرفة، فإذا تحرك الأوسط منعوه من الصرف، فصارت الحركة بمنزلة الياء فى زينب(١).

٣- أشباه الصوائت:

يسمى القدامى الواو والياء إذا سكنتا مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليهما حرفى لين مثل بيع وقول، كما يسمون الألف والواو والياء مطلقًا «حروف علة» إذا قاربت حرفًا أصليا.

وهذان الصوتان يؤديان وظيفة الأصوات الصامتة، فيما إذا وقعا موقعهما، مثل وصل، فهى مثل «دخل»، ويسر، فهى مثل «قفل، وعين وقوم» حيث تجرى عليهما أحكام الحروف الصامتة فيقال: أعيان وأقوام، ولكن شبههما مع ذلك بالصوائت قوى، إذ هما قابلان للتحول إلى أصوات لين خالصة؛ لذلك يطلق عليهما شبه الصوائت، كما يطلق عليهما شبه الصوامت لأنهما وسط بينهما، وعدهما كذلك له وجه، لسماع لون من الحفيف الذى يلاحظ حال نطقهما مما يجعلهما قريبين من الأصوات الساكنة بحيث ينتقل منهما إلى مخرج تلك الأصوات الساكنة، وذلك عند ارتفاع اللسان إلى وضع أعلى من ذلك بحيث يتصل بأعلى الحنك، وأما فى حال انخفاضه إلى أقل من وضعه معهما فإن الأصوات الأوضح وهى أصوات اللين تنشأ عن ذلك(٢).

رأى المحدثين فى الصوائت:

فرق المحدثون بين ما يسمى بالصوائت، وما يسمى بالصوامت، وسميت أيضًا باسم أصوات اللين، وذلك حيث ينطلق الهواء من الرئتين دون عائق يحجز الهواء فى أى عضو من أعضاء النطق، وهو موافق لما سماه القدماء بحروف المد، كما يشمل أيضًا الحركات «الفتحة والضمة والكسرة»، وكانت

---

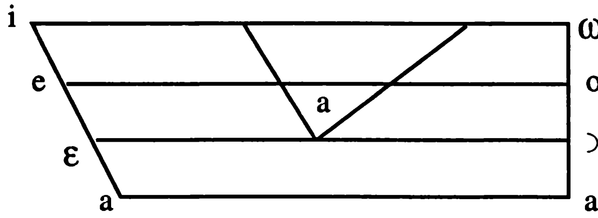
(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١١٢.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٠ بتصرف، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام.

نظرة القدماء هذه، داعية للمحدثين إلى استنباط ما وصلوا إليه من حقائق علمية خاصة بها.

هذا إلى جانب أن أصوات اللين واضحة وتشيع فى اللغات والكلام فيكثر فيها الخطأ، ومن أجل ذلك كانت عناية المحدثين بها وبوضع مقاييس لها من عدة لغات مشهورة.

وقد كان على رأس المهتمين بذلك دانيال جونز الأستاذ بجامعة لندن، فقد أجرى تجارب صوتية دقيقة، استنتج منها مقاييس عامة لتلك الأصوات وسجلها فوق أسطوانات يمكن الحصول عليها لمن يشاء من المشتغلين بالدراسات الصوتية وتعلم اللغات[١].



وقد نظر دانيال جونز فى تحديد هذه المقاييس إلى وضع اللسان من مقدمة ومؤخرة فى صعوده وهبوطه بالنسبة للحنك الأعلى، كما نظر إلى الشفتين من حيث انفراجهما وضمهما واتخاذهما وضعا محايدا، وهاك بيانها:

١- الحركة الأولى من الحركات المعيارية هى التى يرمز لها بالرمز (I)، وعند نطق هذه الحركة يرتفع مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن نحو الحنك، بحيث لو زاد الارتفاع عن ذلك، نتج صوت صامت هو الياء. أى أن مجرى الهواء يكون ضيقًا دون إحداث أى نوع من الحفيف، وتكون الشفتان فى حالة انفراج كامل

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٤.

أثناء نطق هذه الحركة، ويمثل لها بالحركة التى تلى السين فى كلمة SI الفرنسية أو التى تلى الباء فى كلمة Bieten الألمانية[1]، ويقابل هذه الحركة فى العربية، الكسرة المرققة قصيرة أو طويلة[2].

٢- الحركة الثانية: وهى التى يرمز لها بالرمز (e) وفيها يرتفع مقدم اللسان إلى ثلثى المسافة التى يرتفع إليها أثناء نطق الحركة الأولى، أما الشفتان فتكون درجة الانفراج معها أقل من الانفراج مع الحركة الأولى أثناء النطق بها، ويمثل لهذه الحركة المعيارية بتلك الحركة التى تلى Th فى الكلمة الفرنسية The[3]، ويماثل ذلك فى العربية إمالة الفتحة إمالة شديدة[4].

٣- الحركة الثالثة: وهى التى يرمز لها بالرمز (e) وفيها ينخفض اللسان إلى حد ما ولكنه لا يصل فى انخفاضه إلى وضع الحركة الرابعة، بل يرتفع إلى ثلث المسافة التى يصل إليها وهو فى أقصى حالات ارتفاعه[5]، ويماثل ذلك فى العربية، إمالة الفتحة نحو الياء إمالة خفيفة[6].

٤- الحركة الرابعة: وهى التى يرمز لها بالرمز (a) وفيها ينخفض مقدم اللسان إلى أقصى ما يمكن، أما الشفتان فتكون فى وضع محايد بل تكون أقرب إلى الانفراج منها إلى الاستدارة، وهذه الحركة قريبة من الحركة التى تلى الكاف فى الكلمة الإنجليزية (cat)، ويماثل ذلك فى العربية الفتحة المرققة قصيرة أو طويلة[7].

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٤.

(٢) الكسرة المرقمة هى التى لم تتأثر بأصوات التفخيم، انظر: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٢.

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٥.

(٤) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٧٦، ٤٢.

(٥) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٦.

(٦) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٤٢.

(٧) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٣، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٥.

وتسمى هذه الحركات الأربع بالحركات الأمامية، أما الحركات الخلفية فهى أربع أيضا، وهاك بيانها:

٥- الحركة الخامسة: وهى التى يرمز لها بالرمز (Q) وفيها ينخفض اللسان إلى أقصى حد ممكن بحيث يكون فى وضعه الطبيعى، وتكون الشفتان فى وضع محايد، ويمثل لها فى الفرنسية بتلك الحركة التى تلى الباء فى كلمة (pas)، ويشبه ذلك فى العربية الفتحة المفخمة قصيرة وطويلة.

٦- الحركة السادسة: وهى التى ينخفض فيها مؤخر اللسان إلى حد ما ولكنه لا يصل إلى الدرجة التى يصل إليها مع الحركة الخامسة.

إذ نلاحظ أنه يرتفع عن الحركة الخامسة إلى ثلث المسافة التى يصل إليها فى أقصى حالات ارتفاعه، ويرمز لها بالرمز (C) ويمثل لها بالكملة التى تلى السين فى الكلمة الألمانية (Sonne) أو الباء فى الكلمة الألمانية (Bomm) ويشبه ذلك المقياس فى العربية: الفتحة الطويلة المنطوقة بسرعة فى العامية[1].

٧- الحركة السابعة: وهى التى يرمز لها بالرمز (O)، وفيها يرتفع مؤخر اللسان إلى ثلثى المسافة التى يرتفع إليها أثناء نطق الحركة السادسة، وتقل استدارة الشفتين مع هذه الحركة عن الاستدارة مع الحركة الثامنة، ويمثل لهذه الحركة المعيارية بالحركة التى تلى الراء فى الكلمة الفرنسية rose ويشبه ذلك المقياس فى العربية إمالة الفتحة نحو الضمة عند ابن جنى، والواو العامية فى كلمة صوم، نوم[2].

٨- الحركة الثامنة: وهى التى يرمز لها بالرمز (u) وفيها يرتفع مؤخر اللسان إلى أقصى ما يمكن بحيث لا يحدث أى نوع من الحفيف وتكون الشفتان فى كامل استدارتهما، ويمثل لهذه الحركة بتلك الحركة التى تلى الجيم فى

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٤، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٨.

(٢) الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص١٤٣.

كلمة (gut)، ويقابل هذا الصوت فى العربية: الضمة المرقفة قصيرة وطويلة[1].

٩- الحركة التاسعة: لا يرتفع معها اللسان من الخلف أو الأمام كما لا ينخفض اللسان معها انخفاضا كبيرا فى قاع الفم، أى أن هذه الحركة لا تنسب إلى الجزء الأمامى أو الخلفى من اللسان، وإنما تنسب إلى وسطه؛ لأنه الجزء المرتفع نسبيا حال النطق بها، ويشبه ذلك الصوت الحركة الأولى من كلمة about.

أقسام أصوات اللين: الصوائت

تنقسم أصوات اللين أقساما متعددة حسب الأمام والخلف وصعود اللسان وهبوطه، وحسب وضع الشفتين. فبالنظر إلى الجزء الأمامى والخلفى تنقسم إلى:

١- أصوات لين أمامية، وهى a, ε, e, I، لأنها تخرج من أول اللسان فى صعوده إلى الحنك الأعلى وهبوطه إلى قاع الفم.

٢- أصوات لين خلفية وهى U, O, C, Q، وذلك لأن أقصى اللسان هو الذى يتسبب فى ظهور هذه الأصوات بصعود أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى أو هبوطه إلى قاع الفم حتى يصل إلى درجة الاستواء.

٣- أصوات لين وسطى أو مركزية، وهى التى تخرج من وسط اللسان وهى الحركة (a)، وهى الحركة المعيارية التاسعة.

* وبالنسبة إلى صعود مقدم اللسان أو مؤخره تنقسم إلى:

١- أصوات لين ضيقة وهى (u, i) وفيها يصل اللسان إلى أقصى درجة من الارتفاع دون إحداث أى حفيف.

---

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٤، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٧٦، الأصوات العربية، د. بشر، ص١٤٣.

٢- أصوات لين متسعة: وهى (a, a) وذلك حين يهبط اللسان إلى وضعه الطبيعى، وبذلك يكون الفراغ بين اللسان والحنك الأعلى فى غاية الاتساع.

٣- أصوات لين نصف ضيقة، وهى (O, e) لأن اللسان عند النطق بها يكون فى ثلثى المسافة من قاع الفم.

٤- أصوات لين نصف متسعة، وهى (c, ɛ) لأن اللسان عند النطق بهما يكون فى ثلث المسافة من قاع الفم[١].

* وبالنسبة إلى وضع الشفتين تنقسم إلى:

١- أصوات لين منفرجة، وهى (i) لأن الشفتين معها تكونان منفرجتين تماما.

٢- أصوات لين مضمومة ضما شديدا، وهى (u) وذلك لأن الشفتين تنضمان معها تمام الانضمام وتكتمل استدارتهما.

٣- أصوات لين مضمومة ضما خفيفا، وهى (O, C) لأن درجة انضمام الشفتين معهما تكون خفيفة.

٤- أصوات لين محايدة، وهى (d, d) لأن الشفتين معهما تكونان فى وضع محايد.

وبوجه عام نلاحظ أن الشفتين تنفرجان مع الأصوات i, e, ɛ, a أى الأصوات الأمامية، أما فى حالة الأصوات الخلفية u, o, c, a فتبدأ الشفتان فى الاستدارة من المقياس الخامس حتى تصل إلى كامل استدارتهما مع المقياس الثامن u [٢].

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٨، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٨٠ وما بعدها، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٩٩ وما بعدها.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٩.

الحركات المعيارية والحركات العربية:

اعترفت اللغة العربية الفصحى بدرجتين فقط بالنسبة لكمية الحركات فهى طويلة: مثل ألف المد وواو المد وياء المد، وقصيرة وهى الفتحة والضمة والكسرة، ولم تعبأ بالدرجات التى توجد فى داخل كل نوع، بل اعتبرتها اختلافات صوتية لا تؤثر فى المعنى[1].

ومن هنا نقول: إن العلماء العرب قَصَروا الحركات على ذلك من قصير وطويل، لأنه هو المؤثر فى تغيير المعنى، أما ما لا يتغير بسببه المعنى فلم تُولِه اهتماما، لكنها لم تتركه بل نبهت عليه كما فى إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وما شاكل ذلك.

* ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلى:

الحركة العربية كما تنطق تقابل من الحركات المعيارية ما يلى:

١- الكسرة العربية، وكذلك ياء المد، هما أقرب ما يكون إلى الحركة المعيارية (i) مع فارق طفيف بينهما، هو أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعا منه مع الحركة المعيارية، كما أن أعلى نقطة فى هذا الجزء من اللسان تتجه نحو الخلف قليلا وانفراج الشفتين مع الحركة العربية أقل منه مع المعيارية، فالكسرة العربية وياء المد من الحركات الأمامية الضيقة ويقابلان الحركة المعيارية الأولى[2].

٢- الضمة العربية وكذلك واو المد، أقرب ما يكون إلى الحركة المعيارية الثامنة (u) مع ملاحظة أن الضمة العربية لا تتطابق تماما مع الحركة المعيارية، إذ إن الجزء الخلفى من اللسان حين النطق بالضمة العربية، يكون أقل ارتفاعا منه مع الحركة المعيارية، كما أن أعلى نقطة فى هذا الجزء الخلفى تنحو نحو الأمام قليلا، كما يلاحظ أن استدارة الشفتين مع الحركة المعيارية، أكثر من نظيرتها العربية، ومن ثم فإن الضمة قصيرة كانت أو طويلة تقابل الحركة المعيارية الثامنة (u)[3].

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٠٥.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٤١، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٤٠.

(٣) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص١٦٢.

٣- الفتحة العـربية وألف المد إما أن تكون مرققة إذا تلاها صـوت مرقق، كما فى «عبد، عابد» وهى حينئذ حركة أمامية تقابل الحركة المعيارية الرابعة (a).

٤- وإما أن تكون الفتحة مفخمة، وذلك إذا تلاها حرف مفخم مثل: صبر صابر، وهى حينئـذ حركة خلـفية تقـابل الحركة المعـيارية الخامـسة (a). ويلاحظ أن الفتـحة المفـخمـة - طويلة كانت أم قـصيـرة - لا تتطابق تماما على خـريطة الأصوات مع الحركة المعـيارية؛ لأن خلف اللسان مع الفتحة المـفخمة، يكون أعلى منه مع الحـركة المعـيارية الخامـسة، وتقل درجـة اتساعـها عن الحـركة المعيارية[1].

٥- الحركـة المعيارية الثـانية (e) وهى تشبـه حالة إمالة الفـتحة نحو الكسـرة إمالة شديدة، كما فى كلمة «والضحى» إمالة شديدة.

٦- الحركة المعيـارية الثالثة، (ɛ) وهى تشبه حـالة إمالة الفتحة نحـو الكسرة إمالة خفيفة كما فى «رحمة» إمالة خفيفة.

٧- الحركة المعيارية السادسة، (c) وتشبه هذه الحركة إمالة الفتحة نحو الضمة، كما فى نطق أهل صعيد مصر كلمة «صُح».

٨- الحركة المعيارية السابعة (O)، وتشبه حركة إمالة الكسرة نحو الضمة، كما فى «قيل وبيع وغيض» ومثل «موز، ولوز» فى اللهجة المصرية.

٩- أما الحركة المعيارية التاسعة، فيماثلها فى العربية حالات همزة الوصل، السبع، وهى:

١- وجوب الفتح، وذلك فى المبدوء بها «أل».

٢- وجوب الضم فى انطلق، واستخرج: مبنـيين للمفعول، وفى أمر الثلاثى مضموم العين، نحو اقتل، اكتب.

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربيـة، أ.د. البركاوى، ص٩٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٤٠.

٣- رجحان الضم على الكسر، فيما عرض جعل عينه كسرة، اغزى.

٤- رجحان الفتح على الكسر كما فى «أيمن وأيم».

٥- رجحان الكسر على الضم كما فى «اسم».

٦- جواز الضم والكسر والإشمام، فى نحو «اختار، وانقاد».

٧- وجوب الكسر فيما بعد ذلك(١).

يتبين لنا من خلال ذلك أن هذه المقاييس فى العربية، وأنه تبعا لتقدم العلوم، وضع المحدثون هذه المقاييس على الأجهزة وحددوها ووضعوا لها قواعد من خلال هذه الأجهزة، ويبقى للقدماء فضل السبق والمحدثين فضل التفصيل.

ثانيا: الصوامت أو أشباه الصوائت:

هما الياء والواو اللتان ليستا مدّا، وتتكون الياء بارتفاع مقدم اللسان إلى أقصى حد ممكن، بحيث يكون الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى أضيق منه فى حالة النطق بصوت اللين (i) ويؤدى ذلك إلى سماع نوع ضعيف من الحفيف(٢).

وتتكون الواو بصعود مؤخر اللسان إلى أقصى الحنك، أكثر مما يكون مع صوت اللين (u) بحيث يسمع لمرور الهواء حفيف ضعيف، وهذان الصوتان قابلان للتحول إلى أصوات صامتة، وإلى أصوات لينة؛ ولذلك يطلق عليهما كل من التسميتين: وذلك كما فى كلمة «نوم، صوم، لوم» والحقيقة أن هذه الأصوات من حيث النطق تقرب من الحركات فى صفاتها، ولكنها فى التركيب الصوتى تسلك سبيل الأصوات الصامتة، ومن هنا كانت تسميتها بأنصاف الحركات أو أنصاف

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٣٦، مقدمة فى علم الأصوات، أ.د. البركاوى، ص٩٣.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٤٣.

صوامت، ومثالهما، ولد، يترك، خوض، بيت، ويشتركان فى أنهما يقعان متلوين بحركة أو ساكنين بعد فتح(١).

الأصوات الصامتة:

الأصوات الصامتة لا تحتاج إلى عناء كبير فى دراستها فى اللغات المختلفة، وذلك لأنها تتشابه فى تلك اللغات ولا تختلف كثيرًا، فالإنجليزى مثلا، يمكنه النطق بالتاء العربية بسهولة ويسر، لأنها متشابهة للحرف (t) فى الإنجليزية، وكذلك بالنسبة للحرف الباء، لأنه يشبه الحرف الإنجليزى (b)، وهكذا فى الفرنسية وغيرها.

ولما كنا بصدد الكلام عن الحروف الصوامت، فإننا أولا وقبل كل شىء نريد أن نبين مخارج هذه الأحرف، كما نشير إلى طريقة القدامى وآرائهم فى المخارج والصفات.

والباحث فى تلك الآراء، يجد أنهم اختلفوا فى عددها على النحو التالى:

١- عدها الخليل بن أحمد وعلماء التجويد سبعة عشر مخرجا؛ لأنهم جعلوا الجوف أول المخارج.

٢- عدها سيبويه وابن جنى ستة عشر مخرجا؛ وذلك أنه أسقط مخرج الجوف الذى قال به الخليل بالنسبة للألف والواو والياء، ووزَّع هذا المخرج على الحلق واللسان والشفتين، وسار على ذلك الشاطبى.

٣- عدها قطرب والجرمى والفراء أربعة عشر مخرجًا؛ وذلك لأنهم أسقطوا مخرج الجوف، وجعلوا مخارج اللسان ثمانية؛ لأنهم جعلوا اللام والنون والراء من مخرج كلى ذى مخارج جزئية(٢).

---

(١) الأصوات العربية أ.د. كمال بشر، ص١٣٣.

(٢) انظر فى ذلك: كتاب العين للخليل بن أحمد، ص٦٤ وما بعدها، سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/٢٥٢، النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، ١/٢٠٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٤٦.

ونحن نعرض للمخارج كما عرضها سيبويه وارتضاها ابن جنى، حيث جعل ابن جنى مخارج الحروف ستة عشر مخرجًا، ثلاثة منها فى الحلق، وهى:

١- أقصى الحلق، وهو أوله من أسفله، ويخرج منه الهمزة والألف والهاء.

٢- وسط الحلق، ويخرج منه صوتان هما العين والحاء.

٣- أدنى الحلق - أو أول الفم - ويخرج منه الغين والخاء.

٤- أقصى اللسان ويخرج منه صوت القاف.

٥- ومن أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم، ويخرج منه الكاف، ويمكن بذلك عَدُّ القاف والكاف من أصوات أقصى الحنك.

٦- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين والياء.

٧- ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلَّفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر، وتعد قريبة من وسط الحنك أو لثوية حنكية.

٨- ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية مخرج اللام.

٩- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون، فهو صوت أسنانى لثوى، أو لثوى فقط.

١٠- ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام وهو الراء.

١١- ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مخرج الطاء والدال والتاء.

١٢- ومما بين الثنايا وطرف اللسان، مخرج الصاد والزاى والسين.

١٣- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا مخرج الظاء والذال والثاء.

١٤- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا مخرج الفاء.

١٥- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

١٦- ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال لها الخفيفة أى الساكنة[١].

وهذا التقسيم لمخارج الأصوات كان نبراسا للمحدثين من العلماء الذين لم يكادوا يزيدون عليه شيئا ذا بال، كل ما فعلوه أنهم ضموا بعض المخارج إلى بعضها، أى جعلوا مجموعة من المخارج فى مخرج واحد كالراء واللام والنون، وهم لم يبتدعوا ذلك فقد سبقهم إلى ذلك قطرب والجرمى والفراء، أما المخارج عند المحدثين، فقد جعلوها كالآتى:

ثلاثة فى الحلق كما فعل القدماء، موزعة على أقصاه ووسطه وأدناه، جعلوا القاف والكاف والجيم المصرية من مخرج واحد هو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، وجعلوا الشين والجيم والياء التى ليست مدا من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى كما فعل القدماء.

وجعلوا الضاد تخرج مع الطاء والدال والتاء من طرف اللسان مع الثنايا العليا، وذلك تطور فى نطق الأصوات، وجعلوا الظاء والذال والثاء من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا كما فعل القدماء.

وجعلوا اللام والراء والنون من مخرج واحد هو طرف اللسان مع اللثة العليا.

وجعلوا السين والزاى والصاد من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى، وجعلوا الفاء من الشفة مع الأسنان[٢].

وهذا فى ظنى واعتقادى لا يخرج عن ما ذكره القدماء فى شىء إلا فى بعض الإجمال، وضم بعض المخارج إلى مخرج واحد.

---

(١) الأصوات العربية، القسم الثانى، د. كمال بشر، ص٩١، ٩٢. وينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٤٧.

(٢) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٠، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى.

والملاحظ على وصف الأقدمين أنهم ذكروا الألف فى حروف الحلق بلا مسوغ، كما ذكروا أن الهمزة من الحنجرة لا من الحلق، وأعتقد أن الذى دعاهم إلى ذلك حال الحبس فى الهمزة، أما ذكرهم أن الواو من الشفتين فلأن الاستدارة صفة ذاتية فى الواو لا تقوم إلا لها.

ألقاب الأصوات:

وهناك تقسيم آخر للقدماء بنوه على أساس ألقاب الحروف هو مستمد مما ذكره الخليل فى كتاب العين، فقد لاحظ القراء أن المخارج السبعة عشر يجمعها عشرة ألقاب، وهى كالآتى:

١- الأحرف الجوفية أو الهوائية، وهى أحرف المد الثلاثة، وهى الألف ولا تكون إلا ساكنة وما قبلها مفتوحًا، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، ويراد بالجوف الفراغ الذى تنسب إليه، فراغ الحلق والفم، حيث ينقطع مخرجها، وسميت هوائية نسبة إلى انقطاع الهواء فى الفم[(١)].

وهذه التسمية دقيقة، إذ المعتبر فى الصوامت، عدم وجود عائق، وهذه الأحرف لا يعوقها عائق، كما ذكر علماؤنا القدامى، فوصفهم لهذه الأحرف وصف سديد باعتبار ممر الهواء.

٢- الأحرف الحلقية، وهى الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء، قال الخليل: «فأقصى الحروف كلها، العين ثم الحاء ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء ولولا هتة فى الهاء، وقال مرة (ههة) لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة مخارج فى حيز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين فى حيز واحد كلهن حلقية[(٢)].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٢.

(٢) العين، الخليل بن أحمد، ١/ ٦٥.

٣- الأحرف اللهوية، وهما حرفان: القاف والكـاف، ومع نسبتهما إلى اللهاة بين الفم والحلق يختلف مخـرج كل منهما عن الآخر، فالقـاف من أقصى اللسان مما يلى الحلق ومـا يحـاذيه من الحنك الأعلـى من منبت اللهـاة، والكاف من أقصى اللسان بعد مخرج القاف(١).

٤- الأحرف الشـجرية، وهى الجيم والشين واليـاء غير المدية، وقـد أضاف الخليل إليها الضاد فجعلها شجرية، وسـميت تلك الحروف شجرية؛ لأن مبدأها كما قال الخلـيل من شجر الـفم أى مخرج الفم، وهـو ما بين وسط اللسـان وما يقابله من الحنك الأعلى(٢).

٥- الأحرف الأسلية، وهى الصاد والسين والزاى، ومخارجها متقاربة ما بين رأس اللسان وبين صفحتى الثنيـتين العليين، والصاد أدخلها فى هذا المخرج والسين أوسطهـا والزاى أبعدها، وسمـيت أسلية لأن مـبدأها من أسلة اللـسان وهو مستدق طرف اللسان(٣).

٦- الأحرف النطعيـة، وهى الطاء والتاء والدال، وهى متقاربة المخـارج، وسميت بذلك لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهو سقف الحنك الأعلى، وسميت أسنانية لثوية فى اصطلاح المحدثين نظرًا لتكون عائق الهواء(٤).

٧- الأحـرف اللثـوية: وهى الظاء والذال والثـاء، وهى مـتقـاربة فى المخـارج إذ مخرجها ما بين ظهر اللسان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين، وسميت بذلك لأن مبدأها من اللثة أو مخرجها من قرب اللثة(٥).

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٣.

(٢) العين للخليل بن أحـمد، ١/ ٦٥، نهاية القـول المفيد، مـحمد مكى، ص٣٤، أصـوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٤.

(٣) النشر فى القراءات العـشر، ابن الجزرى، ١/ ٢٠١، نهاية القول المفيـد، محمد مكى، ص٣٦، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٤.

(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٦.

(٥) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٤.

٨- الأحرف الذلقية، وهى الراء واللام والنون المظهرة، واللام أوسع الحروف مخرجًا إذ يمكن إخراجها من كلتا حافتى اللسان وما يحاذيهما من لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين، والنون المظهرة من طرفه بينه وبين ما فويق الثنايا، أما الراء فهى أدخل فى ظهر اللسان ما بين رأسه وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين، وسميت بذلك لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو طرفه(١).

٩- الأحرف الشفوية أو الشفهية، وهى الفاء والباء والميم والواو غير المدية، وسميت بذلك لأن مبدأها من الشفة، غير أن الفاء مما بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين العليين، والثلاث الباقية مما بين الشفتين معًا(٢).

١٠- الأحرف الخيشومية، وهى النون الساكنة أو التنوين، والميم الساكنة حين إدغامها بغتة أو إخفائها، والنون والميم المشددتان، فإن مخرجهما يتحول فى هذه الحالة من مخرجهما الأصلى إلى الأنف والخياشيم(٣).

---

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ٥٢، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٢٣٧، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٥.

(٢) سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/٥٣، مقدمة الجمهرة، ابن دريد، ص٧، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٥.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٥٥.

الفصل الثاني

صفات الحروف - الأصوات

وضح من الدراسات الصوتية فى القديم والحديث أن للأصوات صفات كثيرة، وفى هذا الفصل نلقى الضوء على صفات الأصوات كما ذكرها القدماء من اللغويين والقراء ثم نبين ما ذكره فيها المحدثون فى كل صفة على حدة.

١- المجهور والمهموس:

أولا: المجهور:

عرفه القدماء بأنه حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد ويجرى الصوت[١]. وفى اصطلاح المحدثين: اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء نطق الصوت، والجهر فى اللغة: الإعلان والإظهار: واصطلاحا انحباس جرى النفس عند النطق بالحرف لقوته، وذلك من قوة الاعتماد عليه وحروفه (عظم وزن قارئ ذى غض جد طلب).

ثانيا: المهموس:

عرفه القدماء، بأنه حرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى يجرى معه النفس[٢].

وفى اصطلاح المحدثين: عدم اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء النطق بالحرف، والهمس فى اللغة: الخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا (١٠٨)﴾ [طه]، والمراد به حس مشى الأقدام إلى المحشر.

(١) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٣٤.

(٢) السابق، ٤/ ٤٣٤.

واصطلاحـا: جريان النفس عند النطق بالحـرف لضعـفه وذلك من ضـعف الاعتماد عليه، وحروفه مجموعة فى قولهم: «فحشه شخص سكت»[1].

وقد ذكر العلماء بعض التجارب للفرق بين المجهور والمهموس وهى:

(أ) وضع الأصبع على البروز الحنجرى «تفاحة آدم»، ثم النطق بالحرف فإذا اهتز الوتران الصوتيان شعـرنا بهذا الاهتزاز، وكان الصوت مجـهورًا وإذا لم نشعر بشىء يكون الصوت مهموسًا.

(ب) وضع الأصبع فى الأذن ثم النطق بالحرف فنحس برنين الصوت فى الرأس إذا كان الصوت مـجهورًا نتيـجة لاهتزاز الأوتار الصوتية، ولا نشـعر بذلك عند النطق بالصوت المهموس.

(جـ) وضع الكف على الجبهة فى أثناء النـطق بالصوت فنجد الرنين السابق وتحس به الكف عند اهتزاز الأوتار الصـوتية مع الصوت المجهـور، ولا يحدث ذلك مع المهموس.

٢- الشديد والرخو والمتوسط:

أولا: الشديد:

عـرف القدامى الشـديد بأنه الحرف الـذى يمنع الصوت من أن يجـرى فيـه كالقاف والطاء.

وعرفـه المحدثون بأنه: هـو الذى يحدث عند التـقاء عضـوى النطق التـقاء محكمًا يمنع الهواء من المرور ثم ينفصل العضـوان بسرعة ينشأ عنها صوت قوى له دوى وانفجار كـالدال؛ ولذلك سموه انفجـاريا، فالشديد فى عرف الـقدماء، هو الانفجارى فى عرف المحدثين[2].

---

(١) ينظر فى ذلك: نهاية القول المفـيد، محمد مكى، ص٤٤، أصوات اللغـة العربية، أ.د. هلال، ص١٦٢، مقدمة فى أصوات اللغة العربـية، أ.د. البركاوى، ص٩٩، الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص٦٥.

(٢) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٧١.

ومعنى الـشدة فى اللغة القـوة، واصطلاحًا: انحـباس جرى الـصوت عند النطق بالحرف لكمال قوة الاعـتماد على المخرج(١)، وحروف الشدة مجـموعة فى قولهم: أجـد قط بكت، ولقبـت بالشدة؛ لاشتـداد الحرف فى مـخرجـه حتى لا يخرج معه صوت(٢).

ثانيا: الرخو:

عرفـها القـدماء بأنها: الصـوت الذى يجرى فـيه الصوت كـالسين والشين والحاء.

وعرفـها المحدثون بأنهـا: عدم الإعاقـة الكاملة للهواء أثناء خـروج الصوت والاكتفاء بتضييق المجرى بحيث يسمح للهواء بالمرور(٣).

أو هو الصوت الذى يحـدث عند التقاء عضـوى النطق التقاء غيـر محكم، بحيث يسمح للهواء المندفع من الرئتين بالمرور مع إحداث نوع من الحفيف، ومعنى هذه الصـفة فى اللغـة: اللين، واصطلاحًـا: جريان الصـوت مع الحرف لضـعف الاعتماد على المخرج(٤) وسماه المحدثون بأنه احتكاكى.

ثالثا: التوسط بين الشدة والرخاوة:

وذلك لأن الهواء يخرج من بين عضـوى النطق نتيجة التقائهـما غير المحكم فيسمح للهواء بالمرور دون إصدار حفيف.

وقد سماها المحـدثون بأنها حروف مائعة، وقالوا عنهـا: إنها الصوت الذى يحدث نتيجـة التقاء عضوى النطق التقـاء غير محكم(٥)، ويتفق هذا مع ما ذكره القدماء عن هذه الصفة.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٤٦.

(٢) السابق، ص٤٦.

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٠.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٤٦.

(٥) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٧٣.

أما علماء القراءات فقالوا عن هذه الصفة إنها: عدم كمال احتباس الصوت، وعدم كمال جريه، وحروفه خمسة يجمعها قولك «لن عمر»، وإنما كانت مرتبتها بين مرتبتين (أى الشدة والرخاوة) لأن الرخوة إذا نطق بها جرى معها الصوت، والشديدة إذا نطق بها انحبس معها الصوت ولم يجر، والتى بين الشدة والرخاوة إذا نطق بها لم يجر معها الصوت جريانه مع الرخوة، ولم ينحبس انحباسه مع الشديدة، وتسمى هذه الحروف أيضًا بينية»[1].

من ذلك يمكن القول بأن القدماء والمحدثين اتفقوا على أن الأصوات الشديدة هى: ء، ب، ت، د، ج، ق، ط، ك.

والأصوات الرخوة أو الاحتكاكية هى: ث، ح، خ، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، غ، هـ، والمتوسطة هى: ر، ل، م، ن. أما اختلافهم ففى: ج، ض، ع.

فالجيم عند القدماء شديد، وعند المحدثين قليل الشدة، أو انفجارى احتكاكى، والضاد عند القدماء، قليلة الشدة وعند المحدثين شديد أو انفجارى[2]. والعين عند القدماء متوسط، ولكنه عند المحدثين لم يتضح أمره.

٣- المطبق والمنفتح:

أ - **الإطباق** معناه فى اللغة الإلصاق، واصطلاحًا: إطباق أى تلاصُق ما حاذى اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند التلفظ بالحرف، وحروفه مجموعة فى قولهم: وصاد ضاد طاء ظاء مطبقة، والمطبق إنما هو اللسان وليس الحرف؛ لأن المطبق هو اللسان والحنك، وأما الحرف فهو مطبق عنده، فتجوزوا فى تسميتها مطبقة، وهذه الأصوات بعضها أقوى من بعض فى الإطباق، فالطاء أقواها فى الإطباق لجهرها وشدتها، والظاء المعجمة أضعفها فى الإطباق لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان، والصاد والضاد متوسطتان فى الإطباق[3].

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٤٧.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٧٤.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥١.

ب- **الانفتاح** معناه فى اللغة: الافتـراق، واصطلاحا تجافى كل من طائفتى اللسان والحنك عن الأخرى حتى يخرج الريح عند النطق بالحرف، وحروفه ما عدا حروف الإطباق.

وسمـيت منفتحة لانفـتاح ما بين اللسـان والحنك الأعلى وخروج الريح من بينهما عند النطق بها[1].

٤- الاستعلاء والاستفال:

(أ) **الاستـعلاء** معناه فى اللغة: الارتفـاع، وفى الاصطلاح: ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى، وحروفه سبعة مجموعة فى قولهم: «خص ضغط قظ»، وأشدها استعلاء القاف وسـميت مستعلية؛ لأن اللسان يعلو عند النطق بها إلى الحنـك الأعلى، ويجوز أن تكون تسمـيتها مـستعليـة، لخروج صوتها من جهة العلو؛ لأن كل ما حل فى عـال فهو مستعل[2]. والمعتبر فى الاستعلاء، استعلاء أقصى اللسان سواء استعلى معه بقية اللسان أم لا.

(ب) **الاستـفال**، معناه فى اللغـة الانخفاض، واصطلاحًـا: انحطاط اللسان عند خروج الحرف عن الحنك إلى قـاع الفم، وحروفه ما عدا حروف الاسـتعلاء، وسميت مستفلة؛ لأن اللسان لا يستعلى بها إلى الحنك الأعلى[3].

٥- الذلاقة والإصمات:

(أ) **الذلاقة**: فى اللغة: حدة اللسان وبلاغتـه وطلاقته، واصطلاحا سرعة النطق بها لخروجها من طرف اللسان وطرف الشفة.

وحروفها مجموعة فى قولهم «فر من لب» وسمـيت مذلقة لخفتها وسهولتها وكثرة امتزاجها بغيرها[4].

---

(١) السابق، ص٥٢.

(٢) السابق، ص٤٩.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٠.

(٤) السابق، ص٥٢ بتصرف.

(ب) **الإصمات**: معناه فى اللغة: المنع؛ لأن من صمت منع نفسه من الكلام، واصطلاحًا: منع انفرادها أصولا فى بنات الأربع والخمس، بمعنى أن كل كلمة على أربع أحرف أو خمسة أصولاً لابد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف المذلقة لتعادل خفة المذلق ثقل المصمت.

وسميت مصمتة لأنها منعت أن تختص ببناء كلمة فى لغة العرب إذا كثرت حروفها لصعوبتها على اللسان(١).

قال الخليل: فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون فى تلك الكلمة حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب(٢).

هذه هى الصفات التى لابد من وجود خمس منها فى كل صوت، وهى الصفات المزدوجة أو الصفات التى لها ضد.

وهناك صفات مفردة، أو صفات لا ضد لها، وإليك بيانها:

الصفات التى لا ضد لها:

١- **الصفير**: ومعناه لغة: صوت يصوت به للبهائم، واصطلاحًا: صوت زائد يخرج من بين الشفتين يصحب حروفه الثلاثة عند خروجها، وهى: ص، ز، س.

وسميت بذلك لأنك إذا قلت: أص، أز، أس، سمعت لها صوتًا يشبه صفير الطائر، لأنها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هناك إذا سكنت، والصاد تشبه صوت الأوز والزاء تشبه صوت النحل، والسين تشبه صوت الجراد.

---

(١) السابق، ص٥٢.

(٢) العين، الخليل بن أحمد، ١/ ٥٨.

وقد فرق القدماء بين الأصوات الثلاثة فى الصفير، وهو ما لم يفعله العلم الحديث، فقد ذكر القدماء أن أقواها فى الصفير الصاد لاستعلائها وإطباقها ثم الزاى لجرها، وأضعفها السين لهمسها، والهمس الخفاء كما تقدم[1].

٢- **القلقلة**: وهى فى اللغة: شدة الصياح، واصطلاحا: صوت زائد يحدث فى المخرج بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الضغط، وذلك الصوت الزائد يحدث بفتح المخرج بتصويت. فحصل تحريك مخرج الحرف، وتحريك صوته.. أما المخرج فقد تحرك بسبب انفكاك دفعى بعد التصاق محكم، وأما الصوت فقد تبدل فى السمع وذلك ظاهر[2].

وما ذكره علماؤنا القدامى هو تعبير دقيق عن هذه الصفة، أما المحدثون فقالوا عن هذه الصفة أنها مركبة أى من انفجار واحتكاك، بينما نص القدماء على أن الانفجار يكون بعد ضغط المخرج وحصول الحرف فيه بذلك الضغط، وأن ذلك الاحتكاك الذى ذكره المحدثون، وهو ما قال عنه القدماء، الصوت الزائد الذى يحدث بفتح المخرج بتصويت.

واشترط الجمهور فى إطلاق اسم القلقلة على ذلك الصوت الزائد، أن يكون قويا جهريا، بسبب أنه حاصل بفك المخرج دفعة واحدة بعد التصاقه لصقا محكمًا؛ ولذلك خصوا هذه الصفة بحروف اجتمع فيها الشدة والجهر، فالشدة تحصر الصوت لشدة ضغطه فى المخرج، والجهر يمنع جرى النفس عند انفتاح المخرج، وهذه الحروف هى حروف «قطب، جد»[3].

٣- **اللين**: ومعناه فى اللغة ضد الخشونة: واصطلاحًا: إخراج الحرف بعدم كلفة على اللسان، وهو صفة لازمة للواو والياء التحتية الساكنتين المفتوح ما قبلهما مثل «خوف، بيت»، فهما حرفا لين، ولا يمدان وصلا، ويجوز مدهما وقفا،

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٣.

(٢) السابق، ص٥٣، ٥٤.

(٣) الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص١٢٥.

وذلك إذا وقع بعدهما ساكنة مثل خوف - بيت، ويكون وصفهما باللين أيضًا عند مجانسة الحركة السابقة عليهما مثل: هود، شيث، وموسى[١].

٤- **الانحراف**: ومعناه لغة: الميل والعدول، واصطلاحًا: ميل الحرف بعد خروجه إلى طرف اللسان، وهو صفة لحرفين: اللام والراء، وإنما وصفا بالانحراف لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما[٢].

وقد أطلق المحدثون على هذه الصفة، بأنها جانبية؛ ولذلك قال د. بشر: وقد أصاب العرب فى تسميته - أى اللام - بالصوت المنحرف[٣].

وإذا كان القدماء جعلوا هذه الصفة تختص بصوتين هما اللام والراء، وارتضى ذلك المحدثون بالنسبة للام، ولم يتكلموا عن ذلك فى الراء[٤]، فإن القدماء فسروا الانحراف فى الصوتين، فاللام فيها انحراف أى ميل إلى ناحية طرف اللسان، والراء أيضًا فيها انحراف إلى ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللام؛ ولذلك يجعلها الألثغ لاما.

وهناك تعبير آخر للانحراف فى الصوتين، أن اللام سميت منحرفة لانحرافها عن حكم الشديدة وعن حكم الرخوة.

وأما الراء، فهو حرف انحرف به عن مخرج النون، الذى هو أقرب المخارج إليه، إلى مخرج اللام، وهو أبعد عن مخرج النون فسمى منحرفا لذلك[٥].

٥- **التكرير**: ومعناه لغة إعادة الشيء مرة أو أكثر، واصطلاحًا ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وهو صفة لازمة للراء[٦].

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٦.

(٢) السابق، ص٥٦.

(٣) الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص١٢٩.

(٤) ينظر: الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص١٢٩، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٢، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١١٤.

(٥) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٦، ٥٧ بتصرف.

(٦) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٧.

وقد اتفق القـدماء والمحدثون[1] على صفة التكـرير فى صوت الراء، بيد أن القدماء وضحوا هذه الصفة أكثر من المحدثين، فقالوا:

ومعنى وصفه بالتكرير كونه قابلاً به، وأكثـر ما يظهر إذا كان الحرف مشدداً نحو «كـرّة ومرّة» فيجب علـى القارئ أن يخفى تكريره ولا يظهـره، وليس معنى إخفاء تكريره إعدام تكريره بالكلية بإعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية، لأن ذلك لا يمكن إلا بالمبالغـة فى لصق رأس اللسان باللثـة بحيث ينحـصر ذلك اللصق فيـها بالكلية، وذلك خطأ لا يجوز، بل معناه تقوية ذلك اللصق بحيث لا يتبين التكرير والارتعاد فى السمع ولا يميز اللافظ ولا السامع بين المكررين[2].

فأعجب لصنيع القدماء الذين لم تتوافر لهم الأجهزة المتوافرة للمحدثين، ومع ذلك أتوا بذلك التوضيح الذى يكشف عن حقيقة هذه الصفة ويوضح معالمها.

٦- **التفـشى**: ومـعناه لغة الانتـشـار والانبثـاث، وقـيل معناه الاتسـاع. واصطلاحًا: انتـشار الريح فى الفم عند النـطق بالشين حتى يتصـل بمخرج الظاء، والتفشى ريح زائدة تنتشر فى الفم عند النطق بالشين[3].

وإذا كان القدماء والمحـدثون اتفقوا على مخرج صوت الشـين، فإن القدماء نظروا إلى صفة الانتشار التى تحدث فى الفم عند النطق بهذا الحرف.

٧- **الاستطالة**: ومعناها لغـة الامتداد، وقـيل بعد المسافـتين. واصطلاحًا: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها، وهى صفة للضاد المعجمة[4].

أما المحدثون، فقد وضعوا صـوت الضاد ضمن الأصوات الانفجارية، وهذا باعتبار نطقها اليوم، أما الضاد العـربية فهى رخوة تخرج من أول حافة اللسان وما يليه[5].

(١) الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص١٣٩، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٢.
(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٧.
(٣) السابق، ص٥٨.
(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٨.
(٥) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٨.

والصفـات المتضادة، هى الخمس الأول مـن النوعين، ولا بد أن يتصف كل حرف بخمس من الصفات المتقابلة أو المتضادة، أما غير المتقابلة فتارة يتصف بصفة أو صفتين منها، وتارة لا يتصف بشىء.

وبعـد هذا البيـان يتضح أن حـديث القـدامى عن الجهـر والهمس والشـدة والرخـاوة والتوسط يتـفق مع وجهـة نظر المحدثين، وكل مـا يمكن ملاحظتـه هو اختلاف فى التسمـية كتسمية المحدثين الشديد بالانـفجارى، والرخو بالاحتكاكى، والمتوسط بالمائع، فالمسألة اختلاف ألفاظ ومصطلحات فقط[1].

بل يبقى للقـدامى فضل السبق ومـعرفتهم الدقـيقة لهذه الصـفات ووصف المخارج وصفًا دقيقًا، كما أن هناك ما لم يصل إليه المحدثون من وضع مسمى له، كالانتشار والتفشى فى السين والصفير فى أحرفه والاستطالة فى الضاد.

وكذلك وصفهم لمخرج الميم، ووصـفهم لصفة القلقلة التى تحدث مع بعض الحروف.

وتسمية القدماء للحروف المتوسطة أكمل وأقوى من تسـميتها مائعة كما ذكر المحدثون.

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٠.

الفصل الثالث
صفات الحروف وكيفية خروجها

بعد أن بينا مخارج الحروف وصفاتها، نبين فى هذا الفصل كل حرف على حدة، وما له من صفات، وكيفية مخرجه. ونبدأ بمشيئة الله تعالى بالحروف الحلقية. كما فعل القدامى أى من الداخل إلى الخارج:

الهمزة: ومخرجها من أقصى الحلق، يعنى أبعده مما يلى الصدر، ولها من الصفات خمس، الجهر، والشدة، والإصمات، والانفتاح، والاستفال[1].

وهذا الحرف اختلف حوله القدماء والمحدثون، فيرى الأقدمون أنه من حروف أقصى الحلق، وهو الرأى المعتمد فى نظرهم، إذ ذكر الخليل أن الهمزة من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة[2]. أما ما ذكره الليث ونسبه إلى الخليل من أن الهمزة حرف هوائى لأنها تخرج من الجوف فذاك ما لا يتأتى من عالم فذ كالخليل، ولعله خطأ فى النقل أو غلط من الليث، إذ كيف ينسب الخليل الهمزة إلى الحلق، ثم ينسبها إلى الجوف، ويدل على ذلك قول الليث أيضًا بعد ذكر الهمزة من الجوف قوله: «وكان يقول الألف اللينة والواو والياء هوائية، فلماذا لم يذكر الهمزة؟». فنسبة القول بأن الهمزة من الجوف إلى الخليل نسبة غير صحيحة ولا تستقيم مع عقلية الخليل، ولا مع ما ذكره.

ويرى المحدثون أن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار؛ لأن فتحة المزمار تنطبق انطباقًا تامًّا عند النطق بها فلا يتسرب شىء من الهواء إلى الحلق

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٦٥.

(٢) العين، الخليل ابن أحمد، ١/ ٥٨.

ثم تنفرج فتحة المزمار فيسمع صوت انفجارى هو ما يعبر عنه بالهمزة[1].

وذكر القدماء أن الهمزة من الحروف المجهورة، وذلك بناء على مذهبهم فى تعريف الجمهور، فقد عرفوه بأنه ما يمنع النفس أن يجرى معه، حتى ينقضى الاعتماد، والهمزة من الأصوات التى تمنع النفس عند مروره بالحنجرة[2].

أما المحدثون فقالوا إنها غير مجهورة، ولكنهم اختلفوا فى وصفها، فذهب بعضهم إلى أنها مهموسة، ومن هؤلاء د. تمام حسان، ود. أيوب، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، ومن هؤلاء دانيال جونز، ود. أنيس، ولكل وجهة.

فالذين قالوا إن الهمزة مهموسة، بنوا رأيهم على أن للحنجرة وظيفتين: ذبذبة الأوتار الصوتية وهى صفة الجهر، وعدم ذبذبتها وهى صفة الهمس، ويدخل فى حالة عدم الذبذبة حالة الاحتباس فى الحنجرة مع صوت الهمزة؛ لأن الانحباس فى هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصوتية انطباقًا تامًا، وهو أمر يناقض التذبذب؛ ولذلك يقولون إن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعنى عدم التذبذب[3].

والذين قالوا إنها صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس فقد بنوا مذهبهم على أن للحنجرة ثلاث وظائف:

١- الاحتباس فى صوت الهمزة وحدها.

٢- الانفتاح دون ذبذبة وذلك فى المهموسات.

٣- الانفتاح مع ذبذبة وذلك فى المجهورات[4].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨١.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨١.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٢، أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص١٨٣.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٣.

ويبدو لى أن وصف القدماء للهمزة بالجهر رأى سديد؛ وذلك لأن المجهورات الأخرى خلاف الهمزة فيها مسافة بين الأوتار الصوتية التى تحدث الجهر، وبين مخرج الحرف، كالجيم والذال وسائر المجهورات، أما مع الهمزة فليس هناك متسع ولا مسافة إذ الهمزة من أقصى الحلق، والمسافة بين أقصى الحلق وبين الأوتار الصوتية قليلة جدا بل تكاد تتلاشى هذه المسافة.

كما أن القدماء دقيقون فى وصفهم، إذ اعتبروا المجهور هو الذى يمنع النفس، والشديد: هو الذى يمنع الصوت، وقد وصفوا الهمزة بالجهر والشدة؛ لأنها يتأتى فيها حبس النفس وحبس الصوت، وقد يكون هذا الجهر قبل تشكيل الصوت أو بعد تشكيله.

الهاء: ومخرجها من أقصى الحلق، بمعنى أن أقصى الحلق ينقسم إلى مخرجين جزئيين متقاربين، يخرج من أولهما مما يلى الصدر الهمزة، ومن ثانيهما الهاء، ولها خمس صفات، وهى الهمس، والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والإصمات، ومن صفاتها الخفاء؛ لأنها تخفى فى اللفظ(١).

ويزيدنا السخاوى فى نونيته الفرق بين الهمزة والهاء، وأرى أن هذا التفريق يقوى ما قاله القدماء من اتصاف الهمزة بالجهر والشدة، قال السخاوى: «فلولا الهمس والرخاوة اللذان فى الهاء مع شدة الخفاء لكانت همزة، ولولا الشدة والجهر اللذان فى الهمزة لكانت هاء، إذ المخرج واحد»(٢).

وعلى رأى المحدثين لو كانت الهمزة مهموسة لكانت هاء، كما يرى القدماء، أما ولم تكن هاء، فإنها همزة، وهى مجهورة.

العين: وتخرج من وسط الحلق، وفى حالة تكون هذا الصوت يمر الهواء بالقصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة فتنقبض فتحة المزمار فيهتز الهواء محدثًا الجهر ثم يتتابع مروره مارا بأقصى الحلق فإذا وصل إلى وسطه ضاق مجرى الهواء

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٣، ٦٦.

(٢) السابق، ص٦٦.

ضيقًا يسمح للهواء بالمرور دون حبس، كما يكون ضيق الأوتار الصوتية نسبيا حتى لا تحدث الرخاوة، فهو من الحروف المتوسطة بين الشدة والرخاوة، وله من الصفات خمس: الجهر والبينية - أو التوسط - والاستفال والانفتاح والإصمات، ولولا الجهر وبعض الشدة التى فى العين لكانت «حاء»، وكذلك لولا الهمس والرخاوة اللذان فى الهاء لكانت عينا[1].

الحاء: وهى تخرج من المخرج الثانى من وسط الحلق، ويخرج عندما يمر الهواء من القصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ويتسع مجرى الهواء ويبتعد الوتران الصوتيان كل منهما عن الآخر وينتقل الهواء إلى وسط الحلق فيضيق مجرى الهواء ليسمح للهواء بالمرور محدثا نوعًا من الحفيف، لذلك كان صوت الحاء رخوًا فى عرف القدماء، احتكاكيا فى عرف المحدثين، وللحاء خمس صفات هى: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات[2].

الغين: ويخرج صوت الغين من أدنى الحلق مما يلى الفم، ويخرج هذا الصوت حين يمر هواء الرئتين بالقصبة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين فيحدث الاهتزاز أو الذبذبة ثم يتخذ الهواء طريقه فى الحلق حتى يصل إلى أدناه من الفم، ويضيق المجرى فيحدث نوعًا من الحفيف فيتكون بذلك صوت الغين، واعتبر المحدثون مخرجه من أقصى الحنك وأقصى اللسان[3].

وصفات الغين خمس وهى: الجهر والرخاوة والاستعلاء والانفتاح والإصمات، ويحترز فيها من الهمس حتى لا تلتبس بالخاء[4].

---

(١) السابق، ص٦٨.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٣، ٦٩.

(٣) ينظر فى ذلك: الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص٩٠، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٤.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٠.

الخاء: هذا الصوت آخر الأصوات الحلقية، ومخرجه أدنى الحلق مما يلى الفم، وحقيقته بعد مخرج الغين؛ لأن أدنى الحلق مخرج واحد له مخرجان جزئيان، أولهما الغين، وثانيهما الخاء، ويخرج هذا الصوت عندما يمر الهواء بالقصبة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فلا يحرك الأوتار الصوتية ولا يؤثر فيها بالاهتزاز، ثم يصل إلى أدنى الحلق، ويضيق المجرى فيحدث نوعًا من الحفيف فتتكون الخاء فى أدنى الحلق.

وصفاته خمس هى: الهمس والرخاوة والاستعلاء والانفتاح والإصمات، والفرق بينها وبين الغين فى الجهر والهمس فإذا لحقها الجهر صارت غينا، كما أنه إذا لحق الغين الهمس صارت خاء(١).

القاف: يخرج من أقصى اللسان يعنى أبعده مما يلى الحلق، وما يحاذيه من الحنك الأعلى(٢).

ونظراً للتقارب الشديد بين مخرج كل من الغين والخاء من ناحية ومخرج القاف من ناحية أخرى، فقد اعتبر بعض المحدثين أن الأصوات الثلاثة تخرج من الهاء(٣).

فإذا كان المحدثون يتفقون مع القدماء فى مخرج هذا الصوت، فقد اختلفوا فى الجهر والهمس بالنسبة له، فيرى القدماء أنه صوت مجهور، بينما يرى المحدثون أنه صوت مهموس حسب نطق مُجيدى القراءات القرآنية، وقد لاحظ المحدثون أن السودانيين العرب ينطقون القاف مجهورة قريبة من الغين، وكذلك بعض القبائل فى جنوب العراق، كما لاحظوا أن معظم البدو ينطقون القاف شبيهة بالجيم القاهرية ولكنها أعمق منها فى أقصى الفم وأكثر استعلاء.

---

(١) السابق، ص٧٠ بتصرف.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٠.

(٣) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١١٠.

وعلى ذلك فالمحدثون يرون أن القاف العربية القديمة كانت تنطق إما بالطريقة السودانية أو الطريقة البدوية ثم همس عـلى توالى الأيام، والتطور سنة الحياة، فقد أصبحنا اليوم نسمع للقـاف نطقًا كالهمزة كما فى اللهجـات المصرية، وتنطق جيما كما فى الوجه القبلى بمصر وبعض قبائل البدو فى الصحراء.

وكل هذا لا يمكن رده أو قوله؛ لأن العـرب الفصحاء قد انقـرضوا ولم نعد نستطيع الـوقوف على الطريقة التى كـانوا يتبـعونها فى نطق هـذا الصوت، ولكن وصف علمائنا له بالجهر أنه لم يكن كالقاف التى نسمعها الآن(١).

وإنما التى نسمـعها الآن قافًا مـتطورة، اعتراها الكثـير من التغييـر، أما التى وصفـها القدمـاء فصفـاتها ست، الجهـر والشدة والاستـعلاء والقلقلة والانفـتاح والإصمات، وصفة الجهـر التى ينكرها المحدثون هى الفارقة بينها وبين الكاف، إذ لولا الجهر والاستعلاء فيها لكانت كافًا(٢).

الكاف: ومخرجـه ما بين أقصى اللسان بـعد مخرج القاف ومـا يحاذيه من الحنك الأعلى، ومخرج الكاف أقرب إلى مقدم الفم من مخرج القاف(٣)، وكيفية نطقه أن يمر الهـواء بالقصبة الهـوائية ثم إلى الحنجرة فلا يؤثر فى الأوتار الـصوتية بالتذبذب، ويظل مـارًا بالحلق، حتى إذا وصل إلى أقصى اللسـان اتصل بما يقابله من الحنك الأعلى اتصالا يمـنع من تسرب الهواء ثم ينفـتح المخرج محـدثًا صوت الكاف.

وصفاته خمس هى: الهمس والشدة والانفـتاح والاستفال والإصمات، ولا بد فيهـا من المحافظة على الهمس والشدة لئلا يذهب بهـا إلى الكاف الصماء التى فى لغة العجم، ولا يجر الصوت معها كما يفعله بعض النبط والأعاجم(٤).

---

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العـربية، أ.د. هلال، ص١٨٤، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٦٩، علم اللغة، د. السعران، ص١٦٠.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧١.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٤.

(٤) السابق، ص٧٢.

الجيم: يخرج صوت الجيم من بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويتفق القدماء والمحدثون فى مخرج هذا الصوت ولكن الأقدمين يصفونه بالشدة، والمحدثين يصفونه بأنه قليل الشدة؛ لأنه حال انفصاله ينفصل انفصالا بطيئًا، وهذا الانفصال أبطأ من الانفصال مع الحروف الشديدة[1]؛ ولذلك يمكن أن توصف الجيم العربية الفصيحة بأنها صوت قليل الشدة.

ووصفه الدكتور تمام بأنه غارى مركب مجهور مرقق، وانفصاله ببطء يحدث صوتًا شبيهًا بصوت الجيم الشامية[2]. ومعنى هذا أن الصوت يجمع بين الشدة والرخاوة فهو مركب، وهذا الرأى مبنى على نطق القراء؛ لأن هذا النطق أقرب إلى الجيم الأصلية والأولى اعتبار الجيم صوتًا شديدًا كما يقول الأقدمون، لا قليل الشدة كما يقول بعض المحدثين.

وقد تطورت الجيم فى اللهجات الحديثة فينطقها القاهريون خالية من التعطيش، وينطقها بعض أهالى الصعيد دالا، ويبالغ السوريون فى تعطيشها. وصفاتها ست وهى: الجهر، والشدة، والانفتاح، والاستفال، والإصمات، والقلقلة، ويجب بيان جهرها وشدتها وإلا عادت شينا[3].

الشين: ومخرجه من بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى[4] وهو مما اتفق على مخرجه المحدثون والقدماء، ويحدث عندما يمر الهواء بالقصبة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فلا يؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز، ثم يتابع الهواء سيره مارًا بالحلق ثم بأقصى الحنك حتى يصل إلى وسطه فيتصل وسط اللسان بما يحاذيه من الحنك الأعلى اتصالا غير تام مع إحداث نوع من الحفيف أو الاحتكاك فيحدث صوت الشين، وعدها المحدثون من الأصوات اللثوية الحنكية[5] ولها من

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٥.

(٢) السابق، ص١٨٥.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٢.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٤.

(٥) الأصوات العربية، أ.د. بشر، ص٩٠.

الصفات ست، وهى: الهمس والرخاوة والاستفـال والانفتاح والإصمات والتفشى.
والتفشى فيها على ثلاثة أقسام:

١- أعلى: ويكون فى الشين حال تشديدها مثل الشّاكرين، الشّيطان.

٢- أوسط: ويكون فى الشين حال سكونها مثل: اشْتراه، الرشْد.

٣- أدنى: ويكون فى الشين حال تحركـها مثل، يغشَى ويخشَى، ولا بد فـيها من إظهار التفشى وإلا صارت كالجيم(١).

الياء غير المدية: ومخرجها مـن بين وسط اللسان وما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج هذا الصوت عندما يمر الهواء بالقصـبة الهوائية إلى الحنجرة فيؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز، ثم يتجاوز الحنجرة إلى الحلق، ثم إلى أقصى الحنك فإذا وصل إلى وسط الحنك، حدث تضييق فى مجرى الهواء أثناء النطق بها نتيجة لاقتراب وسط اللسان بما يحاذيه من الحنك الأعلى، وهو مخرج الياء(٢).

وصفاتها هى: الجهر والرخاوة والانفتاح والاستفال والإصمات(٣).

الضاد: وهى تخـرج من بين إحدى حـافـتى اللسان ومـا يحـاذيهمـا من الأضراس العليا، وأول تلك الحـافة مما يلى الحلق، وما يحاذى وسط اللســان بعيد مخرج الياء، وخروجها من الجهـة اليسرى أسهل ومن اليمنى أصعب ومن الجانبين معًا أعز وأعسر(٤).

والضاد بهذا الوصف كـانت إحدى خصائص لهجة قريـش، وهى بهذا كما يقول براجـستراسـر: حرف غريب غـير موجـود حسب ما يعـرف من اللغات إلا العربية، ولذلك كانـوا يكنون عن العربية بأنها لغة الضاد، وعند المحـدثين مخرجه

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٣.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٩.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٤.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٤.

حين يمر الهواء بالحنجرة، فيهتز الوتران الصوتيان ويحدث تضييق بين مؤخر اللسان وأقصى الحنك من أجل الإطباق، ثم يمر الهواء إلى أن يحدث غلق محكم بين مقدم اللسان واللثة وأصول الثنايا العليا(١).

وبذلك يختلف مخرج الضاد عند المحدثين عن القدماء، أما فى الصفات فهى قليلة الشدة عند القدماء، وهو صوت شديد عند المحدثين لاتصال الأعضاء أثناء النطق به اتصالا محكمًا، وفى رأى الأستاذ براجستراسر، تشبه فى مخرجها مخرج اللام الذى هو أيضًا من حافة اللسان؛ ولذلك كانت العرب تبدل منها اللام فى اضطجع، فيقولون الطجع، وأهل حضرموت ينطقونها باللام المطبقة، والمعهود نطقها قريبة من الظاء، وأقدم مثال على ذلك، فى لفظ «الضنين» فى سورة التكوير، فقد قرأها كثيرون بالظاء، «الظنين».

وكما يقول أستاذنا الدكتور نجا - عليه رحمة الله -: يبدو أن الضاد القديمة قد نالها التطور الذى غيَّر مجرى مرورها من الجانب أو الجانبين إلى أن وصلت إلى الصورة التى هى عليها الآن، كما تسبب فى اختلاف صفتها من قليلة الشدة إلى شديدة(٢).

أما صفاتها فهى ست، هى: الجهر، والرخاوة، والإطباق، والاستعلاء، والإصمات، والاستطالة، وهذا الحرف عسير وقلَّ من يحسنه، فمنهم من يخرجه ظاء معجمة لأنه يشارك الظاء فى صفاته إلا فى الاستطالة، ولا يجوز ذلك فى كتاب الله، ومنهم من لا يوصلها إلى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة، ومنهم من يجعلها دالا مفخمة(٣).

اللام: وقد حدد القدماء مخرجها بدقة فقالوا إن هذا الصوت يخرج: من بين حافتى اللسان معًا بعد مخرج الضاد، وما يحاذيهما من اللثة - أى لحمة

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٨.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٩٠، التجويد والأصوات، أ.د. نجا، ص٤٢، ٤٤.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧٥.

الأسنان العليا·- وهى لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين والثنيتين وليس فى الحروف أوسع مخرجًا منه[1].

ويتفق المحدثون مع القدماء فى مخرج هذا الصوت، فإن هذا الصوت يغلق وسط الممر مع السماح للهواء بالخروج من جانبيه فى الوقت نفسه[2]. وهذا الصوت وصفه القدماء بالانحراف، ووصفه المحدثون بأنه جانبى، وقد علل القدماء تسميتهم له بالانحراف، لأنه انحرف عن مخرجه إلى مخرج غيره، أو لأنه انحرف به اللسان مع الصوت إلى الشدة فلم يعترض على الصوت، وعن الرخوة فلم يجر معه الصوت[3].

ولهذا الصوت من الصفات ست، هى: الجهر، والبينية، والانفتاح، والإذلاق، والانحراف، والاستفال.

وهذا الصوت من الأصوات التى جعلها المحدثون من الأصوات اللثوية[4]. وجعلوا معها صوتى النون والراء.

النون: ما بين رأس اللسان وما يحاذيه من لثة الثنيتين العليين، ويخرج منه النون المظهرة، وقيدنا بالمظهرة، ؛ لأن النون المخفاة عنه مخرجها الخيشوم[5].

وفى رأيى أن تسمية هذه الأصوات لثوية، إنما هو مفسر لما ذكر القدماء، ففى هذه الأحرف نص القدماء على أن رأس اللسان يلتقى مع ما يحاذيه من اللثة، بل إن القدماء حددوا نقطة التقاء عضوَى النطق، ففى اللام لثة الضاحكين والنابين والرباعيتين والثنيتين، وفى النون لثة الثنيتين العليين، أما المحدثون فاكتفوا بوصفهما لثوية فقط.

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٥.

(٢) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢٢.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٥٦.

(٤) ينظر دراسة الصوت اللغوى، ص٢٧١، العربية معناها ومبناها، ص٧٩، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٧.

(٥) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٥.

ويحدث بـأن يمر الهواء من الرئتين حـتى يصل إلى الحنجرة فـتهـتز الأوتار الصوتية ثم يمر الهواء حتى يصل إلى طرف اللسان متجاوزًا أقصاه ووسطه.

فيلتقى طرف اللسان مع لثة الثنيتين العليين ويـهبط أقصى الحنك فيمر الهواء خلال التجويف الأنفى محدثًا نوعًا من الحفيف.

أما صفات هذا الصـوت فهى: الجهر والتوسط والبينية والانفتـاح والاستفال والإذلاق، وهذه الصفـات إنما هى صفات للنون المتـحركة، أما السـاكنة فهى غُنَّة مخرجها الخيشوم[1].

الراء: ذكر القدماء أن هذا الحـرف يخرج من بين رأس اللسان مع ظهره مما يلى رأسه، وما يحـاذيهما من لثة الثنيتين العليين. وفى الرعـاية، الراء من مخرج النون غـير أنهـا أدخل إلى ظهر اللســان قليـلا، والمراد من ظهر اللســان، مما يلى رأسه، وهى صفحته التى تلى الحنك الأعلى[2].

ويتكون هذا الصوت حـين ينطلق الهواء من الرئتين حتـى يصل إلى الحنجرة فيـحرك الأوتار الصوتيـة ويؤثر فيهـا بالاهتزاز، ثم يغـادر الحنجرة فيـمر بالحلق، فاللســان أقصاه ووسطه حـتى يصل إلى طرفه فـيلتقى طرفه مع اللثـة التقاء غـير محكم، فيسمح للهواء بالمرور مع سماع لون من الحفيف.

وصـفاتهـا: الجهـر والتوسـط والانفتـاح والاستـفال والإذلاق والانحـراف والتكرير[3].

أما الانحـراف فى هذا الصوت فقـد تكلمنا عنه عند ذكر صفـات الحروف، وبينا أن هذا الصـوت من الأصـوات المنحـرفـة، وذكرنا أن المحـدثين لم يذكـروا الانحراف إلا فى اللام، أما التكرير فقد اتفق عليه القدماء والمحدثون.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٠ بتصرف.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٥، الرعاية، مكى بن أبى طالب، ص١٨٨.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨١.

وقد ذكرنا أن المحدثين قالوا عن هذه الأصوات إنها لثوية، وفى نظرى أن ذلك إنما هو من قبيل تعدد المصطلحات، ولا يمثل شيئًا جوهريًا بالنسبة لهذه الأحرف.

الطاء: تخرج عند القدماء من بين رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين، والظاهر أن هذا المخرج ينقسم إلى أجزاء ثلاثة، فما يلى اللثة منها يخرج منه الطاء(١).

واعتبر المحدثون هذا الصوت من الأصوات الأسنانية اللثوية، لأن هذا الصوت يكون عائقا للهواء أثناء النطق به نتيجة لاتصال طرف اللسان بأصول الأسنان واللثة العليا(٢).

وهذا الذى ذكره المحدثون يعتبر وصفًا لما قاله القدماء عن هذا الصوت، أما اختلاف القدماء والمحدثين ففى صفتها، إذ وصفها القدماء بالجهر، ووصفها المحدثون بالهمس.

أما وصف القدماء لها بالجهر فيدل على أن هذا الصوت كان نطقه شبيها بنطق الضاد المعروفة اليوم، لأن هذه الضاد ليست هى الضاد الفصحى فإن الفصحى كانت من جانب اللسان أو من كلا الجانبين على نحو يصعب التفوُّه به، أما الضاد الحديثة فبعيدة كل البعد عن الفصحى، ويظهر أن الطاء التى نطق بها العرب كانت قريبة الشبه من تلك الضاد الحديثة، ويشهد لذلك ما ذكره ابن الجزرى من أن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة، ويشهد لذلك أيضًا قول سيبويه: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شىء من موضعها غيرها» أما الطاء التى ننطقها اليوم

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٦، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٦.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٦.

فتناظرها التاء ولا تناظرها الدال مما يدل على أن النطق الفصيح للطاء، هو نطق الضاد التى ننطقها نحن الآن[1].

ويدل على ذلك أيضًا أن أهل اليمن وصنعاء ينطقون الطاء قريبة من الضاد ففى مطر، وأمطار، تسمعها كأنها مضر وأمضار، وذكر أ.د. عبد الغفار هلال أن أهل صنعاء ينطقون الطاء المجهورة شبيهة بالضاد المصرية.

أما الطاء التى تجرى فى نطقنا اليوم طاء حديثة لم تعرفها العربية من قبل، وهى مهموسة كما يقول المحدثون؛ لأن هذا الوصف ينطبق عليها، وتبقى لهجة صنعاء وغيرها من لهجات البدو شاهدة على النطق الفصيح لصوت الطاء[2].

وصفاتها فى عرف القدماء هى: الجهر والشدة والإطباق والاستعلاء والقلقلة والإصمات[3].

الدال: تخرج من بين ظهر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين بعد مخرج الطاء[4]. وهذا الحرف مما عده المحدثون من الأصوات الأسنانية اللثوية.

وتتكون الدال من مرور الهواء من القصبة الهوائية إلى الحنجرة فيؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز فيحدث الجهر، ثم يمر الهواء من الحلق واللسان حتى يصل إلى طرفه، فيتصل بأصول الثنايا العليا اتصالا محكمًا يترتب عليه حجز الهواء خلفه حجزًا تامّا، ثم ينفصل العضوان انفصالا قويًا يحدث صوتًا انفجاريًا هو صوت الدال، لذلك عدَّه القدماء شديدًا، وعدَّه المحدثون انفجاريًا، أما صفاته فهى الجهر والشدة والانفتاح والاستفال والإصمات والقلقلة[5]، ويجب بيان

---

(١) ينظر فى ذلك: الكتاب، سيبويه، ٢/ ٤٠٦، التجويد والأصوات، د. نجا، ص٤٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٨.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص١٨٩.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٢.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٦.

(٥) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٣.

جـهرها، إذ لولا الجـهر الذى فـيهـا لصـارت تاء، ولولا الهمس الذى فى التـاء لصارت دالا[1].

التاء: تخرج من بين ظهـر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين بعـد مخرج الدال.

ويتكون هذا الصـوت عندما يجاوز الهـواء الرئتين ماراً بالقـصبة الهـوائية، ويصل إلى الحنجرة، فـلا يؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتـزاز، ثم يمر خلال الحلق واللسان حـتى يصل إلى طرفه، فـيلتقى مع أصول الثنايا الـتقاءً مـحكمًا يمنع من تشرب الهواء، وعندما ينفـصل العضوان عن بعضهمـا بقوة يحدث هذا الصوت، فهو شديد عند القـدماء، انفجارى عند المحدثين، أما صفـاته فهى الهمس والشدة والاستفال والانفتاح والإصمات[2].

وجعلها المحدثون من الأصـوات الأسنانية اللثوية[3]. وكما قلنا فهى تسمية حديثة ولا تخرج عما ذكره القدماء فى شىء، لكن القدماء أدق فى وصف مخرج هذه الأحرف، فقـد جعلوا الطاء أولا، وبُعيده الدال، وبُعيد الدال التـاء، وتفترق الطاء والدال عن التاء بالجهر، وتفترق الطاء عن الدال بالإطباق والاستعلاء.

الصاد: ويخرج صوتها من بين رأس اللسان وبين صفحتى الثنيتين العليين، أى صـفحـتهـمـا الداخلتين، والصاد أدخـل فى هذا المخرج، وهذا الصـوت من الأصوات الأسلية[4].

ويتكون هذا الصوت حين ينطلق الهـواء من الرئتين، فيمر بالقصبـة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فلا يؤثر فيها بالاهتزاز، ثم يمر خلال الحلق واللسان حتى يصل إلى طرفه، فـيسامت طرفـه صفحـة الثنيتين العليين، وهذا الالتـقاء غيـر محكم،

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٣.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٤.

(٣) أصوات العربية، د. بشر، ص٨٩.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٦.

لذلك كان الصوت رخوا فى عرف القدماء، احتكاكيا فى عرف المحدثين، ووصفه المحدثون بأنه من الأصوات اللثوية، أى من الأصوات التى يعاق الهواء أثناء النطق بها لاتصال طرف اللسان باللثة[1].

وإذا كان المحدثون جعلوا أصوات الصفير الثلاثة لثوية ولم يفرقوا بينهم، فإن القدماء كانوا أدق فى تحديد مخارج هذه الأصوات.

فقد ذكر صاحب نهاية القول المفيد أن: الصاد أدخل فى هذا المخرج، والزاى أخرج، والسين أوسط، فانظر إلى هذه الدقة التى وصف بها القدماء هذه المخارج، كما ذكروا التفريق فى أصوات كل حرف على حدة كما سبق، وتُفارق الصاد السين فى الإطباق والاستعلاء، وتفارقهما الزاى فى الجهر.

أما صفات هذا الصوت، فهى، الهمس والرخاوة والاستعلاء والإطباق والإصمات والصفير[2].

السين: ويخرج صوتها من بين رأس اللسان ومن صفحتى الثنيتين العليين[3]. وهى كما ذكر صاحب نهاية القولِ المفيد، السين متوسط أى تخرج من بين مخرج صوت الصاد وصوت الزاى.

ويتكون هذا الصوت عندما يترك الهواء الرئتين ويمر خلال القصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجرة فلا يحرك الأوتار الصوتية ولا يؤثر فيها بالاهتزاز، ثم يجاوز الحنجرة والحلق واللسان حتى يصل إلى طرفه، فيلتقى طرفه مسامتا صفحة الثنيتين العليين مع إحداث نوع من الاحتكاك؛ لذلك سمى هذا الصوت رخوا فى عرف القدماء احتكاكيا فى عرف المحدثين، وصفاته المذكورة فى كتب القدماء، هى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات والصفير، وهى من الحروف الأسلية، وعدها المحدثون من الأصوات اللثوية.

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٧.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٥.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٦.

وتفارق السين الزاى فى الهمس، إذ لولا الهمس لكانت زايا، كما أن الزاى إذا لم يحافظ على جهرها لكانت سينا.

الزاى: ويخرج هذا الصوت من بين رأس اللسان وبين صفحتى الثنيتين العليين، وهى أخرج حرف فى هذا المخرج كما ذكر ذلك صاحب نهاية القول المفيد.

ويتكون هذا الصوت عندما يمر الهواء بالقصبة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فيؤثر فى الأوتار الصوتية بالاهتزاز، ثم يمر خلال الحلق واللسان حتى يصل إلى رأسه، فيلتقى بصفحة الثنيتين العليين التقاء غير محكم فيسمح للهواء بالمرور، لذلك كان هذا الصوت رخواً فى اصطلاح القدماء، احتكاكيا فى اصطلاح المحدثين[1]. وهو من الأصوات اللثوية التى ذكرها المحدثون، وصفاته هى الجهر والرخاوة والانفتاح والاستفال والإصمات والصفير[2]. والفرق بينهم أن الصاد تفارق السين والزاى بالإطباق والاستعلاء، وتختص الزاى بالجهر، والسين والصاد بالهمس.

الظاء: يخرج هذا الصوت من بين ظهر اللسان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيتين العليين، وباعتبار الترتيب فى هذه الأحرف الثلاثة، الظاء والذال والثاء، يرى الأقدمون أن اللسان يقرب إلى الخارج فى الثاء، ويقرب فى الذال أكثر مما يقرب فى الظاء[3]. فترتيبها كالآتى حسب ما يفهم من كلامهم، الظاء تليها الذال وبعدها الثاء، وقد سماها المحدثون أصواتا بين أسنانية؛ نظراً لأن العائق الذى يعوق الهواء هو طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا[4]. بينما ذكر القدماء أن هذه الأحرف لثوية، ولكل وجهة.

---

(١) علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٢١.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٦.

(٣) ينظر فى ذلك: نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٦، ٣٧.

(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٦، علم الأصوات، د. بشر، ص٨٩.

ويتكون من مرور الهواء بالقـصبة الهوائية حتى يصل إلى الحنجـرة فيؤثر فى الأوتار الصوتيـة بالاهتزاز، ثم يجاوز الحنجرة إلى الحلق واللســان حتى يصل إلى طرفه، فيلتـقى طرفه بأطراف الثنايا العليا اتصالا غير مـحكم لا يحول دون مرور الهـواء من بينهمـا، لذلك كان رخـواً فى عـرف القدمـاء، احتكاكـيا فى عـرف المحدثين.

أما صفاته فهى: الجهر والرخاوة والإطباق والاستعلاء والإصمات[1].

الذال: ومخـرجهـا من بين ظهر اللســان مما يلى رأسه وبين رأس الثنيـتين العليين، ويعد هذا الصوت تاليا للظاء كما ذكر الأقدمون[2]. وطريقة تكوينه تكون بمرور الهواء من القصبة الهوائية ويصل إلـى الحنجرة فيحرك الأوتار الصوتية ويؤثر فيـها بالاهتزاز، ويجـاوز الحنجرة والحلق وأقـصى اللسان حتـى يصل إلى طرفه، فيلتقى مع أصول الثنايا العليا التقاء غير محكم فيحدث هذا الصوت.

وصفاتها هى: الجهر والرخاوة والانفـتاح والاستفال والإصمات[3]. ويفرق بين الظاء والذال والثاء فـى أن: الثاء تفارق أخـتيهـا فى الهمس، ويفارقـانها فى الجهر، بيـد أن الظاء فيها استـعلاء وإطباق بخلاف الذال، فكل صـوت له صفاته الخاصة.

الثاء: يخرج هذا الصوت من بين رأس الثنيتين العليين، فاللسان يقرب إلى الخارج فى الثاء أكثر مما يقرب فى أختيها[4].

ويحدث هذا الصوت عندمـا يمر الهواء متجاوزاً القصبـة الهوائية ويصل إلى الحنجرة فلا يحرك الأوتار الصوتية ولا يؤثر فيها بالاهتزاز، ثم يمر من خلال الحلق واللسان حـتى يصل إلى مخرج هذا الصـوت المذكور سابقًـا، وهو من الأصوات

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٦.

(٢) السابق، ص٣٦.

(٣) السابق، ص٨٧.

(٤) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٧.

اللثوية عند القدماء، ومن الأصوات البين أسنانية عند المحدثين، لأنه روعى فيه خروج الهواء من بين الأسنان[١].

وأما صفاتها فهى: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات، ويجب ألا يأتى فيها بالجهر فيلتبس لفظها بالذال المعجمة[٢].

الفاء: يخرج هذا الصوت من بين باطن الشفة السفلى ورأس الثنيتين العليين[٣].

ويتكون هذا الصوت من مرور الهواء من القصبة الهوائية ووصوله إلى الحنجرة فلا يؤثر فى الأوتار الصوتية ولا يحركها، ثم يتجاوز الحنجرة إلى الحلق واللسان حتى يصل إلى الشفة السفلى، فتتلاقى مع أطراف الثنايا العليا التقاء غير محكم، فيحدث صوت الفاء. وسمى القدماء هذا الصوت بأنه من الحروف الشفوية، ويسميه المحدثون شفويا أسنانيا[٤]. وهذه التسمية قريبة من بعضها، إذ لاحظ القدماء فيه عمل الشفة فقط، بينما لاحظ المحدثون عمل الشفة مع الأسنان.

أما صفاتها فهى: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإذلاق[٥]. والاختلاف بين القدماء والمحدثين اختلاف فى التسمية فقط وليست خلافات جوهرية.

الواو: ما بين الشفتين معًا ويخرج منه صوت الواو[٦]، إلا أنه يراعى فيها انفتاحهما واستدارتهما.

---

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٦.
(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٨.
(٣) السابق، ص٣٧.
(٤) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٠٥.
(٥) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٨.
(٦) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٧.

والمحدثون يجعلونها من خلف اللســان أو أقصاه حين يرتفع إلى أقصى حد ممكن مع إحداث نوع من الحـفيف مع استـدارة الشفتين، وهو كـلام مستـقيم مع العلم الحديث، الذى تحـكمه قوانين الآلات والمعـامل الحديثة، أمـا القدماء، فـقد ذكروا الفـرق بين الصامت والصـائت، وبينوا أنه مع الصوائت لا يحـدث احتكاك ولا حفيف، أما الصـوامت فلا بد من وجود حفيف فيهـا مع الصوت، واستدارة الشفتين التى ذكرها القدماء والمحدثون بالنسبة للواو، جعلها القدماء صفة ذاتية فى الواو لا تقوم ولا تـتحقق إلا بها، والملاحظة الـذاتية تكشف عن ذلك[١]. وكلام ابن جنى يؤيد ذلك.

أما صـفاتهـا، فهى: الجـهر والرخـاوة والاستـفال والانفـتاح والإصـمات واللين[٢].

الباء: يخرج هذا الصـوت من بين الشتفـين، ويخالف الواو فى أن: الواو تكون باستدارة الشـفتين، بينما تكون الباء بانطبـاق الشفتين، وانطباقهـما مع الباء أقوى من انطبـاقهـما مع الميم[٣]، وذلك لشـدة الباء، ويتكون هذا الصـوت حين يندفع الهواء من الرئتين ويمر بالقصبة حتى يصل إلى الحنجـرة فتنقبض فتحة المزمار ويضيق مجـرى الهواء فتهتز الأوتار الصـوتية، ثم يمر بالحلق واللسان إلى أن يصل إلى الشفتين فـتنطبقان، ثم تنفرجان ويحـدث من انفراجهما انفجـار صوت الباء؛ ولذلك عُـدَّ هذا الصـوت من الأصـوات الشـديدة عند القـدمـاء ومن الأصـوات المقلقلة، بينمـا عُدَّ هذا الصـوت انفجـاريّا عند المحدثين، وعلى اصطلاحـهـم فى تسمية هذا الصوت كان من الممكن أن يكون هذا الصوت شفويا أيضًا.

---

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغـة العربية، د. أيوب، ص١٦٠ ومـابعدها، أصوات اللغة العـربية، أ.د. هلال، ص١٢١ وما بعدها، علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص١٩٠.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٨٩.

(٣) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٣٧.

أما صفاتهـا فهى الجهر والشدة والقلقلة والاستـفال والانفتاح والإذلاق[1].

وتسميـه القدماء الصوت الشـديد، روعى فيه حالة تكوُّن الصـوت، أما المحدثين، فراعوا فيه حال انفتاح المخرج.

الميم: يخرج هـذا الصوت من الشـفتين، وذلك بانطبـاقهمـا، ولكن هذا الانطباق مع الميم أخف من الانطباق من الباء، وقد فرق صاحب نهاية القول المفيد بين الأصوات الثـلاثة، الواو والباء والميم، من حـيث الانطباق، فـقال: الشفـتان تنضمـان فى الواو، ولكن لا يصل اتصالـهما إلى حـد الانطباق، ووجـه الترتيب هنا، أن لكل من الشـفتين طرفين، طرف يلى داخل الفـم، والآخر يلى البـشرة، فالمنـطبق فى الباء طرفـاهما اللذان يليـان داخل الفم، والمنضم فى الواو طرفـاهما اللذان يليـان البشرة، وأمـا المنطبق فى الميم وسطهمـا وهذه الأحرف الأربعـة الفاء والباء والواو والميم تسمى شفوية لخروجها من الشفة[2].

ويتكون هذا الصوت عنـدما يندفع الهواء من الرئتين ويمر بالقـصبة الهـوائية حتى يصل إلى الحنجـرة فيؤثر فى الأوتار الصـوتية بالاهتزاز فـيحدث الجـهر، ثم يجاوز الهواء الحلق واللسان حتى يصل إلى الشفتين فيحدث انضمام الشفتين ويهبط الحنك اللين فيمر الهواء من خلال التجويف الأنفى، فيحدث صوت الميم.

أما صفات هذا الصوت فهى: الجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة والاستفال والانفتاح والإذلاق.

والميم أخت البـاء، لأن مـخرجـهـما واحـد، وقد فـرق علمـاء الأداء بين الصوتين، قال صاحب نهاية القول المفيد: ولولا الغنة التى فى الميم وبعض الجريان الذى معهـا كانت باءً، والميم أيضًا مؤاخيـة للنون فى الغنة؛ ولذلك أبدلت العرب إحداهما من الأخرى، فقالوا غين، وغيم[3].

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٩٠.

(٢) السابق، ص٩١.

(٣) السابق، ص٩١.

الحروف المستحسنة:

بعد أن ذكرنا ما لكل صوت من صفات وطريقة خروجه، يجدر بنا أن نبين أن هناك نوعين من الحروف متفرعة عن هذا الأحرف، نوع مستحسن تصح به القراءة، ونوع لا تصح به القراءة، وهو غير المستحسن.

أما الحروف المستحسنة فإليك بيانها:

١- الهمزة المخففة: وهى التى تسمى همزة بين بين، ومعنى ذلك أنها تكون بين الهمزة وبين الحرف الذى منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهى بين الهمزة والألف، وذلك نحو قولك فى سأل - سال، وإن كانت مكسورة فهى بين الهمزة والياء، نحو قولك فى سئم - سيم، وإن كانت مضمومة فهى بين الهمزة والواو كقولك فى لؤم: لوم.

وليس لهذه الهمزة تمكُّن المحققة، مع أنها بزنتها، فهى وإن قربت من الساكنة فإنها فى الحقيقة متحركة، والدليل على ذلك أنك تعتمدها فى وزن العروض حرفًا متحركًا، وذلك فى نحو قول كثير:

أأن زم أجمال وفارق جيرة   وصاح غراب البين أنت حزين

فوزن «أأن زم» فعولن، فالهمزة مقابلة للعين، فى فعولن وهى كما ترى متحركة[١].

ومعنى قول سيبويه بين بين، أى هى ضعيفة ليس لها تمكن المحققة ولا خلوص الحرف الذى منه حركتها[٢].

٢- الجيم التى تقرب من الزاى كما فى أجدر.

---

(١) سر صناعة الإعراب، لابن جنى، ١/٥٣، ٥٤، وانظر أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٨٩.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٨٩.

٣- الشين التى كالجيم، وهى التى يقل تفشيها واستطالتها وتتراجع قليلا نحو الجيم كقولك فى أشدق، أجدف.

٤- الشين التى تقرب من الزاى كما فى أشدق فتضارع بها الزاى، والبيان أكثر وأعرف - وهذا عربى كثير(١).

٥- الصاد التى كالزاى، وهى التى يقل همسها ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى، وذلك قولك فى يصدر: يزدر، وفى فصد، فزد، ومن العرب من يخلصها زايا، يقول سيبويه: «وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة. كما جعلوا الإطباق ذاهبا فى الإدغام، وذلك قولك فى التصدير، والتزدير، وفى الفصد: الفزد، وفى أصدرت: أزدرت»(٢).

وإنما تقلب الصاد زايا أو تشم رائحتها قبل الدال، فإن وقعت قبل غيرها لم يجز ذلك فيها(٣).

٦- النون الخفيفة، ويقال لها الخفية، وهى الساكنة، ومخرجها من الأنف والخياشيم كالنون فى منك وعنك، وأما المتحركة فمن الفم إلا أن فيها الغنة.

٧- ألف الإمالة، وهى التى تجدها بين الألف والياء، نحو قولك فى عالم خاتم، عالم خاتم.

٨- ألف التفخيم، وهى التى تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم سلام عليك، وقام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحيوة بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا: إحداهما وسواهما بالياء، لأنه يمكن إمالة الفتحة التى قبل الألف إلى الكسرة فتقلب الألف ياء.

---

(١) الكتاب، سيبويه، ٤/٤٧٩.

(٢) الكتاب، سيبويه، ٤/٤٧٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٠.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٠ نقلا عن سر الصناعة ١/٥٧.

وبذلك يمكننا أن نعرف أن الإمالة كما تكون من الفتح إلى الكسرة، كذلك تكون من الفتح إلى الضم.

وهذه الثمانية حسنة يؤخذ بها فى القرآن الكريم، وفصيح الكلام[1].

الحروف المستقبحة:

١- الباء التى كالفاء فى نحو أصبهان وبلخ، وهى على ضربين أحدهما لفظ يكون الباء أغلب عليه من الفاء كحرف (V) والآخر لفظ يكون الفاء أغلب عليه، وهما حرفان من حروف المعجم سوى الباء والفاء الخالصين.

٢- الباء التى كالميم، وقد ذكرها ابن جنى فى الحروف المستقبحة، وهى فى بعض لهجات مازن كقولهم: باسمك يا فتى، فى ما اسمك[2].

٣- الجيم التى كالشين، وينطق بها كذلك إذا كانت ساكنة وبعدها تاء أو دال مثل قولك فى اجتمعوا وأجدر: اشتمعوا وأشدر، والفرق بين الجيم التى كالشين، والشين التى كالجيم حتى جعل الأول من الحروف المستقبحة والثانى من الحروف المستحسنة أن: الأول: كره فيه الجمع بين الشين والدال لما بينهما من التباين، فالشين مهموس رخو والدال مجهور شديد. أما إذا كانت الجيم مقدمة فليس بينهما من التنافى والتباعد ما بين الشين والدال[3].

٤- الجيم التى كالكاف، هذه كانت شائعة فى اليمن، وهى الآن موجودة بكثرة عند أهل البحرين، يقولون فى رجل وجمل ركل وكمل.

٥- الصاد التى كالسين كقولهم فى صالح - سالح وهى لغة بنى العنبر وليس فى حسن إبدال الصاد من السين، لأن الصاد أصفى فى السمع من السين وأصغر فى الفم[4].

---

(١) ينظر فى ذلك: سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ٥٠، وشرح المفصل، ١٠/ ٢٧، أصوات اللغة العربية، ١/ ٩١.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩١.

(٣) شرح المفصل، ابن يعيش، ١٠/ ١٢٧، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٢.

(٤) شرح المفصل، ١٠/ ١٢٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٢.

٦- الضاد الضعيفة، وقد حدد سيبويه موطن خروجها بأنها تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وهى أخف لأنها من حافة اللسان مطبقة، وقال الفارسى: كما إذا قلت «ضرب».

ولم تشبع مخرجها أى الضاد ولا اعتمدت عليه ولكن تخفف وتختلس فيضعف إطباقها، ويذكر ابن يعيش أنها من لغة قوم اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء؛ وذلك أنهم يخرجونها من طرف اللسان وأطراف الثنايا، وربما أرادوا إخراجها من مخرجها فلم يتأت لهم فخرجت بين الضاد والظاء(١).

٧- الطاء التى كالتاء، وهى لكنة أعجمية عند أهل المشرق؛ لأنهم لا يستطيعون نطق الطاء فينطقون هذا النطق، فيقولون فى سلطان - سلتان، وفى طالب - تالب - بتفخيم قليل.

٨- الظاء التى كالثاء وينشأ هذا الحرف من المبالغة فى إفشاء الظاء فتخرج كأنها ثاء مثل قولهم فى ظلم - ثلم.

٩- الكاف التى بين الجيم والكاف، وهو يشبه الجيم المصرية فى النطق مثل قولك فى كافر - جافر، وهو من لغات اليمن وبغداد(٢).

١٠- حرف بين الكاف والقاف، وقد ذكره ابن دريد وابن فارس قالا: فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فيغلظ جدًا فيقولون فى القوم - الكوم - فتكون بين القاف والكاف وهى لغة معروفة فيهم - قال الشاعر:

ولا أكول لكدر الكوم قد غليت ... ولا أكول لبابَ الدار مكفول

يريد فى ذلك كله القاف(٣).

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٣.

(٢) شرح المفصل، ابن يعيش، ١٠/١٢٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٤.

(٣) جمهرة اللغة، ابن دريد، ١/٥، الصاحبى، ابن فارس، ص٥٣-٥٤، وانظر: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٣.

١١- الواو التى كالياء فى نحو مررت بمذعور، وابن بور، نحوت بضمة العين نحو كسرة الراء فأشممتها شيئا من الكسرة، فكما أن هذه الحركة قبل الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة خالصة، فكذلك الواو مشوبة برائحة الياء، وهو مذهب سيبويه.

وهى فى لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد[١].

١٢- الياء التى كالواو فى نحو قيل وبيع بالإشمام، فكما أن الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة برائحة الواو، وهى لغة بعض العرب، يشمون الياء صوت الواو فتخرج كحرفى (eu).

وربما دخلت هذه الأحرف فى العربية على لسان بعض القبائل التى أخذتها من لغات أخرى، كالعربية والسريانية، ولغة الفرس والروم والحبشة وغيرهم ممن خالطوهم فى أقدم أزمانهم، ولا يمنع أن تكون هذه الأحرف كانت عند القبائل العربية البدوية قبل عصر تهذيب اللغة.

وهذه الأحرف المستقبحة لا يؤخذ بها فى القرآن الكريم، ولا فى الشعر، ولا تكاد توجد إلا فى لغة ضعيفة مرذولة غير متقبلة، ولا تصح إلا بالسمع والمشافهة[٢].

(١) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٠٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٤.

(٢) شرح المفصل، ١٠/ ١٢٨، سر صناعة الإعراب، ابن جنى، ١/ ٥١، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٩٤.

الباب الثالث

المقاطع الصوتية

الفصل الأول
معنى المقطع وأجزاؤه

لا ريب أن جهاز النطق صالح لإنتاج عديد من الوحدات الصوتية التى ينضم بعضها إلى بعض لتؤلف الكلمات ثم الجمل، وهذا التأليف قائم على أساس الفتح والغلق الكلى أو الجزئى الذى يجرى داخل هذا الجهاز فى تتابع مستمر فى أثناء العملية الكلامية، وهو قائم على تقسيم الكلمة والكلام إلى إيقاعات صوتية ذات أجزاء يعرف كل منها بالمقطع.

فالمقطع فى أبسط معانيه هو: أصغر وحدة صوتية يمكن النطق بها ويستطيع المتكلم أن ينتقل منها إلى غيرها من أجزاء الكلمة[1].

وعرَّفه د. أيوب، «بأنه مجموعة من الأصوات التى تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة»[2].

وهو ينشأ نتيجة لحركة الرئتين واندفاع الهواء منهما دفعة واحدة تسمح بخروج هذا القدر من الأصوات بهذه الكيفية التى يحس بها الناطق والسامع على السواء.

الأساس العضوى لتقسيم المقطع:

يعتمد تقسيم الحدث اللغوى إلى مقاطع على عدد ما يتضمن من دفعات هوائية تحدث من تأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين، وهذا الضغط يتفاوت

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٣٦.

(٢) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص١٤١.

من جزء من أجزاء الحدث اللغوى إلى جزء آخر، ويمكن تشبيه ما يحدث بخروج الهواء من بالونة منفتحة منتهية بمزمار، ولو تركت البالونة وشأنها لخرج الهواء مستمرًا بقوة ثابتة، أما لو ضغطت يد الطفل عليها ضغطات متوالية، فإن قوة خروج الهواء ستختلف عند ضغطها عنها عند عدم ضغطها. ويمكن بذلك تقسيم الزمن الذى يستغرقه خروج الهواء من البالونة إلى أجزاء يمثل كل منها ضغطة أو دفعة من دفعات الهواء الخارج(١).

ويقول كانتبيو: يبتدئ المقطع بصوت واحد أو عدة أصوات فاتحة أو منفجرة ذات انفتاح متزايد، ويمر بمقدار أعلى من الانفتاح تمثله عادة حركة من الحركات، وينتهى بصوت أو عدة أصوات غالقة أو حاجزة للهواء ذات انفتاح متناقض. مثال ذلك «ترك»(٢).

فهى تمثل ثلاثة مقاطع، الأول التاء وهى مقطع مكون من صوت ساكن + حركة، كذلك الراء، مكونة من صوت ساكن + حركة، يليها الكاف، وهى أيضًا مكونة من ساكن + حركة.

وللمقطع جزءان أساسيان أحدهما يعرف بالقمة، والآخر بالقاعدة أو الوادى أو الهامش.

ومثاله فيما سبق التاء تعتبر قاعدة أو واديا أو هامشًا وكذلك الراء والكاف، أما القمة فتمثلها الحركات الثلاث.

وقد لاحظ المحدثون بالتجارب، أنه فى حالة تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة من الجمل، يظهر أثر هذه الذبذبات فى شكل خط متموج، ويتكون هذا الخط من قمم ووديان، وتلك القمم هى أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح، وأصوات اللين تمثل فى معظم الأحيان تلك القمم تاركة الوديان للأصوات

---

(١) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص٤١.

(٢) علم أصوات العربية، جان كانتنيو، ص١٩١، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٣٧.

الساكنة، وقد وجد المحدثـون أن اللام والنون والميم، تمثل القمم فى بعض الأحيان مثلها فى هذا مـثل أصوات الليل؛ لهذا اعتبروا أصوات اللـين ومعها اللام والنون والميم أصوات مقطعية، ولكن لندرة هذا فى اللغـات سنهمل اعتبار هذه الأصوات الساكنة مـن بين الأصوات المقطعيـة، مكتفين بأصـوات اللين التى هى الأصل فى المقطع(١).

من كل ما ذكر نرى أن المقطع يتوقف على درجـة الوضوح السمعى، فأعلى الأصوات وضوحـًا فى السمع يمثل القمم، وما عـداها مما يدخل فى تركيب المقطع يسـمى قاعـدة أو واديا أو هامشـًا(٢)، ومـعروف أن أصـوات اللين أو العلة أعلى وضوحًا فى السمع من السواكن، كما أنها تختلف فى درجة الوضوح فيما بينها.

وإذا رتبناها حسب درجة الوضوح، فإن أوضحها أصوات اللين التى تتفاوت فى درجة وضـوحها حـسب الطول والقصر، فـالطويلة ألف المد - واو المد - ياء المد، أوضح من القصيرة «الحركات» الفتحة، الضمة، الكسرة.

ويليهـا الأصوات السـاكنة مع تفاوت فى درجة وضـوحهـا. فاللام والنون والميم، تعد أوضح من غيرها من السواكن؛ لأنهـا تليها فى درجة علوها السمعى، ولإمكانها أن تحل محلها، وما عداها من السواكن يقل عنها وضوحًا(٣).

وقد رتب يسبرسن الأصوات بحسب درجة وضوحها فى السمع كالآتى:

١- العلل الواسعة: a - a

٢- العلل النصف ضيقة: c - e - o - e

٣- العلل الضيقة: u - i

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٠، ١٦١ بتصرف.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٣٨.

(٣) ينظر فى ذلك: أبنية العربية فى ضـوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٣٨، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢٤٠، التجويد والأصوات، د. نجا، ص٢٧.

٤- الأصوات المكررة: r الراء

٥- الأصوات الأنفية m - n (ن - م)، الجانبية اللام

٦- الاحتكاكيات المجهورة: z - v

٧- الوقضيات المجهورة: g - d - b

٨- الاحتكاكيات: s - f

٩- الوقفيات: k - t - p

وتسمى الأصوات التى تقع قـمة، أصواتًا مقطعيـة، وتسمى الأصوات التى تقع قاعدة أو هامشًا، أصواتًا غير مقطعية[١].

أنواع المقاطع ووقوعها فى اللغات:

تنقسم المقـاطع بالنسبة إلى مـا تنتهى به من الأصوات اللـينة أو الساكنة إلى قسمين، مفتوح ومقفول.

فالأول المفـتوح: هو الذى ينتهى بـحركة طويلة أو قـصيرة «علة» مـثاله فى الفرنسية Repu، رويو، ومعناها شبعان، فمقطعاها مـفتوحان، ومثاله فى العربية: لى - بم، فالمقـطع الأول مفتـوح ينتهى بحـركة طويلة، والمقطعـان بـ - مـ، كل منهما ينتهى بحركة قصيرة[٢].

أما النوع الثانى المغلق، أو المقفول فهو الذى ينتهى بحرف ساكن أو حرفين، وإذا انتهى بحرفين ساكنين سمى مزدوج الانغلاق.

مثاله فى الفرنسية اسم العلم (Victor) - فهو يشتمل على مقطعين مغلقين، يتكون الأول منهـمـا من س + ح - س، Vic، والثانى من س + ح ح + س - tor.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢٤١.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيـس، ص٢٤٢، أبنية العربية فى ضوء علم التـشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٠.

ومثـاله فى العربية: علمٌ - قـدرٌ، فكل من الكلمتين يشتـمل على مقطعين مـغلقـين يتكون كل منهـمـا من: س + ح + س = عل، س + ح + س = مٌ، وهكذا.

ومثل «نستعين» حال الوقف - فـالمقطع الأخير «عين» مغلق مكون من: س + ح ح + س.

ومثال المقطع مزدوج الانغلاق «راد» حال الوقف، فالكلمة كلها مقطع واحد يتكون من: س + ح ح + س س، ومثاله فى الإنجليزية كلمة (Plant)[1].

كمـا تنقسم المقاطع من حـيث مدة النطق بهـا إلى مقاطع قـصيرة ومـقاطع طويلة.

فالمقطع القصير: هو الذى ينتهى بحركة قصيرة.

ومثاله «كتب» فى العربية، فهى مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة هى «ك - ت - ب». فالمقطع القصير، عبـارة عن إحدى صورتى المقطع المفتوح[2]. فالكاف + الفتـحة، مقطع قصـير لأنه ينتهى بحركـة قصيرة، ومـفتوح لأنه ينتهى بـحركة، وكذلك الشأن فى التاء والباء.

والمقطع الطويل: هو الذى ينتـهى بحـركة طويـلة أو بحرف: ومـثـالهمـا المقطعان «نا» و «تل» من كلمة «قتلنا» العربية، فهى مكونة من مقطع قصير مفتوح فى «ق» أما «نا» فـهى مقطع طويل يـنتهى بحركـة طويلة، و«تل» ينتـهى بصوت صامت هـو اللام الساكنة، ومـعنى ذلك أن المقطع الطويل يشمـل الصورة الثـانية للمقطع المفـتوح، كمـا يشمل المقطع المغلق[3]. وبعضهم يقـسم المقاطع من هذه الناحية إلى ثلاثة أقسام: طويل - متوسط - قصير.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢٤٢، نقلا عن علم أصوات العربية، كانتينو.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢٤٣.

(٣) السابق، ص٢٤٣.

فالطويل هو ما اشتمل على أربعة أصوات أو ثلاثة أحدها لين طويل. فمثال ما تكون من أربعة أصوات: بحر - درج - فكر، ومثال ما تكون من ثلاثة أحدها لين طويل - نار - طول - نير، والمتوسط: هو ما تكون من ثلاثة أصوات أو صوتين أحدهما لين طويل فمثال ما تكون من ثلاثة، كم - كم - كم بفتح الكاف وضمها وكسرها(١).

ومثال ما تكون من صوتين أحدهما لين طويل، كا - كو - كى. والقصير: ما لم يزد عن صوتين، مثل: ك، ك - ك.

وتتفاوت اللغات فى استعمال المقاطع، فبعضها يفضل المفتوح وينفر من المقطع المقفول، كلغات وسط إفريقيا، وبعض اللغات تفضل المقطع المقفول كالعربية، فهى وإن كانت تستعمل النوعين معًا، إلا أنها تفضل المقفول - المغلق - كما يتبين من تسكين لام الفعل الماضى عند اتصاله بضمير الرفع المتحرك مثل «كتبت، أكرمت» والنحاة يعللون ذلك بأنه كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة.

فالتسكين كما يظهر لكراهة العربية توالى أربعة مقاطع مفتوحة، وقد أباحوا توالى أربعة مقاطع مقفولة، فى مثل: استأذنتم واستفهمتم.

وبعض اللغات لا تستعمل المقاطع المقفولة، كاللغات السلافية واليابانية(٢).

مقاطع اللغة العربية:

لا تخرج المقاطع فى اللغة العربية عن خمسة أنواع، هى:

١- س + ح مثل مقاطع عَ لِ مَ، فهى مشتملة على ثلاثة مقاطع س + ح فى ع، س + ح فى ل، وس + ح فى مـ، كل منها مكون من ساكن وعلة أو حركة أو لين قصير.

---

(١) السابق، ص٢٤٣، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤١.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٤، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٢.

٢- س + ح ح مثل رَاعَى ومثل لا، فأداة النفى مقطع واحد، وكلمة راعى، مقطعان يتكون كل منها من س + ح ح، را، عى وتلاحظ أن هذا المقطع مكون من صوت ساكن وحركتين قصيرتين أو لينين(١).

وهذان اللونان من المقاطع المفتوحة، لأن كلا منهما ينتهى بحركة طويلة أو قصيرة.

٣- س + ح - س مثل كلمة «بَأسٌ» فهذه الكلمة تشمل على مقطعين الأول منها «بأ»، وهو مكون من ساكن هو الباء، وحركة هى فتحة الباء القصيرة، وساكن هو الهمزة.

والثانى «سٌ» وهو مكون من ساكن هو السين وحركة السين وهى الضمة، ثم التنوين، الذى هو نون ساكنة فكل منهما يتكون من صوتين ساكنين بينهما حركة أو لين قصيرة(٢).

٤- س+ح ح-س، ويمثل لذلك بكلمة «ضالين» ونحوها فى كل كلمة موقوف عليها وقيل الحرف الأخير لين طويل، وكذلك المقطع الأخير فى قولنا «الرحيم».

ففى كلمة «ضالين» مقطعان، الأول منهما «ضال» وهو مكون من ساكن هو الضاد، وحركة طويلة هى الفتحة، وساكن هو صوت اللام فهو مكون من س + ح ح + س.

والمقطع الثانى هو «لين» وهو مكون من ساكن هو اللام، وحركة اللام الطويلة وهى الكسرة، وساكن هو النون، فكل مقطع منهما مكون من صوتين ساكنين بينهما لين طويل أو حركة طويلة(٣).

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٣، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٥، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٣.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٣ بتصرف، وانظر: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٥.

(٣) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٣، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٥.

٥- س + ح + س + س، ومثاله المقطع الأخير «فَرّ» من كلمة «المفر» وقَرّ من كلمة «المستقر» حال الوقف عليهما، فالكلمة الأولى «فَرّ» حال الوقف مكونة من ساكن هو الفاء، وحركة الفاء وهى الفتحة، ثم الساكنين الأخيرين الراء المضعفة[1].

وكذلك «قَرّ» مكونة من ساكن هو القاف، وحركتها وهى الفتحة القصيرة ثم الساكنين الأخيرين، هما الراء المضعفة، فكل منهما مكون من س + ح + س + س.

وكذلك كل مقطع يتكون من ساكن بعده لين قصير بعده ساكنان إذا كانت الكلمة التى يقع فيها موقوفًا عليها.

كما يتأتى هذا النوع من المقاطع فى الوقف على الأوزان الآتية:

١- فعل - مثل شَعْبْ، نَخْلْ - قَمْحْ.

٢- افعلّ - مثل المقطع الأخير من كلمة أخضَرّ - اصفَرّ - احمَرّ، كل ذلك فى حال الوقف على المقطع الأخير.

٣- فِعَّوْلْ - مثاله المقطعين الأخيرين فى كلمة «بِلَّوْرْ»، فى المقطع الأخير، لور.

٤- فِعْلُولْ، مثل المقطع الأخير حال الوقف وهو لول، ولكنه يشتمل على س + ح ح + س + س[2]. كـ «برذون».

وتتخلص العربية من المقطع الخامس س + ح + س + س بتحريك ما قبل الآخر. ففى مثل «بحر وصبر وجبر» يوقف عليها بتحريك ما قبل الآخر فينطقونها بَحِر وصَبِر وجَبِر.

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٥، أبنية العربية في ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٣.

(٢) ينظر فى ذلك: الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٣، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٦، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٤.

كما قد تتخلص منه أيضًا بحركة التخلص من التقاء الساكنين فى نحو «لم يشد» فتحرك الدال بالفتح، فيقولون فيها «لم يشدَ» أو بفك الإدغام فيقولون فيها «لم يشدد».

كما تتخلص العربية فى بعض لهجاتها من المقطع الرابع س + ح ح + س، بتحويل صوت اللين إلى همزة، وذلك فى كلمة «ضالين» وكلمة «شابه» فتنطقها ضألين وشأبة، فتتخلص بذلك من المقطع[1].

وهذا النوع من المقاطع نادر الوجود فى النثر العربى ولا وجود له فى الشعر؛ لأنَّه عادة ما يقع فى نهاية الكلمة[2].

فالمقاطع الشائعة فى اللغة العربية هى الثلاثة الأولى: س + ح، س + ح ح، س + ح + س، وهى التى تبنى عليها أوزان الشعر[3].

٥- هذا المقطع ذكره د. أحمد مختار فى كتابه الصوت اللغوى، وهو يتكون من س + ح ح + س + س، ومثَّل له بكلمة «رادّ» حال الوقف، فهى مكونة من ساكن هو الراء، ثم الحركة الطويلة التى تلى الراء ثم الدال المضعفة.

وكذلك كلمة (ضَالّ) حال الوقف، فهى مكونة من ساكن هو الضاد ثم الحركة الطويلة التى تليها ثم اللام المضعفة.

فكل منهما مكون من س + ح ح + س +س[4].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٦، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٥.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٧.

(٤) انظر: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٦، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٤، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٥٩.

وقد أضاف الدكتور/ تمام حسان إلى هذه المقاطع لونا آخر يتكون من حركة + ساكن «ح + س»، ومثَّل له بهمزة الوصل أو بأداة التعريف، ورأى أن هذا المقطع تشكيلى «فنولوجى» غير أصواتى؛ لأن الأصوات لا تعترف بأن تبدأ المجموعة الكلامية بحركة؛ لذلك تنشأ همزة قبل هذه الحركة، وتتخذها قنطرة للنطق بها، ثم تعتبر هذه الهمزة من بنية المقطع.

والحجة التى ساقها د. تمام حسان حجة واهية؛ لأنه إذا كان نظام اللغة يقتضى سكون فاء الفعل وإطراح همزة الوصل، فمن باب أولى ألا يُعتد بكسرة هذه الهمزة لأنها تابعة لها، والأولى أن يقال: إن النظام المنطقى للغة العربية يأبى أن تُبتدأ الكلمة بمقطع يتكون من: س + س + ح كالمقطع الأول فى «ضْرِبْ»، ومن هنا توصلت العربية بهمزة الوصل المكسورة ليصبح لدينا مقطعان، هما «إض» وهو مكون من «س + ح + س»، ثم تأتى بقية المقاطع بعد ذلك، أى أن نظام العربية الفنولوجى لا يقتضى وجود مقطع مكون من «ح + س» وإنما وجود مقطع مكون من س + س + ح ثم تخلصت العربية منه بوجود همزة الوصل فأصبحت ذات مقطعين[1]. هما: إض، رِب، وكل منهما مكون من س + ح + س.

مقارنة بين تركيب المقطع فى العربية واللغات الأجنبية:

يختلف تركيب المقطع فى العربية عنه فى اللغات الأجنبية بدءاً وانتهاءً:

١- أولاً فى الابتداء، اللغات الأجنبية يمكن فيها بدء المقطع بصوت واحد كما فى كلمة (Pert) الفرنسية، فالحرف (P) هو العنصر الفاتح للمقطع، وقد يبدأ بعدة أصوات فاتحة كما فى (trac)، فحرفا «تر - tr» بدأ بهما المقطع كذلك، ويقوى الانفتاح فيها إحدى الحركات[2].

(١) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص١٩٦، وانظر مناهج البحث فى اللغة، د. تمام حسان، ص١٤٥.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٧، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٥.

أما اللغة العـربية فيُـتدأ المقطع فيها بحـرف واحد مطلقًا، فالمجـموعة ذات الصوتين لا تقع فى أول كلماتها، عكس ما رأينا فى اللغات الأجنبية، وإذا وقعت فى وسطها، فلا تنسب إلى مقطع واحد بـل إلى مقطعين مثل «قطرة» حيث يوجد حرفا «طر» لكن تنسب الطاء إلى المقطع الأول «قط» وتنسب الراء إلى المقطع الثانى «رة».

أما إذا وقعت مـجموعة من صـامتين أو ساكنين فى أول الكلمـة - كما فى اللغات الأجنبـية، لم تبدأ بالساكن، بل تـعتمد على الحـركة التى تمكن من النطق مثل «الجارية» فإذا ابتدأت بهـا الكلام، حولت همزة الوصل إلى همزة قطع فتنطق «ألجارية».

أما إذا وقـعت هذه الكلمة وسط الجملة، فـإنها تربط بحركـة سابقة عليـها تكون هذه الحركة معتمدها مثل «قامت الجارية» فتربط اللام فى «الجارية» بالتاء فى قامت بواسطة الكسرة التى يـؤتى بها للتخلص من التقاء السـاكنين، وتسقط همزة الوصل ويصبح المقطع «تل» وبذلك تتخلص العربية من المجـموعات الحرفية وسط الكلمة[1].

٢- ينتهى المقطع فى اللغات الأجـنبية بحركة طويلة أو قصـيرة، مثل الكاف فى (trac) أو حرفين مـثل الراء والتاء فى (Pert) والانتهـاء بحرفين يجـعل المقطع مزدوج الانغلاق، ولكن فى العـربية ينتهى بحركة أو حـرف واحد فى حالة المقطع المغلق، لذلك انعدمت من العـربية المقاطع المزدوجة الانغـلاق، لأنها لا توجد إلا فى الوقف[2].

عدد المقاطع التى تشتمل عليها الكلمة ونوعها:

قد تشـتمل الكلمـة على مقطع واحـد، وهو أمر يمكن تحـققه فـى اللغات المختلفة، أما وقوع عدد من المقاطع فى كلمـة واحدة، فيختلف من لغة إلى أخرى

(١) السابق، ص٢٤٨.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٦.

وبالنسبة للعربية لاحظ الباحثون أن الكلمة المشتقة المجردة - أى الخالية من الضمائر فى الأفعال، ومن أداة التعريف فى الأسماء - فعلا كانت أو اسما لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع، وندر أن تأتى على خمسة[1] وذلك مثل وزن «يتفعل - ويتفاعل» والأسماء المشتقة منها فى حال الوصل مثل: يتقدمُ ومتقدمٌ، ويتسامحُ، فكل كلمة من هذه الكلمات مؤلفة من خمسة مقاطع، وذلك على النحو التالى:

١- **الكلمة الأولى**: يتقدم - مكونة من خمسة مقاطع، هى على الترتيب «ى - ت - قد - د - م» الأول والثانى مفتوحان، والثالث مقفول أو مغلق، والرابع والخامس مفتوحان.

٢- **الكلمة الثانية**: متقدمٌ، مكونة من خمسة مقاطع أيضًا، هى على الترتيب «م - ت - قد - د - من» وهى تحتوى على ثلاثة مقاطع مفتوحة ومقطعين مغلقين هما الثالث والخامس.

٣- **الكلمة الثالثة**: يتسامح: مكونة من خمسة مقاطع هى على الترتيب «ى - ت - سا - م - ح» وكل مقاطعها مفتوحة قصيرة بخلاف المقطع الثالث، فهو مفتوح طويل.

٤- **الكلمة الرابعة**: متسامحٌ، مكونة من خمسة مقاطع، هى: «م - ت - سا - م - حن» ومقاطعها الأول والثانى والرابع مفتوح قصير، والثالث مفتوح طويل، أما خامس المقاطع فهو مغلق[2]. والكلمات العربية التى اتصلت بها اللواحق أو السوابق لا تزيد على سبعة مقاطع، ومن أمثلة ذلك فى القرآن الكريم

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٦، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٩.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٤٩، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٨، وانظر: الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٦، وإن كان يرى أنه من المفترض ألا تزيد الكلمة فى اللغة العربية على أربعة مقاطع، باعتبار غالبية الاستعمال، وإلا فهذه كلمات زادت عن الأربعة.

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ... ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [هود].

فمقاطع الكلمة الأولى هى: «ف - س - يك - فى - ك - هـ - مل» وتحتوى هذه الكلمات على سبعة مقاطع منها خمسة مقاطع مفتوحة، ومقطعان مغلقان، والملاحظ أن المقطع السابع والأخير قد أخذ غلقه من لفظ الجلالة «الفاعل»، ومقاطع الكلمة الثانية هى: «أ - نل - ز - م - ك - مو - ها» ومقاطعها كلها مفتوحة إلا ثانى المقاطع فيها «نل» فهو مغلق، كما أن مقاطعها المفتوحة منها مقطعان طويلان هما «مو - ها».

وهذا أقصى ما تصل إليه الكلمة فى اللغة العربية فى تأليفها المقطعى(١).

أهمية دراسة المقاطع:

١- تؤدى معرفة المقاطع فى لغة ما إلى الوقوف على طريقة نطقها، فإذا أريد تعلم إحدى اللغات، نطقت كلماتها نطقًا بطيئًا مجزءًا إلى مقاطع، ثم يتدرج ذلك إلى السرعة العادية حتى يتقن المتعلم هذه اللغة بنطقها الفصيح(٢).

٢- عن طريق معرفة المقاطع، يمكن معرفة نسيج الكلمة فى لغة من اللغات، والحكم على هذا بأنه عربى، وعلى الآخر بأنه غير عربى، كأن تكون الكلمة مكونة من مقطع من النوع الثالث ومقطعين من النوع الثانى(٣)، فما خالف النسج المألوف فى العربية فهو أعجمى، مثل مهراجا، سرناجا.

٣- يمكن على أساس إدراك المقاطع، معرفة التفعيلات العروضية وطريقة تركيب الكلمات(٤).

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٠.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٠.

(٣) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٨.

(٤) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٣.

٤- تمكن معرفة المقاطع من انتساب كل مقطع إلى أصله، فأحيانًا ينسب إلى الكلمة الأولى، أو الكلمة الثانية، فإذا كان حق المقطع أن يكون فى الكلمة الأولى، ونسبته إلى الثانية، ربما أدى إلى الخلط والالتباس، فدراسة المقطع تؤمن الإنسان من الوقوع فى اللبس مثل قولهم «زاحم يعود أودع»، وقولهم «طائر أودع».

الصور المقطعية التى ترد عليها الكلمات:

لقاء العلة بالساكن - فى التركيب المقطعى - ينتج - عددا هائلا من المقاطع بالنظرة العقلية والرياضية المجردة، ولكن اللغات لا تستعمل ذلك كله بل تقتصر على بعض صوره، والعربية تسير مع طرائقها التى ارتضاها الذوق العربى.

وباستعراض الكلمات المؤلفة من المقاطع، لوحظ أن الصور كثيرة والمستعمل منها قليل.

والإحصائيات التى أجريت لتجمعات المقاطع فى العربية تبين أن الكلمات ذات المقطعين تنتج ست عشرة صورة بالتحليل العقلى، والمستعمل منها سبع صور فقط، كما لوحظ غلبة المقطع (س + ح + س) يليه المقطع (س + ح).

ويذكر الدكتور أنيس أن أشكال النسيج التى يمكن أن تتكون للكلمات ذوات المقاطع الثلاثة أو الأربعة ومن المقاطع الثالثة الأولى تجاوز المائة فى حين أن المستعمل منها فعلا فى اللغة لا يتجاوز ربع هذا العدد.

وتتوالى فى الكلمات العربية المقاطع المكونة من س + ح ح والمكونة من س + ح + س، وإن كانت تميل إلى التخلص من توالى النوع الأول، أما توالى النوع المكون من س + ح فهو مقيد فى الكلام بعدد معين بحيث لا تزيد عليه[1].

---

(١) ينظر فى ذلك: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٠، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٩، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٧.

إمكان تحديد المقاطع:

قد يبدو فى ظاهر الأمر أنه لا يمكن تحديد مقاطع الكلمة، وأن ذلك أمر مرهق؛ لأن الوحدات الصوتية يتصل بعضها ببعض اتصالا لا يسمح بذلك أو لعدم وضوح الحدود الفاصلة بين مقاطع الكلام فى بعض الأحيان، لكن الدراسة التحليلية والواقعية تشهد بوجود المقاطع فى اللغات، لأن الناطق العادى يقسم الكلمة والجمل إلى وحدات بما يشهد لوجود المقطع، وفصل مقاطع الكلمات أو الكلمة بعضها عن بعض قد يكون أمرًا سهلاً، كما فى - كتب، وقاتل[1].

فإذا ما خفى فى الظاهر، فإن الباحثين فيه وضعوا قواعد وأحكامًا خاصة عن طريقها يمكن بيان حدود مقاطع الكلمات والفصل بينها فى كل لغة، فإذا وضع ساكن بين علتين أو حركتين على هذه الصورة (ح + س + ح) فاللغويون يختلفون فى نسبته للعلة أو الحركة الأولى، و بعضهم ينسبه إلى الحركة الثانية، بل إن بعضهم ينسبه إلى العلة الثانية، ويرى أن الأصل الشائع فى كل اللغات هو (س + ح) لا (ح + س)[2].

إلا أن الأحكام الخاصة باستعمال الكلمات هى التى تحكم هذا الأمر. فمثلا: an aim - بمعنى تسديد أو تصويب أو قصد و a name بمعنى اسم، قد يبدوان بصورة نطقية واحدة، لكن المقطع هو الذى يحدد نسبة الساكن إلى الحركة الأولى أو الثانية (ana).

ففى الكلمة الأولى ينسب الساكن إلى الحركة الأولى، وفى الثانية ينسب إلى الحركة الثانية حسب طبيعة الكلمات ووظيفتها، كذلك وقوع ساكنين بين حركتين على هذه الصورة (ح س س ح) قد تكون له بعض الصور التى تجعل التقسيم المقطعى أمرًا صعبًا[3]. فمثلاً: nitrate - بمعنى نترات ملح - أو حامض النتريك

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٢.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥١.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٣.

أو الصوديوم وتستعمل فعلا بمعنى «نيترت» أى يعالج بحامض النتريك أو يمزج به، وكلمة rate - بمعنى حالة أو درجة قيـمة السعر، وكلمة night بمعنى الليل، يظهر أن صورتها النطقـية واحدة، لكن التركيب اللغوى هو الذى يبين التـقسيم المقطعى ووضع الساكنين بين الحركتين.

فالكلمـة الأولى يلحق فيهـا أحد الساكنين بـالمقطع الثانى ni-trate والكلمة الثانـية يلحق فيـها أحـد الساكنين منهـا بالمقطع الأول nait والثانى بالمقـطع الثانى rate[1]، هذا فى اللغات الأجنبية.

أما نظائر ذلك فى العـربية: ففى القراءات تتـداخل الكلمات، بحيث تكون عددًا متكامـلاً من المقاطع حال النطق بها، ولا فصل بينها إلا بمعـرفة المعنى، فإذا التـقى المثلان مـتحـركين جاز الإدغـام فى بعض القراءات، ويكون ذلـك الإدغام بإسكان الأول وإدغامه فى الثانى - كما فى قوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ ... ﴿٢٠﴾﴾ [البـقرة]، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ... ﴿٧﴾﴾ [الأنفال]، وقـوله تعالى: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ... ﴿١٩١﴾﴾ [البقـرة]، وهو المسمـى بالإدغام الكبـير، وضابطه أن يلتقى المثلان والأول منهما متحرك[2].

فالمقطـع «هب - بـ»، «كة تـ»، «حيث ث» بـالإدغام مقـاطع مغلقـة، وقد ترتب عليها خلط أجـزاء كلمتين بعضهما ببعض، ومنـشأ ذلك، وقوع ساكنين بين علتين حال الإدغام «هب بـ، كة تـ، حيث ث»، وقد نسبا إلى مقطع واحد نطقًا، لكن المعنى القائم على طبيـعة التراكيب اللغوية يقتضى الفـصل بينهما، بجعل كل ساكن ينتسب إلى كلمة تختلف عن الأخـرى، فالباء والتاء فى الكلمات «ذهب - الشوكـة - حيث» ينسب إلى مـقطع الكلمة الأولى، والأوليـات من «بسمـعهم - تكون - ثقفتموهـم» تنسب إلى مقاطع الكلمة الثانية[3].

---

(١) ينظر فى ذلك: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥٢.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٠٧.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٤.

ولو نظرنا إلى قراءة الإدغام، وقراءة الفك لوجدنا أن صورة المقاطع مختلفة فهى مقاطع مفتوحة «ب ب، ت ت، ث ث».

وما يحدث فى القراءات يجرى مثله فى بعض كلمات اللغة.

فلو قارنا بين قولنا «نوق عواسر» وبين «الذئب عوى سر» لوجدنا شبهًا صوتيا بين «عواسر» و«عوى سر» وبالنظر فى حركة السين الكسرة، هل تكون مع الساكن الذى هو السين مقطعًا مفتوحًا، أو هى مع السين والراء تمثل مقطعًا مغلقًا؟.

والمعنى هو الذى يحدد ذلك.

ففى قولنا «نوق عواسر» تنضم الكسرة مع السين ليتكون المقطع المفتوح لأنها جزء كلمة، وهى صفة للنوق.

وفى «الذئب عوى سر» تكون الكسرة مع السين والراء المقطع المغلق «سر» فالكسرة جزء من فعل الأمر «سر»[1].

ومثل ذلك قولهم: زاحم بعود أو دع، وقولهم: طائر أودع، فصوت الفتحة، أى حركة الدال تكون فى الكلمة الأولى مع الدال والعين مقطعًا مغلقًا، بينما هى فى الكلمة الثانية تمثل مقطعًا مفتوحًا، فمعنى المثل: «زاحم بقوة أو فاترك ذلك» فطبيعة التركيب تبين أن حركة الدال والدال مع العين تنضم جميعًا لتكون المقطع المغلق (دع)، فالكلمة فعل أمر كما يقتضى المعنى، ولا يجوز نسبتها إلى الدال وحدها على اعتبار أن «أودع» صفة لعود، فهذا محض توهم[2].

أما العبارة الثانية، فإن المعنى يقتضى نسبة الحركة إلى الدال وحدها فى كلمة «طائر أودع» لتكون مقطعًا مفتوحًا، يليه مقطع آخر مفتوح، فالكلمة صفة للطائر[3].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٥، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥٣.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٦.

(٣) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٤٥.

ويمكن العثور على تعبيرات عربية كثيرة تتوقف معرفة حدود الكلمات فيها على المعانى، وذلك بإضافة الكلمة أو حذفها منها وضمها إلى صاحبتها.

فتعبير «بين الطخا» فى قول الشاعر:

خليل لا يبقى على الدهر غادر بتيهورة بين الطخا فالعصائب[1]

يحتمل وجهين حسب المراد، فإذا نطقت العبارة «الطخا فالعصائب» يجعل المقطع المفتوح الطويل «خا» يليه مقطع مغلق هو «فل» فهما موضعان والفاء عاطفة وحركتها الضمة.

وإذا نطقت الطخاف العصائب يجعل الفاء مقطعًا مفتوحًا قصيرًا، فالمراد من اللفظ الأول نوع من السحاب، ومن الثانى نوع من الغيم، والفاء مع حركتها الكسرة تعد جزءًا أساسيا فى بنية الكلمة الأولى[2].

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)﴾ [القصص]، فذهب الخليل وسيبويه فيه إلى أنه «وى» مفصول، وهو اسم سمى به الفعل فى الخبر، وهو بمعنى أعجب، ثم قال مبتدئا: كأنه لا يفلح الكافرون[3]، فمعنى ذلك أن كلمة «وى» مقطع مغلق مكون من س + ح + س وأن الكاف بعدها مقطع مفتوح جزء من الكلمة التالية كأنه.

وذهب أبو الحسن فيه إلى أنه «ويك» ثم قال: «أنه لا يفلح الكافرون»، أراد أعجب لسوء اختيارهم، فعلق «أن» بما فى «ويك» من معنى الفعل، وجعل الكاف حرف خطاب بمنزلة كاف، ذلك، وهناك[4]. فمعنى هذا على كلام أبى الحسن أن «الكاف» مقطع مفتوح قصير جزء من الكلمة الأولى «ويك».

---

(١) الغادر: الوعل المسن العظيم فى الجبل، التيهورة: الرمل المشرف أو ما بين قمة الجبل وأسفله، والطخا والعصائب، موضعان، وقيل العصائب: غيم أحمر تراه فى الأفق الغربى، والطخاف: السحاب المرتفع، انظر لسان العرب: ف د د ر، ت ى هـ، طخف - عصب.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٧.

(٣) الخصائص، ابن جنى، ٣/ ١٦٩.

(٤) السابق، ٣/ ١٧٠.

ومنه فى الشعر قول الأصمعى:

وغلت بهم سحجاء جارية تهوى بهم فى لجة البحر

يحتمل أن تكون الواو - المقطع المفتوح القصير - من بنية الكلمة ويكون المعنى فعلت من التوغل، ويمكن أن تكون الواو مقطعًا مفتوحًا قصيرًا وهى عاطفة، ويكون المعنى من الغليان[1].

ومنه بيت أوس:

فملك بالليط الذى تحت قشرها كغرقئ بيض كنه القيض من عل[2]

يجوز فى قوله «ملك» من الملك وهو التشديد، وبذلك يكون المقطع «ف - مل - لك» فالمقطع - مل - مغلق ويجوز أن يكون أراد «من لك بهذا الليط»، وبذلك يكون المقطع المغلق هو - من - واللام مقطع مفتوح قصير جزء فى بنية الكلمة «لك».

ويتضح من هذا أن جعل المنطوق به فى اللفظ السابق كلمة واحدة أو كلمتين يقوم على أساس المعنى، ولابن جنى فى هذا الصدد حديث طريف ذكره فى كتابه الخصائص فى فصل بعنوان «باب فى توجيه اللفظ الواحد إلى معنيين اثنين».

فالكلمة ليست فى الحقيقة إلا جزءًا من الكلام تتكون عادة من مقطع واحد أو عدة مقاطع وثيقة الاتصال بعضها ببعض، ولا تكاد تنفصم فى أثناء النطق، بل تظل مميزة واضحة فى السمع[3].

فالسياق وطبيعة البنية ونحوها كفيلة ببيان المعانى وتحديد أوائل الكلمات وأواخرها وبيان مقطاعها.

---

(١) الخصائص، ابن جنى، ٣/ ١٧٢.

(٢) البيت فى وصف قوس، والليط القشر، الغرقئ: القشرة الملتزقة ببياض البيض، والقيض: القشرة العليا اليابسة، والمعنى إن القواس حين قشر قناة القوس لم يستأصل قشرها. بل أبقى بها الليط يقويها ويشددها، اللسان: ملك، الخصائص، ٢/ ٣٦٣.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٨.

الفصل الثاني
النبر

النبر: هو الضغط على مقطع معين من الكلمة، ليصبح أوضح فى النطق من غيره لدى السامع[1].

وقد عرفه كانتينو فقال: «النبرة هى إشباع مقطع من المقاطع» ثم أشار إلى أشكاله فقال: «بأن تقوى إما ارتفاعه الموسيقى أو شدته أو مداه أو عدة عناصر منها فى نفس الوقت»، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر فى المقاطع المجاورة[2]. ويشير بذلك إلى أشكال النبر، وهى:

١- النبر الموسيقى. ٢- النبر العادى: وهو نبر الهمزة مثل شأبه ودأبه ولا الضألين. ٣- نبر التوتر. ٤- نبر الطول: وهو الناشئ عن إطالة صوت المد[3].

وهذا الذى ذكره المحدثون له أصله عند العرب وله جذوره المعجمية.

فالنبر - عند العرب - ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة: إذا تكلم بكلمة فيها علو، ونبرة المغنى: رفع صوته عن خفض، والمنبر مرقاة الخاطب، وسمى بذلك لارتفاعه وعلوه[4].

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٩، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥٧.

(٢) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٨.

(٢) السابق، ص٢٥٨.

(٤) لسان العرب، ن ب ر.

والنبر مصدر نبر الحرف نبرًا: همزه، والنبر بالكلام: الهمز، والهمز: مثل الضغط، ومنه الهمز فى الكلام، لأنه يضغط، ويقول سيبويه عن الهمزة: إنها نبرة من الصدر تخرج باجتهاد(١).

وعلى ذلك فالنبر بمعنى الضغط فى كتب العربية، والنبر بمعنى الوضوح، موجود فى العربية أيضًا، لأن وضوح الصوت يكون بارتفاعه وعلوه.

فكأن المحدثين لم يزيدوا شيئًا عن القدماء فى تصور فكرة النبر، أكثر من تنظيمه وتخصيصه بالمقطع.

والنبر يستلزم جهدًا زائدًا يُبذل من أعضاء النطق بأسرها من الرئتين والوترين والحلق واللسان والشفتين، فيصحب المقطع المنبور هذا الجهد الزائد فيعطيه قوة فى الوضوح والظهور، أكثر من المقاطع المجاورة فى الكلمة، أما المقطع غير المنبور، فيفتر معه نشاط هذه الأعضاء حتى يقل وضوحه فى السمع؛ لذا فإن المنبور أطول من سواه فى الكلمة وأكثر تصويتا.

وظيفة النبر فى اللغات:

لا تخلو أى لغة من النبر، فكل متحدث بلغة ما يضغط على بعض المقاطع فيها، وإنما الاختلاف بينها فى استخدامه فونيما صوتيا يغير الصيغ أو المعانى أو عدم تأثيره فيها.

نبر الكلمة:

النبر فى الكلمة يلعب دوراً مهمّا فى بعض اللغات فيفرق بين الصيغ أو المعانى فيها بحيث لا يفهم المراد إلا بوجوده.

(١) لسان العرب هـ.مـ ز، وانظر: أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٥٩.

واللغة الإنجليزية من هذا القبيل، حيث يحدد النبر فيه صيغة الكلمة فعلا أو اسمًا، فكلمة Inparte بمعنى «هام» إذا نبر المقطع الأول in كانت اسمًا، وإذا نبر المقطع الثانى كانت فعلاً part[1].

كما يفرق النبر بين المعانى فيها، ومن ذلك كلمة august، إذا نبر المقطع الأول au فهى بمعنى شهر أغسطس، وإذا نبر المقطع الثانى gust فهى بمعنى مهيب أو جليل[2].

والفرنسيون يضغطون على المقاطع الأخيرة من الكلمات الإنجليزية التى ينطقونها، فتنقر الأذن الإنجليزية من هذا النطق الذى تشوبه لهجة أجنبية[3].

وهذا النبر - أو هذا النوع من النبر فى هذه اللغات يسمى «النبر الحر» حيث لا تتبع اللغات طريقة واحدة أو تحدد مكانًا معينًا له.

وتسمى أيضًا لغات نبرية، وذلك لما للنبر فيها من أثر واضح، ومن اللغات ذوات النبر الحر: الروسية[4].

مواضع النبر فى الكلمة العربية:

لا ندرى كيف كان العرب ينبرون، إذ ليس لدينا تسجيل لهذه الظاهرة، ولا ندرى بالتأكيد موضع النبر فى العربية الفصحى.

ولما كانت القراءات القرآنية - على لسان القراء ممثلة إلى حد كبير للنطق العربى الفصيح الذى تناقلته الأمة جيلا بعد جيل، استنبطت منها مواضع النبر فى العربية القديمة، وهو ما ينطبق على العربية الفصحى المعاصرة[5].

---

(١) أصوات اللغة العربية، د. أيوب، ص١٥٠ بتصرف، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥٨، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٩.

(٢) ينظر فى ذلك: الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧١، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٥٩.

(٣) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧٠.

(٤) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٩.

(٥) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦١، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧١، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٦٢.

وقد حددت مواضع النبر فى العربية الفصحى كما يلى:

١- النبر على المقطع الأول:

(أ) وذلك إذا توالت ثلاثة مقاطع متماثلة من النوع المفتوح القصير، مثل مقاطع: سلم - رحم - علم - عـزم - غمـر، فالمنبـور فى هذه الكلمـات هو المقطع الأول فى تلك الكلمات س، ر، ع، ع، غ.

(ب) أو كانت الكلمة تشتمل على أكثر من ثلاثة مقاطع، إذا إن الثلاثة الأولى فى الكلمة من النوع المفتوح القصير، مثل: رقبة، عقبة، ثمرة. فالمقطع المنبور هو الأول من الكلمات وهو: ر - ع - ث، وهى أولى الكلمات السابقة[١].

(جـ) وكذلك إذا كانت الكلمة كلها مقطعا واحدًا «أحادية المقاطع» كالكلمات الآتية حال الوقف: بأس - نـار - صم، فالكلمة الأولى مـن النوع الخامس: س + ح + س + س، والنبر يقع عليها كاملة، لأنها مقطع واحد.

والكلمة الثـانية من النوع الرابع: س + ح ح + س، والنبر يقع عليهـا كلها لأنها مقطع واحد.

والكلمة الثالثة من النوع الثالـث: س + ح + س والنبر يقع عليها كلها[٢]، لأنها مقطع واحد، والكلمات الثلاثة أحادية المقاطع، أى مكونة من مقطع واحد.

٢- النبر على المقطع الأخير:

وذلك إذا كان هذا المقطع من الـنوع الرابع س+ح ح+س، أو كان من النوع الخامس س+ح+س+س، وذلك فى حالة الوقف على مثل: نستعين، والمستقر[٣].

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٦٣.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧١، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٢.

(٣) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧١، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٢.

فالنبر فى الكلمة الأولى على المقطع «عين»، وهو من النوع الرابع: س + ح ح + س، والنبر فى الكلمـة الثانية على المقطع «قـر» وهو من النوع الخامس س + ح + س + س وهما المقطعان الأخيران، الأول منهما من النوع الرابع، والثانى من النوع الخـامس، ولا يخفى أن ذلك يكون فى حـال الوقف، أما فى حـال الوصل فيتغير المقطع.

٣- النبر على المقطع الذى قبل الأخير:

وذلك يكون فى حالة ما إذا لم يكن المقطع الأخير من النوعين السابقين، أى لم يكن المقطع الأخـير من النـوع الرابع، ولا من النوع الخامس، وكـذلك إذا لم تتوال مقاطع من نوع واحد - أى المفتوح القـصير، ففى هذه الحالة يكثر النبر على المقطع الذى قبل الأخير[1].

ومن أمثلته «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًـا» فكل كلمة من هذه العبارة ليست من النوع الرابع ولا من النوع الخامس.

فـالمقاطع الأخـيرة هى: صـر - ك - من - من، والنبـر يكون على المقطع الذى يسبـقه، وهذه المقـاطع فى الكلمات هى: إن - خا - ل - لـو وهى المقاطع التى تسبق المقطع الأخير.

٤- النبر على المقطع الذى يسبق ما قبل الأخير:

ويقع النبر على المقطع الذى يسبق ما قبل الأخير فى حالات منها:

(أ) إذا كان المقطع قـبل الأخير من النوع الأول وسـبق بنظير له من النوع الأول - أى المفتـوح القصير مـثل اذدهر، ابتكر، انكسر[2]. فالمقـاطع التى تسبق

(١) الأصـوات اللغـوية، أ.د. أنيس، ص١٧١، ١٧٢، أصـوات اللغـة العـربيـة، أ.د. هلال، ص٢٦٣، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٢.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيـس، ص١٧٢، أبنية العربية فى ضوء علم التـشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٣.

المقطع الأخير هى «الهاء» فى الكلمة الأولى، و«الكاف» فى الكلمة الثانية، و«السين» فى الكلمة الثالثة، وهى كما ترى مقاطع مفتوحة قصيرة؛ لذلك كان النبر على المقطع الذى يسبقها، وهى «الدال» فى الكلمة الأولى و«التاء» فى الكلمة الثانية، و«الكاف» فى الكلمة الثالثة، وهى كما ترى أيضًا من النوع المفتوح القصير.

(ب) إذا كان المقطع الأخير من النوع الثالث، والذى قبل الأخير من النوع الأول - أى المفتوح القصير، مثل ركبك - سلمك - قدمك - حال الوقف عليها[1].

ففى الكلمة الأولى، المقطع الأخير منها «بك» والذى قبله «ك» والنبر فيها على المقطع «رك» وهو المقطع الأول فى الكلمة.

والكلمة الثانية، المقطع الأخير منها «مك» والذى قبله «ل» والنبر فيها على المقطع «سل» وهو المقطع الأول.

والكلمة الثالثة، المقطع الأخير فيها «مك» والذى قبله «د» والنبر فيها على المقطع «قد» وهو المقطع الأول فى الكلمة، وهى تعد سابقة للمقطع الذى قبل الأخير، ويمكن أن يكون النبر فيها على المقطع الأول.

(جـ) إذا كان المقطع الأخير من النوع المفتوح الطويل، والذى قبله من النوع المفتوح القصير، مثل: قدموا، بكروا، أكرموا، اعلموا، ففى الكلمة الأولى مقطعها الأخير«موا» والذى قبله «د»، وهو من المفتوح القصير، والنبر فيها على المقطع «قد» وهو المقطع الأول، وفى الكلمة الثانية: مقطعها الأخير هو «روا» والذى قبله «ك» وهو من النوع المفتوح القصير، والنبر فيها على المقطع الأول «بك» وهو الذى يسبق ما قبل الأخير.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧٢، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٣.

وفى الكلمة الثالثة: مقطعها الأخير: «موا» والذى قبله «ر» وهو من النوع المفتوح القصير، والنبر فيها على المقطع الأول «أك» وهو الذى يسبق ما قبل الأخير.

وفى الكلمة الرابعة: مقطعها الأخير هو «موا» والذى قبله «ل» وهو من النوع المفتوح القصير، والنبر فيها على المقطع الأول «أع» وهو الذى يسبق ما قبل الأخير.

انتقال النبر:

ينتقل النبر من مقطع إلى آخر فى الكلمات العربية، وتدعو إلى ذلك أسباب موقعية وتركيبية، أو نبر الكلمات ونبر الجمل، فالنبر فى الكلمات يكون فى المواضع الآتية:

١- الاشتقاق:

فقد يكون النبر على مقطع فى كلمة مأخوذة من مادة لغوية معينة، كالفعل الماضى: «نفر»، فالفعل «نفر»، النبر فيه يقع على المقطع الأول «ن» لتوالى ثلاثة مقاطع من نوع واحد، مفتوح قصير، وعند صياغة المضارع من الفعل «نفر»، فإنه «ينفر» وعندئذ يقع النبر على المقطع الذى قبل الأخير، وهو «ف» لانطباق القاعدة الخاصة بنبره، وهى أنه إذا لم يكن المقطع الأخير من النوع الرابع أو النوع الخامس ولم تتوال فيه ثلاثة مقاطع من النوع القصير[١].

ومثل ذلك المصدر: «انتصار» يقع النبر فيه على المقطع الذى قبل الأخير «صا» فإذا جيء منه بالفعل الماضى «انتصر» وقع النبر فيه على المقطع الثانى «ت» وهو الذى يسبق ما قبل الأخير[٢]؛ لأن المقطع الأخير من النوع الأول وما قبله مثله.

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٦٥.

(٢) السابق، ص٢٦٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٦٦.

ويجعل الدكتور أنيس ذلك النوع من النبر الاشتقاقى أحد العوامل المؤثرة فى سقوط حـركات الإعراب فى العاميـة، فالنبر فى مثل «يكتب» و«يسـتفهم» بالنطق الفصـيح يقع على «ت، هـ» ولكن حدث فى لهـجات الكلام أن انتـقل النبر إلى المقطع الذى قبله، وهو «يك» و«تف» وترتب على ذلك أن تخلصت الكلمات من أواخرها وبذلك سقطت حركات الإعراب(١).

٢- إسناد الفعل إلى الضمائر:

فى بعض صور إسناد الفعل الماضى إلى ضمائر الرفع المتـحركة، ينتقل النبر من مكانه الذى كان فيه قبل الإسناد.

فالفـعل الماضى «نفر» يقع النبر فيـه على المقطع الأول «ن» وعند إسناده إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين والمخاطب أو المخاطبين، يصير: «نفرت، نفرنا، نفرت، نفرتم» فنلاحظ حينئذ تحول النبر إلى المقطع «فر» وهو المقطع الذى قبل الأخير.

حيث لم تنته الكلمـة بمقطع من النوعين الرابع أو الخامس، ولم تتوال ثلاثة مقاطع مـفتوحة قـصيرة فى الكلمة، فكان النبـر على مقطعها الذى قـبل الأخير، ويلاحظ أنه عند إسناد الفـعل الماضى إلى ضمائر الرفع السـاكنة كألف الاثنين أو واو الجمـاعة لا يتغـير النبر عن مـوضعه، فـإذا قلنا «المقاتلان نفـرا» أو «المقاتلون نفـروا» بقى النبر فى الفـعل نفرا ونفـروا على المقطع الأول لتـوالى ثلاثة مقـاطع متماثلة(٢).

٣- جزم المضارع:

يتغـير مكان النبر فى الفعل حـسب رفعه أو جزمـه، فإذا قلنا ينهض الطائر فالنبر فى الفـعل «ينهض» على المقطع الذى قبل الأخير «هـ» فإذا جـزم كقولنا «لم

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيـس، ص١٧٦، أبنية العربية فى ضوء علم التـشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٤، ١٦٥.

(٢) أبنية العـربية فى ضـوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هـلال، ص١٦٥، أصوات اللغة العـربية، أ.د. هلال، ص٢٦٦، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٦٦.

ينهض» تغير نوع المقاطع، وأصبحت الكلمة تشتمل على نوعين من المقطع الثالث «س + ح + س»؛ ولذلك يقع النبر فيها على المقطع الأول «ين»[1].

نبر الجمل:

يقوم هذا النوع من النبر على الضغط على كلمة معينة فى إحدى الجمل المنطوقة لتكون أوضح من غيرها من كلمات الجملة، وذلك للاهتمام بهذه الكلمة أو التأكيد عليها ونفى الشك عنها من المتكلم أو السامع.

وهذا السلوك اللغوى شائع فى كثير من اللغات، ومنها اللغة العربية، فإذا سأل رجل رجلا قائلا: هل صليت الفجر فى المسجد الحرام، وأبرز كلمة بأن أوضحها صوتيا أكثر من غيرها فى الجملة، كان ذلك دليلا على غرض مقصود، فقد يكون الاهتمام الذى علق بذهن المتكلم متجهًا إلى الصلاة فى ذاتها، وقد يكون متجهًا إلى صلاة الفجر عينها، أو إلى ارتباطها بالمسجد الحرام بوقوع صلاة صاحبه فيه، وقد يكون المتكلم مسلِّمًا بكل ذلك، إلا أنه يشك فى زمن حدوث الصلاة وهو أمس مثلا.

وبناء على اختلاف المراد بذلك، يميز النبر المعنى، كما يريده المتكلم، وهكذا لو قال الرجل لصاحبه: صليت الفجر فى المسجد الحرام أمس، ناسبًا ذلك إلى نفسه، وكان الصاحب يشك فى مضمون كلمة معينة فى الجملة، فإن المتكلم يؤكد له صحة المضمون بنبرها.

ويحدث هذا النوع من النبر فى الأساليب العربية والمواقف الكلامية كثيرا سواء فى ذلك الفصيح والعامى، وكم هو ملموس فى أحاديثنا.

ومعلوم أن النبر لا يكون بالضغط على الكلمة كلها، وإنما هو اتباع المنهج الصوتى السابق للنبر، بمعنى إبراز أحد مقاطعها حسب القواعد المألوفة للنبر فى اللغة المستعملة فى الكلام[2].

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٥.

(٢) ينظر فى ذلك: الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧٤، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٦٧، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٦.

الفصل الثالث
التنغيم

هو: ارتفاع الصوت وانخفاضه مراعاة للظرف المؤدى فيه، أو تنويع الأداء للعبارة حسب المقام المقول فيه[1].

وهذا التنويع يتوقف على عدد الذبذبات، التى من خلالها يكون الصوت حادا ويكون غليظًا، فإذا كان عدد الذبذبات كثيرًا، كانت النغمة حادة، وإذا كانت الذبذبات قليلة كانت النغمة غليظة، ومن هنا يكون تنويع النغمات فى الأداء بأن يبدأ بنغمة حادة تعقبها نغمة غليظة أو العكس وربما قصد المتكلم التسوية بين النغمات صعودًا وهبوطًا[2].

ومن خلال الصعود والهبوط والاستواء تحدث صور للتنغيم أهمها:

١- **التنغيم الصاعد**: ويكون بأن يبدأ الكلمة بنغمة هابطة تعقبها نغمة صاعدة، أى يبدأ من الأضعف إلى الأقوى أو من الأسفل إلى الأعلى.

٢- **التنغيم الهابط**: وذلك حين يبدأ المتكلم بنغمة صاعدة ويعقبها بنغمة هابطة، أى أنه على عكس النغمة الأولى.

٣- **التنغيم المستوى**: وذلك إذا تساوت النغمتان فى الصعود وفى الهبوط.

٤- **التنغيم الصاعد الهابط**: وذلك حين تكون البداية هابطة تعقبها نغمة صاعدة تليها نغمة هابطة.

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٨.

(٢) مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٢١٢.

٥- **التنغيم الهابط والصاعد**: وذلك أن يبدأ الكلمة بنغمة صاعدة تليها نغمة هابطة ثم نغمة صاعدة(١).

وهذا التقسيم فى ظنى إنما ينحصر فى ثلاثة أنواع فقط، لأن الإنسان فى كلامه لا يستمر على حالة من الصعود، كما أنه لا يظل على حالة من الهبوط، وإنما ينتقل من الصعود إلى الهبوط أو العكس أو الاستواء فى النغمات.

وعلى ذلك فيمكن الاقتصار على التقسيمات الثلاثة ولا داعى إلى عدها خمسة، وهذا التنويع يحدث على مستوى الكلمة، كما يكون على مستوى الجملة أو العبارة.

التنغيم فى الكلمة:

التنغيم فى الكلمة: يعنى اختلاف درجات الصوت فى الكلمة الواحدة، وهذا النوع يستعمل فى بعض اللغات للتفريق بين المعانى كالصينية والنرويجية والسويدية، ويسميه بعضهم فونولوجى أو دلالى.

مثال ذلك فى الصينية كلمة «فان» فإنها تؤدى ستة معان حسب توالى درجات الصوت بالنغمة الموسيقية هى: «ثوم، يحرق، شجاع، واجب، يقسم، مسحوق» والذى يميز بين هذه المعانى هو التنغيم(٢)، وفى اللغة العربية صور من هذا التنغيم الذى يختلف بحسب المعانى.

فكلمة «ليل» تدل بنطق خاص على مجرد الظلام، وبنطق آخر تدل على طوله، وقد دلل ابن جنى على أن طول الضغط على المقطع الأول «ليـ» يشير إلى طول الليل، يقول:

---

(١) ينظر فى ذلك: علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، ص٢٦٧، مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. البركاوى، ص٢١٢.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٦٩.

«وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس فى كلام القائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: ليل طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس ذلك إذا تأملته»[1].

ومما ساقه ابن جنى دليلا على ذلك: أن تقول فى مدح إنسان والثناء عليه «كان والله رجلاً! فتزيد فى قوة اللفظ بلفظ الجلالة (الله) وتتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها - أى رجلا فاضلا أو شجاعًا كريمًا»[2].

وكذلك كلمة «إنسان» فبنطق خاص يدل دلالة عامة على هذا المخلوق، فإذا أطيل النطق بالمقطع الذى قبل الأخير دل دلالة خاصة على الإنسان الفاضل أو الكامل فى صفاته، وبطريقة أخرى من النطق تدل على ذمه[3].

يقول ابن جنى، وكذلك تقول: «سألناه فوجدناه إنسانًا» وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغنى بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحًا أو جوادًا أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: «سألناه وكان إنسانًا»، وتزوى وجهك وتقطبه، فيغنى ذلك عن قولك إنسانًا لئيمًا أو مبخلاً أو نحو ذلك[4].

وقد يراد نبر الكلمة فى العربية تذكر ما بعدها مما عسى أن يكون المتكلم قد نسبه أو غاب عن ذهنه، وقد عقد ابن جنى لذلك بابا فى مطل الحروف، وذكر فيه أن أصوات اللين طويلة وقصيرة تمطل كما تمطل الحروف الصحاح، ويسمى ذلك باسم همزة التذكر[5].

---

(١) الخصائص، ٣/ ٣٧٠، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٧١.

(٢) الخصائص، ٣/ ٣٧١.

(٣) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٧١.

(٤) الخصائص، ٣/ ٢٧١، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٧١.

(٥) الخصائص، ٣/ ١٢٤، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٠.

فمن أمثلة العلل الطويلة أنك تمطل نحو «أخواك ضربا» إذا كنت متذكراً للمفعول به أو الظرف - أى ضربا زيدا ونحوه، وكذلك تمطل الواو إذا تذكرت فى نحو «ضربوا» إذا كنت تتذكر المفعول أو الظرف، نحو: ضربوا زيداً أو يوم الجمعة - أو قياما فتتذكر الحال، وكذلك الياء فى نحو «اضربى» أى «اضربى زيدا»[1].

ويبين لنا ابن جنى سبب التنغيم فى هذه الحالة، ولماذا كان المطل، فيقول: وإنما مّطلت ومددت هذه الأحرف فى الوقف وعند التذكر، من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة، فقلت: ضربا، ضربوا، اضربى، وأنت مع ذلك متذكر شيئًا، لأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك.

لكنك لما وقفت ومطلت الحرف، علم بذلك أنه متطاول إلى تال للأول منوط به معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته[2].

ومن أمثلة مطل العلل القصيرة قولهم عند التذكر مع الفتحة فى قمت، قمتا أى قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك مع الكسرة: أنتى - أى أنت عاقلة، ومع الضمة - قمتو - أى قمت إلى زيد.

وتقول فى أشباه العلل نحو: أى وكى، قد فعل كذا أى وكى، معناه أنه كان كذا[3].

ومن العرب من يقرأ «اشتروا الضلالة» ومنهم من يكسر فيقول «اشتروِا الضلالة»، ومنه من يفتح فيقول: «اشتروَا الضلالة»، فإذا مطلت متذكرًا على هذه القراءة، قلت على قراءة من ضم: اشتروو‌ا، وعلى من كسر: اشتروى، وعلى من فتح: اشتروا[4].

---

(١) الخصائص، ٣/ ١٢٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٧٢.

(٢) الخصائص، ٣/ ١٢٨، وينظر فى ذلك: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧١.

(٣) الخصائص، ٣/ ١٣٠، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧١.

(٤) الخصائص، ٣/ ١٣٢، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٧٣.

ومن أمثلة مطل الحروف الصحاح قولك فى «قد قام» إلا أنك تشك أو تتلوم لرأى تراه من ترك المبادرة بما بعد ذلك فتقول «قدى» وفى نعم «نعمى» أى نعم قد كان، أو نعم هو هو.

ومن كان فى لغته أن يفتح أو يضم لالتقاء الساكنين، فقياس قوله أن يفتح أو يضم عند التذكر - فيقول - فيما روى عن قطرب - قم الليل، بع الثوب، فيقول فيها متذكراً قما، بعا.

ولا شك أن هذا الهمز التذكيرى ليس إلا من قبيل التنغيم أو النبر الموسيقى، وهو كما يظهر ينبئ عن أغراض كثيرة كالتعجب والتقرير أو أن مزيداً من الكلام سيأتى[1].

التنغيم فى العبارة:

تنغيم العبارات عبارة عما يلاحظ من التنوعات الموسيقية فى الكلام فى طبيعة النطق، والتنغيم موقف الكلام وحالة المتكلم النفسية وطبيعة المخاطبين التى يلقى فيها الكلام وغير ذلك من الظروف المحيطة.

فموقف الخطابة الدينية يختلف عن الخطابة السياسية، وعن موقف التهنئة، وكذلك يختلف كل منهم عن موقف الرثاء، ولكل أسلوبه وطرائقه فى نطق العبارات ونبراتها الصوتية[2].

وحالة المتكلم وعواطفه من مودة أو كراهية وتقدير أو احتقار، لها آثارها فى التعبير وموسيقى الكلام، وهذا ملموس فى المواقف المتعددة، وفى كل ذلك تعبير عن اختلاف المشاعر ومقتضيات الأحوال وتغيير الجمل من الاستفهام إلى التأكيد إلى الانفعال إلى التعجب.

وقد نلاحظ ذلك واضحاً فى العاميات العربية، وهو يمثل اتجاهات اللهجات فى البلاد العربية كالمصرية والسورية والعراقية والمغربية والسعودية وما شاكل ذلك،

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٢.
(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٣.

ولتنوع ذلك وتعدده فى هذه اللهجات يتـعذر وضع نظام خاص لطرائق التنغيم فى العربية المعاصرة ولهجاتها.

ففى العامية المصرية يستخدم التنغيم للدلالة على الإثبات والنفى فعبارة «أنت عالم» يمكن أن تشكل فى النطق العامى بصورة صوتية تدل على مراد المتكلم(١).

فبنغمـة ذات نبرات صوتية واثقـة تدل على إثبات العلم للمخاطـب وبنغمة أخرى تهكمية تنفى العلم عنه.

كمـا يستـخدم التنغـيم أيضًا ليـدل على الإخبار أو الاسـتفـهام، فـإذا قيل لإنسان: «انتفعت بالعلم» فى العامية، يمكن بنغمة خاصة هادئة للدلالة على إعلام المخاطب بانتفاعـه بالعلم، وبنغمة أخرى ذات نبرات انفعالية تفـيد سؤال المخاطب عن مدى انتفاعه بالعلم.

ويشـترك فى بيـان المراد بالتنغـيم حركـات وإشارات وانفـعالات تبـدو فى تصرفات المتكلم وعـلى قسمات وجهـه، وكذلك ظروف الاستعمـال اللغوى لهذه الجمل والمواقف الكلاميـة، وهذا معلوم للناطقين باللهجة المصـرية وبذلك اختفت من اللهجـة المصرية بعض أدوات النفى والاسـتفهام وحـل محلها التنغـيم ليؤدى مؤداها(٢).

---

(١) أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٣٧٥.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٤.

الفصل الرابع
أثر تجاوز الأصوات

تحقق اللغة السهولة لكل متكلم، وتدعوه إلى الانسجام الصوتى فى أبنيتها، ولتحقيق الانسجام الصوتى تبدو مظاهر لغوية لهذه السهولة وذلك الانسجام فيما عرفته العربية بالإدغام والإقلاب والإخفاء، والذى يهمنا من ذلك عنصران أحدهما يسمى المماثلة، والآخر يدعى المخالفة.

المماثلة:

والأصل فيها الاقتصار فى الجهد العضلى، فهو الهدف المقصود للناطقين باللغة، فإذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجًا وصفةً، سهل نطقها وتحققت لها السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شيئًا منها، أما إذا كانت متنافرة فى ذلك، فإن جهاز النطق يتعثر فى التفوُّه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير فى بعض تلك الأصوات ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور(١).

فإذا كان النطق بالمتجاورين أمرًا صعبًا يحتاج جهدا كبيرا، لجأ أصحاب اللغة إلى السهولة، وذلك بتغيير أحدهما حتى ينسجم مع الآخر صوتيا، ويسمى ذلك بالمماثلة، وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر ووقوعه(٢).

وإذا تأثر صوتان أحدهما بالآخر، فإما أن يكون هذا التأثر ناتجًا عن تأثر الصوت الثانى بالأول: فيسمى حينئذ بالتأثر التقدمى.

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٥.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٧٨، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٧٦.

وإما أن يكون هذا التـأثر ناتجًا عن تأثر الصـوت الأول بالثانى، فإنه حـينئذ يسمى تأثرًا رجعيًا.

وهذان النوعان موجودان فى اللغة العربـية، بيد أن بعض المحدثين يشير إلى أن الشائع فيها هو النوع الأول(١).

ومن أوضح الأمثلة على ذلك صياغة «افتعل» مما فاؤه أحد أصوات الإطباق (ص - ض - ط - ظ - أو - د - ذ - أو - و - ى).

فإذا جاءت هذه الصيغة مما فاؤه أحد أصوات الإطباق مثل: صرخ - صنع - ضرع - ضـغن، طلع - طهر - ظعن - ظهـر، أدى ذلك إلى تجاور تاء الافتـعال المستغلة مع هذه الأصوات المستعلية المطبقة، فيصعب على اللسان أن ينطق «اصترخ - استنع - اضترع - اصتعن - اطتلع - اطتـهر، اظتعن، اظتهر» لأن الانتقال من صوت مطبق إلى صوت مستغل بمثـابة الانحدار من مرتفع، ويؤدى ذلك إلى تعثر اللسان فى النطق.

والانسجام الصوتى يقتضى تحول تاء الافـتعال إلى صوت من مخرج التاء له صفة الإطباق - ليحقق الانسجام الصوتى ويقرب من الصوت السابق عليه ويأتلف مـعه، لذلك أبدلـت التاء طاء، فـقـيل فيـهـا: «اصطرخ - اصطنع - اضطرع - اضطعن - اظطهر» وبذلك أصبح النطق ميسوراً(٢).

وهذا مع الصاد والضـاد والظاء، نوع من تقريب الصـوت من الصوت دون إدغام، أما فى «اطتلع، اطتـهر» فالإدغام لا غيـر، لأن تاء الكلمة «الطاء الأولى»

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيـس، ص١٧٨، أبنية العربية فى ضوء علم التـشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٦.

(٢) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٢١، وانظر: أبنية العـربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٦، أصـوات اللغـة العربيـة، أ.د. هلال، ص٢٧٧، الأصـوات اللغـوية، أ.د. أنيس، ص١٨١.

والطاء التى حلت محل تاء الافتعال أصبحتا من جنس واحد والأولى ساكنة والثانية متحركة فتدغمان فتقول: اطّلع، اطّهر»[1].

وقد أشار إلى ذلك ابن جنى فقال «فإن كان الحرفان جميعًا من مخرج واحد فسلكت هذا الطريق، فليس إلا أن تقلب أحدهما إلى لفظ الآخر ألبتة ثم تدغم لا غير، وذلك نحو «اطعن» أبدلت تاء «اطتعن» طاء ألبتة، ثم أدغمتها فيها لاغير، وذلك أن الحروف إذا كانت من مخرج واحد ضاقت مساحتها أن تدنى بالتقريب منها، لأنها إذا كانت معها من مخرج واحد فهى الغاية فى قربها، فإن زدت على ذلك شيئًا فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ آخر ألبتة، فتدغمه فيه لا محالة[2].

وهذا التأثر تقدمى، لأن الصوت الثانى تأثر بالصوت الأول، وقد حدث فى بعض هذه الصيغ نوع آخر من التغيير لزيادة السهولة والانسجام، فقلبت الطاء التى حلت محل تاء الافتعال من جنس الصوت السابق عليها، فإذا كان السابق صادا أو ظاءً، قلبت إليه فيعقد الصوتان فيدغمان فيصير: «اصّرع، واصّنع، واظّهر»، وهو تأثر تقدمى أيضًا، وإذا كان السابق ضادا حدث وجهان:

أحدهما: قلب الطاء ضادًا وإدغامها فيها، وهو الأقوى لأنه القياس، ولأن اللسان ينبو بهما دفعة واحدة فتقول: أضغن، وهذا تأثر تقدمى كما سبق.

ثانيهما: قلب الضاد طاءً وإدغامها فيها، فتقول: اطغن، وقد جاءت على ذلك قراءة «اطره» وأصلها اضطره، وهو جائز عند بعض العلماء، إلا أن ابن جنى يعتبر هذا الإدغام لغة مرذولة وذلك لما فى الضاد من الاستطالة والانتشار، وهى عنده من الحروف التى يدغم فيها ما يجاورها، ولا تدغم هى فيها[3].

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٦.

(٢) الخصائص، ابن جنى، ٢/ ٢٣٠، وانظر: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٧.

(٣) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٧٠، الخصائص، ٢/٢٧٧، المحتسب، لابن جنى، ١/١٠٦، أصوات اللغة العربية، أ.د. هلال، ص٢٧٨.

وعلى هذا الوجه يكون التأثر رجعيا، لأن الصوت الأول تأثر بالصوت الثانى، وهو الطاء.

وإذا رأيت اشتقاق صيغة «افتعل» مما فاؤه دال أو ذال أو زاى صعب على اللسان النطق بها، وذلك للاختلاف الشديد بين هذه الأصوات وتاء الافتعال، فهذه الأصوات د - ذ - ز، أصوات مجهورة، والتاء مهموسة، كذلك الدال شديدة، والتاء شديدة أيضًا، ولكن هناك فرق بين شدة المجهور، وشدة المهموس، مما يجعل النطق بهما معا صعبا[1].

فإذا أردت صيغة «افتعل» من «دان - ذكر - زاد» ونحوها، قلت ادتان على زنة «افتعل»، واذتكر، ازتاد، فالتاء مهموسة لا تناسب الدال المجهورة قبلها فى «ادتان»، والذال والزاى مع جهرهما يمثلان أقصى مراحل الرخاوة، والتاء شديدة، فالبون بينهما كبير، قال سيبويه: «والدال، حرف مجهور، فلما صار ههنا لم يكن له سبيل إلا أن يفرد من التاء فيكون بعد الدال غير التاء لأنهم كرهوا إذهاب الجهر فقال: ادان»[2].

وقال سيبويه فى الذال: «تبدل الذال من التاء لأنها أشبه الحروف بها، لأنهما إذا كانتا فى حرف واحد لزم ألا يبينا، وليكون الإدغام فى حرف مثله فى الجهر، وذلك قولك مدكر، ولذلك قالوا هنا اذدكر،و قال فى الزاى: «الزاى تبدل لها مكان التاء دالا وذلك قولك فى (مزتان، مزدان)؛ لأنه ليس شيء أشبه بالزاى من موضعها من الدال، وهى مجهورة مثلها، لذلك قالوا: (ازدان)»[3].

فقد فعلوا ذلك للاقتصار فى الجهد العضلى، فحولوا التاء إلى صوت مناظر له وهو الدال، حتى تتحقق المماثلة والانسجام الصوتى، وهو تأثر تقدمى، بل إن

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٧.

(٢) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٦٧.

(٣) ينظر فى ذلك: الكتاب، سيبويه، ٤/٤٦٧، ٤٩٦، ٤٧٠، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٨، الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢٥٢.

العربية تلجأ إلى زيادة التماثل فى اذدكر، وازدان، فتبدل الدال التى حلت محل تاء الافتعال إلى صوت مجانس للصوت السابق عليها فيقولون اذكر، ازان، وهو أيضًا تأثر تقدمى.

وقد يحدث فى «اذكر» تأثر رجعى، وذلك بأن تقلب الذال الأولى فى «اذدكر» إلى دال لتماثلها فى الشدة، فيقولون فيها «ادكر» وهو تأثر رجعى، وعليها جاء قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ... ﴿٤٥﴾﴾ [يوسف]، وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾ [القمر]، على المماثلة الرجعية أو التأثر الرجعى.

المماثلة فى بناء «افتعل» من واوى الفاء أو يأتيها.

هذا البناء للعربية فيه مسلكان:

أحدهما: ألا يغير أحد الصوتين، تاء الافتعال والواو والياء قبلهما، بل يتركهما على حالهما، وهو لهجة الحجازيين الذين لا يعبأون بتلاعب الحركات، فيقولون فى «افتعل» من وسم، ووحد: اوتسم واوتحد، ومن يبس ويئس: ايتبس وايتأس، وهى كما قلنا لهجة الحجاز.

ثانيهما: قلب الواو أو الياء وإدغامها فى تاء الافتعال حتى لا تتأثر كل منهما بالحركة السابقة عليها، وهى لهجة التميميين، فيقولون فيما سبق، اتسم، اتحد، اتبس، واتأس، وعلى ذلك فالتأثر هنا رجعى لأن الصوت الأول تأثر بالصوت الثانى على لهجة بنى تميم، وهذا التقريب فيما سبق واجب - أى تقريب تاء الافتعال - وذلك لاتفاق الصوتين فى المخرج واختلافهما فى الصفة[1].

وقد يكون هذا التقريب جائز فيجرى عند بعض القبائل، وذلك إذا اجتمع فى الكلمة صوتان تباعدا مخرجا واختلفا فى بعض الصفات، سواء كانا متجاورين أو فصل بينهما فاصل.

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٨.

من ذلك تجاور الصاد الساكنة مع الدال فى قولك «يصدر - مصدر» ضارعوا به أشبه الحروف بالدال وهو الزاى؛ لأنها مجهورة غير مطبقة ولم يبدلوها زايا خالصة، كراهية الإجحاف بها للإطباق «فهؤلاء يشمون الصاد صوت الزاى»، وبعضهم يقلبها زايا خالصة، ويذهبون الإطباق فى الإدغام فيقول: يزدر - مزدر»(١). والتأثر على هذا رجعى لتأثر الأول بالثانى، فالصاد مهموسة، والدال مجهورة، والانسجام الصوتى يقتضى جعلهما معًا مجهورتين. وكذلك اجتماع السين مع الطاء أو القاف أو الغين - فى صراط، يساقون - أسبغ.

فأهل البادية يقلبون السين صادا لتتناسب مع الأصوات المستعلية حتى تقرب منها بالاستعلاء(٢).

وكما يكون التأثر بالمجاورة بين الأصوات الساكنة، يكون كذلك بين أصوات اللين، ومن أمثلة تأثر الكسرة بالضمة فى مثل «الحمدُ لُله» بضم الدال واللام، وقراءة «للملائكةُ أُسجدوا» بضم التاء.

وكذلك تأثر الضمة بالكسرة فى قراءة «الحمد لله» بكسرة الدال واللام، وقراءة «فلإمه الثلث» بكسرة همزة «إمه»، ومثل «اضرب الساقين إمك هابل»، بكسرة همزة وميم «إمك».

وتأثر الفتحة بالكسرة فى مثل «براءة من الله»، وهذه الموافقة بين الحركات ضرب من تجانس الصوت وانسجامه، ليؤدى إلى الإسراع والخفة، وهو منسوب لأهل البادية الذين يقتصدون فى الجهد العضلى ويعمدون إلى السهولة فى إخراج الأصوات(٣).

وضم اللام فى قراءة «الحمد لله» تأثر تقدمى، لأن الثانى تأثر بالأول، وقراءة «الحمد لله» بكسر الدال - تأثر رجعى لأن الأول تأثر بالثانى وكذلك فى

---

(١) الكتاب، سيبويه، ٤/ ٤٧٧، ٤٧٨.
(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٧٩.
(٣) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٠.

قراءة «للملائكة اسجدوا» تأثر رجعى لتأثر التاء بالضمة بعدها، وكسر همزة «الساقين إمك» لمناسبة الكسرة قبلها تأثر تقدمى، وقد يحدث التأثر بين صنفى الأصوات الساكنة واللينة.

فمن تأثر الصوت الساكن بصوت اللين، أن الضمة قبل الميم فى «تؤمن - دم» تجتذب التاء والدال من مقدم الفم إلى الوراء بقدر ما يسمح نطقهما، ويكون الناتج فى هذه الحالة تاء ودالا شفويتين طبقيتين.

فالساكن قد يتقدم أو يتأخر مخرجه تبعًا لنوع اللين المجاور له. ومن تأثر صوت اللين بالساكن، أن الكسرة وهى من أصوات اللين الأمامية تتجه فى مثل «طب نفسا» ناحية الخلف، والفتحة فى «صبر» مثلها، وذلك تحت تأثر الطاء والصاد[1].

ألوان التأثر:

عرفنا أن التأثر بالمجاورة يكون بين السواكن، كما يكون بين أصوات اللين، وكذلك يكون بينهما معا، أما السواكن، فيأتى التأثر فيها من عدة نواح، ويكون له عدة اتجاهات، وأهم هذه الاتجاهات، تتمثل فيما يلى:

١- تغيير المخرج فقط:

وذلك إذا تجاور صوتان متباعدان فى المخرج، فقد ينقل أحدهما إلى مخرج الآخر تحقيقا للسهولة والانسجام الصوتى. من ذلك: تجاور النون الساكنة مع الباء فى قوله تعالى: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ... (٣٣)﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ... (٤)﴾ [الروم]، فالنون من طرف اللسان مع اللثة العليا، والباء من الشفتين، وذلك يتطلب جهدًا كبيرا فى إخراج الأصوات لاختلاف المخرجين؛ لذلك تحول النون إلى صوت من مخرج الباء له صفة الغنة وهو الميم[2].

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٠ بتصرف.

(٢) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨١.

وتكثر عملية انتقال المخارج بين الأصوات اللسانية بعضها وبعض، أما الأصوات الشفوية والحلقية، فلا يكاد ينتقل صوت من أصواتها إلى مخرج صوت آخر فى منطقة أخرى.

٢- تغير الصفة:

وذلك إذا التقى صوتان متحدان فى المخرج ومختلفان فى الصفات، فإن الانسجام الصوتى يقتضى جعلهما معًا على صفة واحدة، كما إذا اختلفا فى الجهر والهمس، فالسهولة تقتضى جعلهما معا مهموسين أو مجهورين.

ويتمثل ذلك فى إبدال تاء الافتعال طاء أو دالا، ففى مثل «اصطبر» ابدلت التاء طاء لتتناسب مع الصاد فى استعلائها، وكذلك «ازدان» فالتاء مهموسة والزاى مجهورة، فاقتضى ذلك تحويل التاء إلى النظير المجهور لها، وهو الدال.

ومثلها قوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ... ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة] الدال مجهورة والتاء مهموسة، فأخذت الدال صفة التاء المهموسة بتحويلها إلى صورتها فى النطق، والمخرج فى ذلك كله واحد، وباق على أصله، لأن أصوات ط. د. ت مجموعة واحدة فى مكان واحد[1].

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا ... ﴿٤٢﴾﴾ [هود]، فالباء والميم من الشفتين، غير أن الهواء يتخذ طريقه خلال الفم مع الباء، وخلال الأنف مع الميم بما يظهر صفة الغنة، ومع الباء ينحبس الهواء انحباسا شديدا، ولذا توصف بالشدة، أما الميم فيتسرب جزء من الهواء معها بحيث لا يحدث حفيفًا، لذلك وصفت بالتوسط، فلما تجاورت أخذت الباء طريق الميم فتحولت إليها وأدغمت فيها.

٣- تغير المخرج والصفة معًا:

وذلك إذا تجاور صوتان متقاربان فى المخرج ومختلفان فى بعض الصفات، فإن الانسجام الصوتى يقتضى قلب أحدهما إلى صورة الآخر، فينتقل مخرجه إلى

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٢.

مخرج غيره وصاحبه، وتتغير معه صفاته ومن أجل هذا التغير يتماثل الصوتان فيدغمان، وذلك أدعى إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى[1].

ومن أمثلة ذلك قلب الدال المبدلة من تاء الافتعال ذالا أو زايا فى بعض الصور النطقية مثل:

اذتكر - على افتعل، تحول التاء إلى دال، لأنها تناسب الذال فى الجهر وتناسب التاء فى الشدة فيقال فيها اذدكر.

تم تحول الذال إلى دال فيقال فيها: ادكر، أو تحول الدال إلى ذال فيقال فيها: اذكر.

فنجد أن التاء أولا حولت إلى دال، ثم تحولت الذال إلى دال، ثم تحولت الدال إلى ذال، كما ترى.

ومثلها «ازتان» على افتعل، تحول التاء إلى دال لأنها مناسبة للتاء فى الشدة وللزاى فى الجهر، فيقال فيها «ازدان» ثم تحول الدال إلى زاى فيقال «إزان».

وكذلك قوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ... ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة]، فأصلها تثاقلتم، تجاورت التاء الشديدة مع التاء الرخوة وهما متقاربان فى المخرج، فالتاء من طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا، والثاء من طرفه مع أطراف الثنايا العليا، وتقليلا للجهد، حولت التاء إلى الثاء فتغير المخرج وتغيرت الصفة ثم أدغمتا[2].

٤- الإدغام:

الإدغام: معناه لغة: الإدخال، يقال: أدغمت اللجام فى فم الفرس: أدخلته فيه، وأدغمت الميت فى اللحد: إذا جعلته فيه.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص١٨٤، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٣.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٠٤.

واصطلاحًا: خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين. فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا، يرتفع اللسان عند النطق بهما ارتفاعة واحدة(1).

وعرفه ابن جنى بأنه تقريب صوت من صوت(2).

* ينقسم الإدغام إلى صغير وكبير، فالكبير: ما كان الحرف الأول فيه متحركًا سواء كانا مثلين أو متجانسين أو متقاربين، وسمى كبيرا، لكثرة وقوعه؛ لأن الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره فى إسكان المتحرك قبل إدغامه.

والصغير: هو ما كان الحرف الأول منه ساكنًا(3).

فالإدغام يجرى فى المثلين والمتقاربين والمتجانسين:

فالمثلان: هما الصوتان المتحدان فى المخرج والصفة، كالدالين والميمين.

والمتقاربان: هما الصوتان اللذان بينهما تقارب فى المخرج كاللام والراء، أو فى الصفة، كالسين والشين.

والمتجانسان: هما الصوتان المتحدان فى المخرج المختلفان فى الصفة كالدال والتاء(4).

والصوتان المثلان اللذان تحرك الأول منهما وسكن الثانى إدغامهما واجب، وليس له صلة بتأثر الأصوات بالمجاورة؛ لأن كلا منهما عين صاحبه مخرجًا وصفة.

أما لقاء المتقاربين والمتجانسين، فهو المجال الذى يظهر فيه هذا التأثر ومن ذلك فى المتجانسين، ادغام القاف فى الكاف فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم...﴿٢٠﴾﴾

---

(1) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٠٤، قال ابن الجزرى: هو النطق بحرفين حرفا كالثانى مشددا، ينظر النشر فى القراءات العشر، ١/ ٣٧٤.

(2) الخصائص، ابن جنى، ٢/ ٢٢٧.

(3) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٧٤، وانظر اتحاف البشر، ١/ ١٠٩.

(4) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٧٨.

[المرسلات]، والطاء فى الصاد، فى قولهم: ﴿اصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾ [القمر]، يقولون فيها (اصبر) على التأثر التقدمى، لتأثر الطاء بالصاد، وفيه تأثر آخر، حيث تأثرت التاء فى (افتعل) بالصاد، وهو تقدمى أيضًا، هذا إذا كان فى كلمة، ومنه فى كلمتين قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ ... ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران]، بإدغام التاء فى الطاء، على التأثر الرجعى أو المماثلة الرجعية، ومن ذلك إدغام الذال فى الظاء فى قوله تعالى: (إذ ظلمتم، بإدغام الذال فى الظاء) وهو من التأثر الرجعى، لتأثر الذال بالظاء، والسين فى الزاى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير]، بإبدال السين زايا وإدغامها فى الزاى، على المماثلة الرجعية، لتأثر السين بالزاى، فالسين مهموس، والزاى مجهور، وهما معا من حروف الصفير، ومن ذلك فى المتقاربين، إدغام النون فى الميم فى قولك «امحى» و«اماز» والأصل انمحى بزنة «افتعل» فأبدلت النون ميما وأدغمت فى الميم بعدها.

والتاء فى الثاء، فى قوله تعالى: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ أصلها (تثاقلتم) فأبدلت التاء ثاء وأدغمت فى الثاء، وجىء بهمزة الوصل للنطق بالساكن، ومن ذلك إدغام الدال فى الذال فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا ... ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف] والدال فى الزاى، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ... ﴿٥﴾﴾ [الملك][(١)].

قال ابن الجزرى: «فإن كانا غير مثلين قلب - الأول - كالثانى وأسكن ثم أدغم، وارتفع اللسان عنهما دفعة واحدة من غير فصل بحركة، ولا وقف على الأول ولا روم، وليس بإدخال حرف فى حرف كما ذهب إليه بعضهم»[(٢)].

وللإدغام حالتان:

أحدهما: يفنى فيها أحد الصوتين فى الآخر كالأمثلة التى ذكرناها، فقد تحول أحد الصوتين إلى صاحبه وفنى فيه، وهو الإدغام الكامل.

---

(١) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٦.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٧٩، اتحاف فضلاء البشر، ١/ ١١٣.

ثانيهما: لا يتم فيه فناء أحد الصوتين فى الآخر، بل تبقى بعض آثار الصوت الفانى، كبقاء غنة النون بعد إدغامها فى الواو أو الياء، وذلك إذا تجاورتا وسبقت النون ساكنة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١١)﴾ [الرعد]، وقوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ... (١٧)﴾ [الكهف]، ويسمى ذلك إدغامًا ناقصًا[١].

المخالفة:

حين تكون الأصوات متجانسة أو متقاربة، فإن هناك دواع تؤدى إلى المماثلة حتى يكون الحرفان حرفًا واحدًا، وتتحقق السهولة فى النطق بتقريب الصوت من الصوت.

كذلك فى المخالفة يتم تحويل أحد المتماثلين إلى صوت آخر منعًا للثقل وتحقيقا للانسجام.

ولا تعارض بين المماثلة والمخالفة، فكل منهما يهدف إلى الخفة والسهولة فى النطق والاقتصاد فى الجهد العضلى.

فإذا لم يدغم المثلان يثقلان عند النطق، لأن الرجوع من أحدهما بعد الانتقال عنه إلى الثانى يسبب صعوبة فى النطق وذلك كما فى «أملل» بزنة «أفعل» لذلك أبدلت اللام الثانية ألفا فيقال «أملى» وكذلك إذا كثرت المتماثلات كما فى «تظنن»، فالنطق بثلاث نونات ثقيل على اللسان، لذلك أبدلت إحداهما ألف فقيل «تظنى» ولا إنكار للتخفيف بإبدال أحد المتماثلين ياء[٢].

وبذلك يظهر أن عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التى لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية[٣].

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ١/٢٢٩، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٦، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١١٩، ١٢٠.

(٢) الخصائص، ٢/٣٣٢، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٨٨.

(٣) الصوت اللغوى، أحمد مختار، ص٢٢٠.

وقد ذكر د. أنيس أن البحوث التى قام بها علماء الأصوات قد دلت على أن ظاهرة المخالفة قد شاعت فى كثير من اللغات السامية[1].

ثم يقول: إن هذه الظاهرة ليست إلا تطوراً تاريخيًا فى الأصوات، وإن علماء العربية لم يفطنوا إليها. ومع ما ذكر من أن علماء العربية لم يفطنوا إليها، ساق أمثلة من كتاب سيبويه، فى باب «ما شذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف».

وأقول لقد فطن لذلك علماء العربية، كما فطنوا إلى ظاهرة الإدغام، ثم جاء المحدثون فأطلقوا عليها المماثلة، وسموا ما شذ عن هذا الباب بالمخالفة، فالمسألة اصطلاح وتسمية فقط.

ثم يقول د. أنيس، وهذا التطور هو إحدى نتائج السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين، والتى تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى[2].

وقد جمع د. أنيس أمثلة ساعدته على أن يقول: إن الأصل فى هذه الأمثلة هو التضعيف، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المتماثلين بالياء أو الواو لخفتهما، ومن أمثلة ذلك:

١- الطح: البسط - طحا: كسعى: بسط.

وهذا المثال ليس فيه ميل إلى السهولة كما ظن سيادته، فالمثال المضعف مادة، والآخر مادة أخرى.

قال صاحب اللسان فى المضعف: طحه يطحه طحا: إذا بسطه.

الطح: البسط، وأن تضع عقبك على شىء ثم تسحجه.

---

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢١٠.

(٢) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢١١.

وقال فى طحا: طحاه طحوا وطحيا: بسطه، قال الأزهرى وفيه لغتان: طحا يطحو، وطحا يطحى، وفى التنزيل العزيز: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾ [الشمس] قال الفراء.

طحاها، ودحاها واحد، قال شمر: معناه ومن دحاها، فأبدل الطاء من الدال، قال ودحاها: وسعها[1].

ففرق بين مادة المضعف، ودلالته، وفرق بين الناقص ودلالته، بل إن الألف لم تبدل من الحاء، فى «طح»، ولو كان الأمر كذلك لنص عليه العلماء، بل هم نصوا على أن الإبدال الذى وقع، إنما وقع فى فاء الكلمة، وهى الطاء، التى حلت محل الدال. وقال ابن فارس فى «طح».. إنه قريب من الذى قبله، يريد أنه ليس بشىء، وقال فى «طحو»: إنه يدل على البسط والمد، ثم ذكر أن «الطحو كالدحو»[2]، ومعلوم أن تركيب المادة فى «طح» غيره فى «طحو».

والمثال الثانى الذى ذكره:

الجب: القطع، والجوب: القطع، على طريقته فى أن الواو بدل من الباء.

وبنظرة فى معاجمنا اللغوية نجد أن:

كلامه صحيح فى دلالة المضعف على القطع.

أما مادة «جوب» فدلالتها مختلفة، فإذا كانت «جب» تدل على القطع، فإن جوب تدل أيضًا على القطع، لكنه مختلف، قال صاحب اللسان: جاب الشىء جوبًا واجتابه: خرقه، وكل مجوف قطعت وسطه فقد جبته.

والمجاوبة والتجاوب: التحاور.

وتجاوب القوم: جاوب بعضهم بعضًا.

---

(١) لسان العرب، ط ح ح، ط ح و.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ط ح ح، ط ح و.

فالدلالة مختلفة، ومعروف أن اختلاف الدلالة إنما هو نتيجة لاختلاف الأصوات.

وجاء على مادة «جوب» قوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]. قال القراء: جابوا: خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتًا[1].

فالمضعف يدل على استئصال الشىء، أى القطع باستئصال، والمثال: يدل على خرق الشىء أو على قطع الشىء المجوف. وإذا تتبعنا أمثلته لوجدناه على مثل هذه الطريقة، فقد ذكر: زحه: نحاه عن موضعه، زاح: بعد وذهب[2].

ومعروف أن التنحية إنما تكون بفعل فاعل، أما «زاح» فإنما تكون من فعل الإنسان ذاته.

فإذا قلنا إن العربية تلجأ إلى السهولة، فليس معنى ذلك أن إبدال الأصوات للسهولة إنما هو تطور تاريخى للفظ أو للصوت، بل هناك ألفاظ حدث فيها تطور فى الأصوات وفى الألفاظ، وهناك ألفاظ وضعت أصواتها للدالة على أحداثها، بدليل أن لكل مادة معنى يختلف عن الآخر.

وقد أشار إلى ذلك د. عبد الغفار هلال حين قال:

والمضعف: قمط، ومقابله «قرمط» متقاربان فى المعانى وليسا متفقين على سبيل الحقيقة[3].

يقال: قمطه يقمطه قمطًا، بفتح الميم فى الماضى وضمها فى المضارع، شد يديه ورجليه، والحبل الذى يشد به: القماط[4].

---

(١) ينظر لسان العرب، ج ب ب، ج و ب.

(٢) لسان العرب، ز ح ح، ز ى ح.

(٣) أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٩٢.

(٤) لسان العرب، ق م ط.

وقرمط في خطوه: إذا قارب ما بين قدميه، وهي من آثار الكبر، والقرمطة في الخط: دقة الكتابة وتداني الحروف[1].

فـفرق بين «قـمّط» بتشـديد الميم، وبين «قـرمط» فالأول تدل على شـد يد الرجل ورجله، بحبل، والثانية تدل علـى هذا الفعل، لكن من أثر الكبر، وكذلك دقة الكتابة وتقارب الحروف.

لكن المخالفـة أكثر مـا تظهر، في قـولهم: تظنيت، وتسريت، وتقـصيت، وأمليت:

فالأولى: أصلها تظننت، ثم أبدلت النون ياء فقالوا: تظنيت بتحويل إحدى النونين ياء.

وفيه تخفيف آخر بالحذف، حكى اللحياني عن بني سليم: لقد ظنت ذلك: أي ظننت، فحذفوا كما حذفوا في «مست وأحست ذاك»، وقال أبو عبيدة: تظنيت من ظننت، وأصله تظننت، فكثرت النونات فقلبت إحداهما ياء.

والثانيـة: قال الليث، ومن قـال: تسريت، فإنه غـلط، قال الأزهري: هو الصواب، والأصل تسررت، لكن لما توالت ثلاث راءات أبدلوا إحـداهن ياء، كما قالوا تظننت من الظن وقصيت من قصصت[2].

والثالثة: ذكرها أبو عـبيدة أيضًا، فقال: قـالوا: قصيت أظفاري، والأصل: قصصت، فأبدل إحدى الصادين ياء[3].

الرابعة: أمليت، قـال الفراء: أمللت لغة أهل الحجـاز وبني أسد، وأمليت لغة بني تميم وقيس[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ق ر م ط.

(٢) لسان العرب، س ر ر.

(٣) ينظر لسان العرب، ظ ن ن.

(٤) لسان العرب، م ل ل.

أبدلوا اليــاء من اللام، لأنهم يميلون إلى التخـفيف، وعلى ذلك فـهناك من يقول من العرب «أمللت»، ومنهم من يقـول أمليت، وهذه المواد جاءت فى القرآن الكريم، فـجـاءت «ظن» فى قولـه تعـــالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة].

وجاءت «سرر» فى قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر].

أما قصــص، فقد وردت فى القرآن الكريم بإدغـام المثلين، وجاءت بالفك، وذلك فى قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ... ﴿١١٨﴾﴾ [النحل]، وجاءت بالإدغام فى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ... ﴿١٣﴾﴾ [الكهف].

أما «ملل» فقد وردت فى القرآن الكريم باللغتين.

فجـاءت فى قوله تعـالى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ...﴿٢٨٢﴾﴾ [البقـرة]، على لغة الحجاز.

وجاءت على لغـة تميم وقيس، فى قـوله تعالى: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴿٣٢﴾﴾ [الرعد].

وقد أشار إلى ذلك ابن جنى فقال: «ومن ذلك استـثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهمـا فى نحو «أمليت» وأصلهـا أمللت، وفيـما حكاه أحمـد بن يحـــيى من قولهم «لا وربيك لا أفعل» يريدون «لا وربك»[1]، وقد علق ابن جنى على ذلك فقال:

«أما (أمليت) فـلا إنكار لتخفـيفه بإبدالـه، وأما (تعللت) ونحو ذلك فـما اجتـمعت فيه ثلاثـة أمثال، وتخارج على أصلـه، والذى فعلوه فى (أمليت، ولا وربيك) لم يكن واجبا، وإنما غير استحسانًا فساغ ذلك فيه»[2].

---

(١) الخصائص، ٢/ ٢٣٢.

(٢) السابق، ٢/ ٢٣٣.

والمخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة، وقد تكون بين الأصوات الشديدة مثل: «إجّار» التى قالوا فيها «انجار» وإجّاص التى قالوا فيها «انجاص»[1].

ومن قال بأنها تطور صوتى، لم يبين لنا هل تطورت الياء عن الحرف المضعف، أم أن الأصل كان التضعيف ثم تطور إلى إبدال الياء من هذا الحرف.

وما نقرأ ونسمع من ثبات المضعف ووجوده فى القراءات القرآنية يدل على أن المادة مستعملة بتضعيفها، وفيما ذكرناه من شواهد كافٍ.

(١) الأصوات اللغوية، أ.د. أنيس، ص٢١٤، أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. هلال، ص١٩٨.

الجزء الثاني

التجـــويد

التجويد معناه لغة واصطلاحا:

اعلم أن التجويد لا خلاف فى أنه فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة من المكلفين، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، قال البيضاوى: أى جوده تجويدا، وقال غيره، أى ائت به على تؤدة وطمأنينة وتأمل.

وأما السنة: فمنها قوله ﷺ: «رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه» أى إذا أخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه.

وأما إجماع الأمة: فقد اجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على وجوب التجويد فى زمن النبى ﷺ إلى زماننا، ولم يختلف فيه أحد منهم، وهذا من أقوى الحجج.

والتجويد: معناه لغة: التحسين، يقولون: جودت الشيء: أى حسنته وحققته، وفى الاصطلاح: إعطاء كل حرف حقه ومستحقه، والمراد بحق الحرف أى من كل صفة ثابتة له من الصفات.

والمراد «بمستحقه» ما ينشأ عن تلك الصفات، كترقيق المستفل، وتفخيم المستعل، وكل ذلك مع بلوغ الغاية والنهاية فى إتقان الحروف وتحسينها(١).

موضوعه: القرآن الكريم، وقد أضاف إليه بعضهم الحديث.

فائدته: السعادة فى الدارين، وهو الجزاء الأوفى فى دار السلام، المترتب على قراءة القرآن العظيم من دخول الجنة وعلو المنزلة والنظر إلى وجه الله الكريم.

غايته: صون اللسان عن الخطأ فى كتاب الله تعالى، وزاد بعضهم، كلام رسول الله ﷺ.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص٧.

وغـاية أخرى، وهى بلوغ النهـاية فى إتقـان لفظ القرآن على مـا تلقى من الحضرة النبوية الأفصحية[1].

هذه تقدمـة قدمتها لـيكون القارئ على علم بها، قبل أن أتناول مـا عزمت عليه من أبواب التجويد.

وقد اخـترت - بعـون الله ومشيـئتـه وحوله وقوته - أن أكـتب فى الوقف والابتداء؛ لأن أساتذتنا كتبوا كثيراً فى المد وفى القصر، وفى غيره من الأبواب.

وقد رأيت أن هذا الباب لا يقل أهمـية عن الأبواب الأخرى، إن لم يكن له الأهمية الأولى، فعليه تتوقف المعانى، وتتداخل، وربما يقف القارئ فيخالف بوقفه معنى مرادا، وربما يصل فى مـوضع يتطلب الوقف؛ لذلك رأيت أن أكتب فى هذا الكتاب هذا المبحث، داعيًا المولى تعالى أن يوفقنى للصواب والسداد والرشاد.

---

(١) ينظر فى ذلك: نهاية القول المفيد، ص٧-١٣.

الوقف والابتداء:

الوقف معناه لغة: الحبس، يقال: وقفت الدابة وأوقفتها: إذا حبستها عن الشيء.

وفي الاصطلاح: عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنا يتنفس فيه عادة بنيّة استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بنيّة الإعراض.

مواضعه: يأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولابد من التنفس معه.

موانعه: لا يأتي الوقف في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسما، وإن لم يكن وسط الكلمة، فلا يوقف على «أين» من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ... (٧٨)﴾ [النساء] لاتصاله رسما.

حكمه: أدى الأمر إلى إتقانه ومعرفته أن بلغ درجة الواجب، وذلك بما ورد عن الإمام علي رضي الله عنه عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤)﴾ [المزمل]، فقال: الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

فائدته: يظهر الوقف مذهب أهل السنة من مذهب المعتزلة، كما لو وقف على قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ... (٦٨)﴾ [القصص]، فالوقف على «يختار» هو مذهب أهل السنة، لأنهم ينفون اختيار الخلق، ويثبتون اختيار الحق، فليس لأحد أن يختار، بل الخيرة لله تعالى: وقال الهذلي في كامله: الوقف حلية التلاوة وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم المستمع، وفخر العالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والنقيضين المتناقضين والحكمين المتغايرين(١).

وما دمنا ذكرنا الوقف، فلا بد من التفرقة بينه وبين القطع والسكت، **فالسكت معناه في اللغة:** المنع، يقال: سكت الرجل عن الكلام أي امتنع.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكي، ص١٥١.

واصطلاحا: قطع الكلمة من غير تنفس بنية القراءة، وهو مقيد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به بمعنى مقصود بذاته، وقيل فى رؤوس الآى مطلقًا.

أما القطع، فهو فى اللغة: الإبانة والإزالة، تقول: قطعت الشجرة إذا أبنتها وأزلتها.

وفى الاصطلاح: عبارة عن قطع القراءة رأسا، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعرض عن القراءة، والمتنقل منها إلى حالة أخرى سوى القراءة، ولا بد أن يستعيذ القارئ إذا استأنف القراءة، ولا يكون إلا على رأس آية، لأن رؤوس الآى فى نفسها مقاطع.

وبذلك نعلم أن الوقف يفارق القطع فيما يأتى:

أن قطع الصوت، إنما يكون على الكلمة زمنا يتنفس فيه فى الوقف.

والقطع فى القطع: قطع القراءة رأسا.

أن الوقف على الكلمة بنية استئناف القراءة.

وفى القطع بنية الإعراض والانتقال.

أن الابتداء فى الوقف لا يتطلب الاستعاذة، بل البسملة فى فواتح السور وفى القطع يتطلب الاستعاذة.

أن الوقف يأتى فى رؤوس الآى وأوساطها، ولا يتأتى وسط الكلمة، أما القطع فلا يكون إلا على رأس الآية؛ لأن رأس الآية مقطع، بين الوقف وبين السكت.

أنهما يتفقان فى قطع الكلمة، ولكنهما يختلفان من حيث التنفس.

فالقطع مع الوقف إنما يكون للتنفس، أما السكت، فالقطع فيه من غير تنفس، وهما معا بنية استئناف القراءة[1].

(١) النشر فى القراءات العشر، ١/٢٣٩، ٢٤٠.

أقسام الوقف:

ينقسم الوقف إلى أربعة أقسام:

١- **اختيارى**: بالياء التحتية، وهو أن يقصد لذاته من غير عروض سبب من الأسباب.

٢- **اضطرارى**: وهو ما يعرض بسبب ضيق التنفس، كعجز ونسيان ويجوز الوقف على أى كلمة كانت وإن لم يتم المعنى، كأن وقف على شرط دون جوابه، أو على موصول دون صلته، لكن يجب فى هذه الحالة الابتداء من الكلمة التى وقف عليها إن صلح الابتداء بها.

٣- **انتظارى**: وهو أن يقف على كلمة ليعطف عليها غيرها، وذلك حين جمعه لاختلاف الروايات.

٤- **اختبارى**: بالباء، ويتعلق بالرسم، لبيان المقطوع والموصول والثابت من المحذوف، ولا يوقف عليه إلا لعذر، كانقطاع نفس أو سؤال ممتحن أو تعليم قارئ.

والخلاف بين علماء القراءات إنما وقع فى الوقف الاختيارى. والمعتمد والأشهر من هذه الآراء ما ذكره ابن الجزرى فقال:

ينقسم الوقف إلى اختيارى، واضطرارى؛ لأن الكلام إما أن يتم أولا، فإن تم، كان الوقف اختياريا.

وكونه تماما: لا يخلو إما أن لا يكون له تعلق بما بعده ألبتة - لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى، فهو الذى اصطلح عليه الأئمة بالتام، لتمامه المطلق.

وإن كان له تعلق، فلا يخلو هذا التعلق، إما أن يكون من جهة المعنى فقط، وهو الوقف المصطلح عليه - بالكافى - للاكتفاء به عما بعده، واستغناء ما بعده عنه.

وهو كالتمام فى جواز الوقف عليه والابتداء بما بعده.

وإن كان التعلق من جهة اللفظ، فهو الوقف المصطلح عليه - بالحسن - لأنه فى نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظى، إلا أن يكون رأس آية، فإنه يجوز فى اختيار أكثر أهل الآراء.

وإن لم يتم الكلام: كان الوقف عليه اضطراريا، وهو المصطلح عليه - بالقبيح - ولا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطاع نفس ونحوه، لعدم الفائدة ولفساد المعنى(١).

وإليك بيان ما يتعلق بكل منها وأحكامه.

الوقف التام:

الوقف التام: هو الذى يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، وأكثر ما يوجد فى رؤوس الآى، وعند انقضاء القصص، وذلك الوقف على ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①﴾ والابتداء بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②﴾ [الفاتحة].

وكذا الوقف على قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤﴾ والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ⑥﴾ [البقرة](٢).

وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة، وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ... ㉞﴾ [النمل]، هذا انقضاء كلام بلقيس، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ㉞﴾ [النمل].

وقد يكون وسط الآية، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ... ㉙﴾ [الفرقان]، وهو تمام حكاية قول الظالم، وهو أُبىّ بن

---

(١) ينظر فى ذلك: النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، ١/ ٢٢٥، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٥٤.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٢٦.

خلف، ثم قال تعالى: ﴿... وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)﴾ [الفرقان] وهو رأس الآية[1].

وقد يكون بعد انقضاء الفاصلة بكلمة، نحو قوله تعالى: ﴿... لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠)﴾ [الكهف]، وهو آخر الآية، وتمام الكلام: ﴿كَذَٰلِكَ ... (٩١)﴾ [الكهف]: أى أمر ذى القرنين كذلك تعظيما لأمره، أو كذلك كان خبرهم.

ومن ذلك: الوقف على قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ ... (١٣٨)﴾ [الصافات]، لأنه معطوف على المعنى، أى بالصبح وبالليل.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا ... (٣٥)﴾ [الزخرف]، وآخر الآية ﴿يَتَّكِئُونَ﴾ والتمام ﴿وَزُخْرُفًا﴾، لأنه معطوف على ما قبله من قوله ﴿سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ... (٣٣)﴾ [الزخرف].

وقد يكون الوقف تاما على تفسير وإعراب، وقد يكون غير تام على آخر، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ ... (٧)﴾ [آل عمران]، وقف تام، على أن ما بعده مستأنف، وهو قول ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم، ومذهب أبى حنيفة وأكثر أهل الحديث، وبه قال نافع والكسائى ويعقوب والفراء والأخفش وأبو حاتم، وسواهم من أئمة العربية، قال عروة: الراسخون فى العلم لا يعلمون التأويل، لكن بقولهم آمنا به كل من عند ربنا.

وهذا الرأى هو الصواب والأقوى، لأن علم التأويل مقصور على الله تعالى، لذلك جاءت الآية بأسلوب القصر - ما وإلا - لقصر علم التأويل عليه تعالى.

وهو غير تام عند آخرين، والتمام عندهم على «الراسخون فى العلم» فهو عندهم معطوف على ما قبله، وهو اختيار ابن الحاجب، وغيره، فإن جعلت «الواو» للاستئناف - وهو الذى عليه المعول، وفيه الصواب - كانت جملة «والراسخون فى العلم» مستأنفة، ولزم من ذلك قصر علم التأويل على الله.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٥٥.

وإن جعلتها - أى الواو - عـاطفة، أشركت الراسخين فى العلم مع الله فى علم التأويل، وهذا لا يتأتى.

وقد يكون الوقف تاما على قراءة، وغـير تام على أخرى، نحو ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ... (١٢٥)﴾ [البقرة]، فهو تام على قراءة من كسر الخاء من ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ وكاف على قراءة منْ فتح الخاء.

وقد يتفـاضل التام فى التمام، وذلك كالوقـف على قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ [الفاتحة]، كـلاهما وقف تام، إلا أن الأول ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، أتم من الثانى، لاشتراك الثانى وما بعده فى الخطاب.

وقد يتأكد الوقف التام لبيان مـعنى مقصود، وهو ما لو وصل طرفاه لأوهم معنى غير المعنى المراد،و هو الذى عبر عنه «السجاوندى» باللازم وعبر عنه بعضهم بالواجب.

من ذلك الوقف على قـوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾ [البقرة]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ... (١٤٦)﴾ [البـقـرة]، لكى لا يـوهـم أن «الذين آتيناهم» صـفـة لـلظالمين، وهو مستأنف مدح فى عبد الله بن سلام وأصحابه.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ... (١٨١)﴾ [آل عمران]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ... (١٨١)﴾ [آل عمـران]، إذ لو وصل القارئ ولـم يقف على «أغنياء» لأوهم أن قـوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ من قولهم، بينما هو إخبار من الله عن الكفار.

ومنه قـوله تعـالى: ﴿أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ... (١٧١)﴾ [النسـاء]، فـلابد أن يقف القارئ على «ولد»، ويـبتدئ بقـوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... (١٧١)﴾ [النساء]، ولو وصل القارئ، لأوهم أن قوله تعالى: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ صفـة لما قبله، فيكون المنفى ولدا مـوصوفا بملك السـموات والأرض، والمراد من الآية، نفى الولد مطلقًا.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ... ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، لأن وصل القارئ يوهم أن الجملة بعده صفة لأولياء، فيكون النهى عن اتخاذهم أولياء صفتهم أن بعضهم أولياء بعض، فإذا انتفى هذا الوصف، جاز اتخاذهم أولياء، وهو محال، إنما النهى عن اتخاذهم أولياء مطلقا(١).

أما الوقف عند تمام القصص وانقضائها، فهذا يدل على أن جمل القصة الواحدة متعلق بعضها ببعض معنى، فيلزم ألا يكون فى أثناء قصة يوسف عليه السلام وشبهها وقف تام.

وقد نص بعضهم على أن الوقف فى سورة يوسف على «حكيم» تام، وكان الوقف على «الخاسرون» وعلى «لا يشعرون»، مع أن هذه الوقوف فى قصة واحدة، هى قصة يوسف عليه السلام.

قيل: فى سورة يوسف قصص متعددة، فقصة الرؤيا تتم عند قوله: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾، وقصته تدبير إخوته تتم عند قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾، وما فعلوه به تتم عند قوله تعالى: ﴿لا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ والقصة فى يوسف ووحدتها اعتبارية لا حقيقية، ولا يفهم ذلك إلا من أوتى حظا من العلم(٢).

الوقف الكافى:

الوقف الكافى: هو الذى يحسن الوقف عليه أيضًا والابتداء بما بعده، غير أن الذى بعده له تعلق بما قبله من جهة المعنى، دون تعلق شىء من جهة الإعراب، بمعنى أن يكون ما بعده مستغن عما قبله لفظا وإن اتصل فى المعنى، من ذلك الوقف على قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة]، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... ﴿٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٣٢، نهاية القول المفيد، ص١٥٦.

(٢) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٥٧.

والوقف على ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾، وهو آخر الآية تام، لأنه ليس له تعلق بما بعده من جهة الإعراب، لكن تعلقه من جهة المعنى، لأن قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ... ⑦﴾ [البقرة]، إخبار عن حال الكفرة، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ⑥﴾ [البقرة] إخبار عن حالهم أيضًا.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ... ⑤﴾ [المائدة]، والابتداء بما بعد ذلك من قوله: ﴿وَطَعَامُ﴾ لأنه كله معطوف.

ومنه الوقف على فواصل سورة «الجن، والمدثر، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والشمس وضحاها»، والابتداء بما بعدهن، لأن ذلك كله معطوف بعضه على بعض، فما بعده كلام مستغن عما قبله لفظًا وإن اتصل معنى، لكن لا يوقف على الفاصلة التى قبل الجواب لاتصالها به، وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ⑧ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨﴾ [المدثر]، لأنه إذا وقف على الناقور فقد فصل بين إذا وجوابها[1].

وقد يتفاضل الوقف فى الكفاية كتفاضل التام، بمعنى أن يكون الوقف على الأول كاف، لكن الوقف على الثانى أقوى من الوقف على الأول، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ... ⑩﴾ [البقرة]، وقفًا كافيًا، لكن الأكفأ منه والأبين فى الوقف، أن يكون على ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ... ⑩﴾ [البقرة].

وأكثر ما يكون التفاضل فى رؤوس الآى - أى نهاية الآية - وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ ... ⑬﴾ [البقرة] وقفًا كافيًا، ولكن الأكفأ منه أن يقف على قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ⑬﴾[2].

وقد يكون الوقف كافيا على تفسير وإعراب، ويكون غير كاف على آخر، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④﴾ [البقرة] وقف كاف، على أن يكون ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، خبره ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... ⑤﴾.

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ١/٢٣٦.

(٢) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٥٦.

وحسن ذلك، على أن يكون ما بعده، وهو قوله تعالى: ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾ [البقرة]، خبر عن ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... (٣)﴾ [البقرة]، أو على أنه خبر عن ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ... (٤)﴾ [البقرة].

وقد يكون الوقف كافيا على قراءة وغير كاف على أخرى، وذلك نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)﴾ [البقرة]، وقف كاف على قراءة من قرأ «أم تقولون» بتاء الخطاب، أما من قرأ بياء الغيبة «أم يقولون» فالوقف تام.

فالتحول من قراءة الخطاب إلى قراءة الغيبة، يحول الوقف من كاف إلى تام.

وقد يتأكد الوقف الكافى لبيان المعنى المقصود، مثله فى ذلك مثل التام، من ذلك الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ (٨)﴾ [البقرة]، والابتداء بقوله: ﴿يُخَادِعُونَ ... (٩)﴾، لأن قوله: ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾ منكر، والجملة بعد النكرة تتعلق به، ولو وصل صار التقدير، وما هم بمؤمنين مخادعين، فينتفى الوصف عن الموصوف فينتقض المعنى، لأن المراد نفى الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ ... (٧٣)﴾ [المائدة] والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... (٧٣)﴾ [المائدة]، لأن القارئ لو وصل، صار ذلك من مقول الكافرين من ناحية، ومن ناحية أخرى يلزم كفر من يؤمن بعقيدة التوحيد، وهو محال[1].

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ... (٢٤)﴾ [يوسف]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ وبهذا يتخلص القارئ من شىء لا يليق بنبى معصوم أن يهم بامرأة، وينفصل عن حكم القسم قبله من قوله: ﴿وَلَقَدْ﴾ ويصير ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ كلاما مستأنفا، إذ الهم من يوسف منفى، والهم الثانى غير الهم الأول.

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٥٩.

الوقف الحسن:

الوقف الحسن: هو الذى يحسن الوقف عليه، وفى الابتداء بما بعده خلاف، هذا الخلاف نتج عن تعلقه به من جهة اللفظ، إذ كثيرًا ما تكون آية تامة، وهى متعلقة بما بعدها، ككونها مستثنى والأخرى مستثنى منها؛ لأن ما بعده مع ما قبله كلام واحد من جهة المعنى، وسمى حسنًا: لأنه يفهم معنى يحسن السكوت عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده.

ويستحب لمن وقف عليه أن يبتدئ من الكلمة الموقوف عليها، فإن لم يفعل فلا إثم عليه.

وقال الشيخ خالد فى شرحه على الجزرية: «والمختار أن الوقف على التام والكافى والحسن جائز، وكذا حكم الابتداء، وكذلك إن كان الوقف على رأس آية نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)﴾ [الفاتحة] فوقفه حسن أيضًا».

قال الملا على: «اعلم أن الوقف على رؤوس الآى سنة، لما ذكره الإمام ابن الجزرى بروايته بسنده المتصل إلى أم سلمة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ، قطع آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، ثم قال: وهذا الحديث أصل هذا الباب»[(١)].

وقال السيوطى: يحسن الابتداء بما بعد الموقوف عليه فى الوقف التام والكافى ولا يحسن فى الوقف الحسن، إلا أن يكون رأس آية، فإنه يحسن الابتداء حينئذ بما بعد الوقوف عليه من اختبار أهل الأداء، هذا إذا كان ما بعده مفيدا لمعنى، وإلا فلا يحسن الابتداء به.

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ١/٢٩٨.

كقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ... (٢٢٠)﴾ [البقرة]، فإن تتفكرون رأس آية، ولكن لا يفيد ما بعده معنى، فلا يحسن الابتداء به، ويستحب العود إلى ما قبله[1].

ولا يصح الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالْفَتْحُ (١)﴾ [النصر] وإن كان رأس آية لأن رؤوس الآى إنما يباح الوقف عليها إن تم الكلام، بأن أخذ المبتدأ خبره، والفاعل فاعله، والشرط جوابه.

وكذا القسم، فلا يوقف على نحو: ﴿وَالْعَصْرِ (١)﴾ [العصر]، وكذا ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١)﴾ [النجم].

وكذا لا يوقف على رؤوس الآى ولا على غيرها وإن تم الكلام مع احتياجه إلى الإتيان بالصلة أو الحال، وذلك كما فى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤)﴾ [الماعون] وكما فى نحو ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... (٢٧)﴾ [ص] فلا يوقف على قوله «للمصلين»، ولا على «وما بينهما».

وقد يكون الوقف حسنا على تقدير وكافيا على تقدير آخر، وتاما على غيرها وذلك نحو قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة].

يجوز أن يكون حسنا، إذا جعلت ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... (٣)﴾ [البقرة] نعتا للمتقين، ويجوز أن يكون كافيا، إذا جعلت ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ رفعا بمعنى: هم الذين، أو نصبا على تقدير «أعنى الذين».

ويجوز أن يكون تاما: وذلك إذا جعلت ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ... (٣)﴾ [البقرة] مبتدأ، خبره ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ... (٥)﴾ [البقرة][2].

---

(١) ينظر: الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى، ١/١١٢، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦١.

(٢) ينظر: النشر فى القراءات العشر، ١/٢٩٩.

وقد يكون الوقف حسنا، والابتداء - بعد الوقف - قبيحا، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ ... ①﴾ [الممتحنة]، فالوقف حسن، لكن الابتداء بـ ﴿إِيَّاكُمْ﴾ قبيح لفساد المعنى، إذ يعتبر تحذيرا عن الإيمان بالله تعالى.

وقد يتأكد الوقف الحسن لبيان المعنى المقصود، كالوقف على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ... ٢٤٦﴾ [البقرة] والابتداء بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ... ٢٤٦﴾ [البقرة]، لئلا يوهم أن العامل فى «إذ» الفعل المتقدم ومثله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... ٢٥٨﴾ [البقرة]، ومثله ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ... ٢٧﴾ [المائدة][1].

كل ذلك وما أشبهه يتأكد الوقف عليه، حتى لا يوهم أن العامل فى «إذ» الفعل السابق، ويتأكد الوقف الحسن كذلك فى مواضع أخرى يوهم الوصل فيها معنى غير مقصود، وذلك كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ... ٩﴾ [الفتح] والابتداء بقوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ ... ٩﴾ [الفتح] لئلا يوهم اشتراك عود الضمائر على شىء واحد، فإن الضميرين الأولين عائدان على الرسول ﷺ، وفى الثانى عائد على الله تعالى، ومثله الوقف على قوله تعالى: ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ... ٢﴾ [المائدة] والابتداء بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ لأن الوصل يوهم العطف، وإنما «التعاون» أمر مستأنف.

ومما يتأكد فيه الوقف الحسن، قوله تعالى: ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ... ٦٤﴾ [المائدة]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، لأن الوصل يوهم أن قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ من قولهم، أى: مفعول قالوا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ... ٦٤﴾ [العنكبوت]، الوقف هاهنا والابتداء بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، لأن التقدير لو علموا حقيقة الدارين لما اختاروا اللهو الفانى على الحياة الباقية، ولو وصل لصار وصف الحيوان معلقا بشرط علمهم، وهو محال.

(١) ينظر: نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٤.

ويتأكد الوقف الحسن كذلك فى قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴿٢٤﴾﴾، والابتداء بقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء][1]، لأن ربوبيته لا تتعلق بكونهم موقنين، بل هو رب السموات والأرض، أيقنوا بذلك أم لا.

الوقف القبيح:

هو الوقف على لفظ غير مفيد، لعدم تمام الكلام، وقد تعلق ما بعده بما قبله لفظًا ومعنى: وهو نوعان:

النوع الأول: الوقف على كلام لا يفهم منه معنى، وذلك لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنى، كالوقف على «بسم» من «بسم الله»، وكالوقف على «الحمد» من قوله «الحمد لله»، وكالوقف على «رب» من قوله «رب العالمين»، وكالوقف على «مالك» من قوله «مالك يوم الدين». فكل هذا لا يتم منه كلام ولا يفهم منه معنى، لأنه لا يعلم إلى أى شىء أضيف.

فالوقف عليه قبيح لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة، كأن انقطع النفس، أو عطس أو غلبه النوم أو عرض له شىء من الأعذار التى لا يمكن بها أن يصل إلى ما بعده، أو كان الوقف لتعليم وامتحان فحينئذ يجوز له الوقف على أى كلمة كانت وإن لم يتم المعنى، لكن لابد أن يبتدئ من الكلمة التى قبلها - أى قبل الموقوف عليها - أو بها على حسب ما يقتضيه المعنى[2].

ولما كان المقصود من الوقف تبين معانى كتاب الله، وفصل المعانى من بعضها، كان تعليم الوقف واجبًا، إذ بذلك تحسن التلاوة وينجلى الفهم والدراية، ويتضح منهاج الهداية.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٥.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ٢٢٩/١، ينظر: نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٦.

وإليك بعض الأمثلة للوقوف القبيحة التى لا يجوز الوقف عندها، فلا يوقف على المضاف دون المضاف إليه نحو (بسم) من (بسم الله) و(ذكر) من قوله (ذكر رحمة ربك).

ولا يوقف على الموصوف دون صفته، نحو ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا يوقف على الرافع دون المرفوع، نحو الوقف على ﴿أُولَئِكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤﴾ [البقرة].

ولا يوقف على الناصب دون المنصوب، نحو الوقف على ﴿اهْدِنَا﴾ من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا يصح الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، نحو الوقف على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ... ③﴾ [البقرة] فلا يجوز الوقف عليه حتى يقول: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

ولا يجوز الوقف على «إن» وأخواتها دون أسمائهن، ولا على أسمائهن دون أخبارهن، فلا يجوز الوقف على «إن» ولا على «إن الله» حتى بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ⑦⑤﴾ [الحج].

ولا على «ظن» وأخواتها دون منصوباتها، فلا يصح الوقف على قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ... ①①⑧﴾ [التوبة].

ولا يصح الوقف على صاحب الحال دون ذكر الحال، فلا يصح الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ①⑥﴾ [الأنبياء] حتى يقول ﴿لاعِبِينَ﴾.

ولا يصح الوقف على المستثنى منه دون المستثنى، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ②﴾ [العصر] حتى يقول: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... ③﴾ [العصر]، وفى هذا الوقف خلاف لكونه رأس آية، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه.

الوقف الممتنع بلا خلاف:

الوقف على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ ... (٨٠)﴾ [البقرة] والابتداء بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

وكذا الوقف على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ ... (٨٣)﴾ [البقرة]، والابتداء بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ﴾.

ويمتنع الوقف على المفسر دون التفسير، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ ... (٥١)﴾ [البقرة] والابتداء بقوله تعالى ﴿لَيْلَةً﴾.

وكذا ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ ... (٢٥)﴾ [الكهف]، والابتداء بقوله: ﴿سِنِينَ﴾.

وكذا ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ ... (٢٣)﴾ [ص]، والابتداء بقوله: ﴿نَعْجَةً﴾.

وكذلك يمتنع الوقف على الذى والتى والذين، دون صلاتهن، فلا يصح الوقف على ﴿الَّذِي﴾ والابتداء بـ ﴿يُوَسْوِسُ ... (٥)﴾ [الناس].

ولا على ﴿الَّتِي﴾ والابتداء بـ ﴿أَحْصَنَتْ ... (١٢)﴾ [التحريم].

ولا على ﴿الَّذِينَ﴾ والابتداء بـ ﴿يُؤْمِنُونَ ... (٣)﴾ [البقرة].

وكذلك لا يجوز الوقف على الفعل دون مصدره، أو الوقف على قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ ... (١٦٤)﴾ [النساء] والابتداء بقوله: ﴿تَكْلِيمًا﴾.

ومنه الوقف على قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا ... (٥٦)﴾ [الأحزاب] والابتداء بقوله: ﴿تَسْلِيمًا﴾، كذلك لا يصح الوقف على حروف الاستفهام وأسمائها دون ما استفهم بها عنه، نحو «ما» من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ ... (٨٣)﴾ [طه]، ونحو «ما» من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)﴾ [الشعراء].

وكيف من قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا ... (٤١)﴾ [النساء]، وعلى «أين» من قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦)﴾ [التكوير]، والابتداء بما يعدهن.

وكذا لا يصح الوقف على همزة الاستفهام نحو ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاس ... (٩٩)﴾ [يونس] والابتداء بما بعده.

وكذا لا يصح الوقف على أدوات الشرط دون المشروط، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا ... (١١٠)﴾ [النساء]، والابتداء ﴿يَعْمَلْ سُوءًا﴾.

وكذا لا يصح الوقف على جملة الشرط دون الجزاء نحو الوقف على ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾، من قوله: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ... (١٩٧)﴾ [البقرة].

وكذا لا يصح الوقف على الأمر دون جوابه، نحو قوله تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ... (١٦)﴾ [الكهف] دون ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾.

واعلم أن الوقف قبل تمام الكلام ليس إلا ترك ما استحب، وأنه الذى يحسن فى القراءة، ولا يريدون بذلك أنه حرام، إلا أن يقصد بذلك تحريف القرآن وخلاف المعنى الذى أراده الله تعالى: فإذا قصد ذلك - والعياذ بالله - فإنه يكفر، ويجب ردعه على حسب ما تقتضيه الشريعة المطهرة[1].

النوع الثانى: ما يوهم الوقف عليه أو الابتداء، وصفا لا يليق بذاته تعالى، أو يفهم معنى غير ما أراده الله تعالى، وذلك:

كالوقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي ... (٢٦)﴾ [البقرة]، أو على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي ... (٥٢)﴾ [يوسف]، وكذلك الوقف على قوله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ... (٢٥٨)﴾ [البقرة]، أو على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ [البقرة]، لأن ذلك يفسد المعنى، يفصل ذلك مما بعده، من قوله: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلاً ... (٢٦)﴾ [البقرة].

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٨.

فمن انقطع نفسه على شىء من ذلك، وجب عليه أن يرجع إلى ما قبله، ويصل الكلام بعضه ببعض، فإن لم يفعل، أثم، وكان من الخطأ العظيم، الذى لو تعمده متعمد لخرج بذلك عن دين الإسلام، والسبب فى ذلك: أنه أفرد من القرآن ما هو متعلق بما قبله أو بما بعده، وكون إفراده ذلك افتراء على الله وجهلا به(1).

ومن هذا النوع فى القبح الوقف على قوله تعالى: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا ... (١١٦)﴾ [البقرة] والابتداء بقوله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، وكذا الوقف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ... (١٨١)﴾ [آل عمران] والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾.

وكذا الوقف على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا ... (١٧)﴾ [المائدة] والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

ومن ذلك فى القبح، الوقف على الأسماء التى تبين نعوتها حقائقها، كالوقف على قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤)﴾ [الماعون]، لأن المصلين، اسم ممدوح محمود، لا يليق به «ويل» وإنما خرج من جملة الممدوحين بنعته المتصل به، وهو قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥)﴾.

وأقبح من هذا الوقف على الحرف المنفى الذى يأتى بعده حرف الإيجاب، نحو قوله ﴿لا إله إلا الله﴾، فالوقف قبل حرف الإيجاب يقتضى نفى الألوهية وهو محال، وكالوقف قبل الإيجاب فى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... (٧٣)﴾ [المائدة] فلو وقف قبل حرف الإيجاب لزمه نفى الألوهية أيضًا، قال الدانى: لو وقف واقف قبل حرف الإيجاب من غير عارض لكان ذنبًا عظيما(2).

ومنه الوقف على ما قبل الإيجاب فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)﴾ [الإسراء] لأن الوقف يقتضى النفى.

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٨.

(٢) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٦٩.

ومنه الوقف قبل الإيجاب على قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنس ... (٥٦)﴾ [الذاريات]، فإنه يقتضى نفى خلق الجن والإنس، وهو محال.

ومن القبيح أيضًا الوقف على الكلام المنفصل الخارج عن حكم ما وصل به، كأن وقف على قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ ... (١١)﴾ [النساء]، فإن المعنى يفسد بهذا الوقف، لأنه يفهم منه أن البنت مشتركة في النصف مع الأبوين، وليس الأمر كذلك.

وكذا الوقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى ... (٣٦)﴾ [الأنعام]، إذ الوقف يفيد أن الموتى تستجيب مع الذين يسمعون، بل هم مستأنفون، وشبه هذا مما هو خارج عن حكم الأول من جهة المعنى، لأنه متى قطع عليه دون بيان حقيقته وتوضيح مراده، لم يكن شىء أقبح منه، لأنه سوى فى الاستجابة بين الذين يسمعون والموتى.

وقف التعسف ووقف المراقبة

التعسف فى اللغة: السير بغير هداية، والأخذ على غير الطريق[1]، ومن المعنى المعجمى يمكننا أن نستنتج المعنى الاصطلاحى، فنقول إنه فى الاصطلاح: تكلف القراء الوقف، دون تحرى المعنى الأتم والأدل على القراءة.

والمراقبة: مفاعلة، وسميت بذلك لأن كلا منهما يراقب الآخر[2].

وفى الاصطلاح: تعانق الوقفان، بأن يجتمعا فى محل واحد، فلا يصح للقارئ أن يقف على كل منهما، بل إذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر لئلا يختل المعنى.

أولا: وقف التعسف:

قال ابن الجزرى فى وقف التعسف:

«ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتأوله بعض أهل الأهواء مما يقتضى وقفًا أو ابتداء، ينبغى أن يتعمد الوقف عليه، بل ينبغى تحرى المعنى الأتم، والوقف الأوجه»[3]. فمن ذلك الوقف على ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْ﴾ والابتداء «هُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾» [البقرة] على أنها جملة من مبتدأ وخبر.

ومنه الوقف على قوله: ﴿وَارْحَمْنَا أَنتَ﴾، والابتداء ﴿مَوْلانَا فَانصُرْنَا ... ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة] على معنى النداء.

ومنه أيضًا، تعسف بعضهم إذا وقف على ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ﴾ والابتداء ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الإنسان]، ويبقى «يشاء» بغير فاعل.

ومنه الوقف على ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ثم يبتدأ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ [التكاثر]، فإن ذلك وما أشبهه تعنت وتعسف لا فائدة فيه، فينبغى تجنبه لأنه محض تقليد، وعلم

(١) لسان العرب، ع س ف.

(٢) لسان العرب، ر ق ب.

(٣) النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٣١.

العقل لا يعمل به إلا إذا وافق النقل، فعليك بمراعاة ما نص عليه أئمة هذا الشأن فهو أولى من اتباع أهل الأهواء، والله الموفق للصواب[1].

ثانيا: وقف المراقبة:

قال ابن الجزرى: «وقد يجيزون الوقف على حرف، ويجيز آخرون الوقف على آخر، ويكون بين الوقفين مراقبة على التضاد، فإذا وقف على أحدهما، امتنع الوقف على الآخر.

مثاله: وخير مثال على ذلك، ما جاء من جواز الوقف على (لا ريب) فمن أجاز هذا الوقف، فإنه لا يجيزه على (فيه)، والذى يقف على (فيه) لا يقف ولا يجيز الوقف على (لا ريب)»[2].

وكذلك من يقف على قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ... (٢٦)﴾ [المائدة]، لا يقف على قوله تعالى: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾، وكذلك من وقف على ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ لا يقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الوقف على «بلى - نعم - كلا»:

أولا: بلى:

بلى: جواب استفهام فيه حرف نفى، كقولك: ألم تفعل كذا؟ فيقول: بلى، وهى جواب استفهام معقود بالجحد، وقيل: يكون جوابا للكلام الذى فيه الجحد، كقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ... (١٧٢)﴾ [الأعراف].

وإنما صارت «بلى» تتصل بالجحد، لأنها رجوع عن الجحد إلى التحقيق فهو حرف بمنزلة «بل»، و«بل» سبيلها أن تأتى بعد الجحد، كقولك: ما قام أخوك بل أبوك.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧١.

(٢) ينظر: النشر فى القراءات العشر، ١/ ٢٣٧، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧٢.

وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟ فقال له: «بلى»، أراد بل أقوم، وإنما زاد الألف على «بل» ليحسن السكوت عليها، لأنه لو قال: «بل» ربما توقع منه كلاما آخر بعد «بل» فزادوا الألف ليزول عن المخاطب هذا التوهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ... (٨٠)﴾ [البقرة] ثم قال: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً ... (٨١)﴾ [البقرة]، والمعنى، بل من كسب. وقال المبرد: «(بل) حكمها الاستدراك أينما وقعت في جحد أو إيجاب، و(بلى) يكون إيجابا للنفي لا غير»[1].

و(بلى) على ثلاثة أقسام، قسم يختار فيه الوقف، وقسم يمتنع فيه الوقف، وقسم مختلف فيه، أما ما يختار فيه الوقف، فعشرة مواضع منها ثلاثة في البقرة:

١- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى ... (٨١)﴾.

٢- قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى ... (١١٢)﴾.

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى ... (٢٦٠)﴾.

٤- وموضع في سورة آل عمران، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ ... (٧٦)﴾.

٥- موضع في الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ... (١٧٢)﴾.

٦- موضع في النحل، وهو قوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى ... (٢٨)﴾.

٧- وموضع في يس، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى ... (٨١)﴾.

٨- موضع في سورة غافر، وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى﴾.

---

(١) ينظر لسان العرب: ب ل ى.

٩- موضع فى سورة الأحقاف، وهو قوله تعالى: ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَى ... (٣٣)﴾.

١٠- موضع فى سورة الانشقاق، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَى ... (١٥)﴾(١).

أما ما يمتنع الوقف عليه على «بلى» فيأتى فى سبعة مواضع:

١- موضع فى سورة الأنعام، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ... (٣٠)﴾.

٢- موضع فى سورة النحل، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ... (٣٨)﴾.

٣- موضع فى سورة سبأ، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

٤- موضع فى سورة الزمر، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ... (٥٩)﴾.

٥- موضع فى سورة الأحقاف، فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾.

٦- موضع فى سورة التغابن، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ... (٧)﴾.

٧- موضع فى سورة القيامة، فى قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)﴾.

أما ما اختلف فيه الوقف على «بلى» فيأتى فى خمسة مواضع:

١- موضع فى سورة آل عمران، فى قوله تعالى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا ... (١٢٥)﴾.

٢- موضع فى سورة الزمر، فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)﴾.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧٤.

٣- موضع فى سورة الزخرف، فى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)﴾.

٤- موضع فى سورة الحديد، فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ ... (١٤)﴾.

٥- موضع فى سورة الملك، فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ... (٩)﴾(١).

ثانيا: نعم:

قال ابن منظور: «نعم»، كقولك: «بلى» إلا أن «نعم» فى جواب الواجب، وهى موقوفة الآخر، أى ساكنة الميم - لأنها حرف جاء لمعنى.

قال الأزهرى: إنما يجاب به الاستفهام الذى لا جحد فيه، ويكون تصديقًا، ويكون عدة، وربما ناقض «بلى» إذا قال لك إنسان: ليس لك عندى وديعة، فتقول نعم، تصديق له، فإذا أردت تكذيبه قلت «بلى»(٢).

والواقع منه فى القرآن أربعة مواضع، يوقف على واحد منها، والثلاثة الباقية لا يوقف عليها، ولا يبتدأ إلا بما قبلها.

* فأما ما يوقف عليه:

١- الموضع الأول فى سورة الأعراف فى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ... (٤٤)﴾.

* وأما الثلاثة التى لا يوقف عليها، فهى:

٢- موضع فى سورة الأعراف فى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)﴾.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧٤.

(٢) لسان العرب، ن ع م.

٣- وموضع فى سورة الشعراء، فى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)﴾.

٤- وموضع فى سورة الصافات، فى قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)﴾[1].

ثالثا: كلا:

قال الكسائى «لا» تنفى «حسب»، و«كلا» تنفى شيئا وتوجب شيئا غيره، من ذلك قولك للرجل، قال لك: أكلت شيئًا، فقلت «لا»، ويقول الآخر أكلت تمرًا، فتقول «كلا» أردت أكلت عسلا لا تمرا، وتأتى «كلا» بمعنى قولهم «حقا»[2].

وقال ابن الأنبارى فى تفسير «كلا»، هى عند القراء تكون صلة لا يوقف عليها، وتكون حرف رد بمنزلة نعم ولا، فى الاكتفاء، فإن جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها، كقولك: «كلا ورب الكعبة» لا تقف على «كلا»، لأنها بمنزلة - إى والله - قال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢)﴾ [المدثر]، الوقف على «كلا» قبيح؛ لأنها صلة لليمين.

وقال الأخفش: معنى «كلا» الردع والزجر، قال الأزهرى: وهذا مذهب سيبويه، وإليه ذهب الزجاج فى جميع القرآن.

وقال أبو بكر الأنبارى: قال المفسرون معنى «كلا» حقا[3].

قال مكى: وهى أربعة أقسام:

الأول: ما يحسن الوقوف عليها على معنى الردع، وهو الاختيار، ويجوز الابتداء بها على معنى حقا، وذلك أحد عشر موضعا[4]:

١- فى سورة مريم فى قوله تعالى: ﴿عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا ... (٧٩)﴾.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧٥.

(٢) لسان العرب كلا، الإنصاف فى مسائل الخلاف، ١/ ٤٠٣.

(٣) لسان العرب كلا، وانظر: الإنصاف فى مسائل الخلاف، ١/ ٤٠٢.

(٤) الاتقان فى علوم القرآن، السيوطى، ١/ ١١٦، طبعة مصطفى الحلبى، القاهرة.

٢- فى سورة مريم فى قوله تعالى: ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلاَّ ... (٨٢)﴾.

٣- فى سورة «المؤمنون» فى قوله تعالى: ﴿فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ ... (١٠٠)﴾.

٤- فى سورة «سبأ» فى قوله تعالى: ﴿شُرَكَاءَ كَلاَّ ... (٢٧)﴾.

٥- فى سورة «المعارج» فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ ... (١٥)﴾.

٦- فى سورة «المعارج» فى قوله تعالى: ﴿جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلاَّ ... (٣٩)﴾.

٧- فى سورة «المدثر» فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ ... (١٦)﴾.

٨- فى سورة «المدثر» فى قوله تعالى: ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلاَّ ... (٥٣)﴾.

٩- فى سورة «المطففين» فى قوله تعالى: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (١٣) كَلاَّ ... (١٤)﴾.

١٠- فى سورة «الفجر» فى قوله تعالى: ﴿أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ ...(١٧)﴾.

١١- فى سورة «الهمزة» فى قوله تعالى: ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ ... (٤)﴾.

الثاني: ما لا يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها، بل توصل بما قبلها وما بعدها وهو موضعان:

١- فى سورة «النبأ» فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥)﴾.

٢- فى سورة «التكاثر» فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)﴾.

الثالث: ما يحسن الوقف عليها، ولا يجوز الابتداء بها، بل توصل بما قبلها وهو موضعان:

١- فى سورة «الشعراء» فى قوله تعالى: ﴿أَن يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلاَّ ... (١٥)﴾.

٢- فى سورة «الشعراء» فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلاَّ ... (٦٢)﴾.

الرابع: ما لا يحسن الوقف عليها، ولكن يبتدأ بها، وهو الثماني عشرة الباقية وإليك هذه المواضع:

١- فى سورة المدثر، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢)﴾.

٢- فى سورة المدثر، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤)﴾.

٣- فى سورة القيامة، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لا وَزَرَ (١١)﴾.

٤- فى سورة القيامة، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)﴾.

٥- فى سورة القيامة، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦)﴾.

٦- فى سورة النبأ، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤)﴾.

٧- فى سورة عبس، فى قوله تعالى: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)﴾.

٨- فى سورة عبس، فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ... (٢٣)﴾.

٩- فى سورة الانفطار، فى قوله تعالى: ﴿مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ... (٩)﴾.

١٠- فى سورة المطففين، فى قوله تعالى: ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلاَّ إِنَّ ... (٧)﴾.

١١- فى سورة المطففين، فى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلاَّ إِنَّهُمْ ... (١٥)﴾.

١٢- فى سورة المطففين، فى قوله تعالى: ﴿تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ ... (١٨)﴾.

١٣- فى سورة الفجر، فى قوله تعالى: ﴿حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ ... (٢١)﴾.

١٤- فى سورة العلق، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ ... (٦)﴾.

١٥- فى سورة العلق، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ... (١٥)﴾.

١٦- فى سورة العلق، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ ... (١٩)﴾.

١٧- فى سورة التكاثر، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣)﴾.

١٨- فى سورة التكاثر، فى قوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ ... (٥)﴾[1].

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى، ١/١١٦، نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٧٦.

الابتداء بهمزة الوصل

الهمزة نوعان: همزة قطع، وهى التى تثبت وصلا وخطا، وابتداء، إلا ما ورد عن بعض القراء، «كورش» فإنه ينقل حركة همزة القطع إلى الساكن قبلها، ما لم يكن الساكن قبلها حرف مد أو لين، فيحرك ذلك الساكن بحركتها ويسقط الهمزة من اللفظ.

بشرط أن يكون الساكن آخر كلمة ولو تنوينا، والهمزة أول كلمة بعدها مثل «استبرق» و«كفوا أحد».

وهمزة الوصل، هى التى تثبت فى ابتداء الكلام وتسقط درجة. واعلم أن همزة الوصل إما أن تكون فى اسم أو فعل.

فإن كانت فى «اسم» فلا يخلو إما أن يكون معرفا بالألف واللام وإما أن يكون منكرا.

فإن كان معرفا بالألف واللام نحو قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و ﴿الْعَالَمِينَ﴾، فالابتداء يكون بفتح الهمزة.

وإن لم يكن معرفًا بالألف واللام، فإنه يقع فى سبعة ألفاظ فى القرآن الكريم، فإن ابتدأت بها فى هذه كلها، فابدأ بكسر الهمزة.

وهذه المواضع هى:

١- «ابن» فى قوله تعالى: ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ... (٨٧)﴾ [البقرة].

٢- «ابنة» فى قوله تعالى: ﴿ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحريم]، وكذا قوله تعالى: ﴿ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ... (٢٧)﴾ [القصص].

٣- امرئ، امرؤ - امرأ سوء، فى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم ... (١١)﴾ [النور]، ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ ... (١٧٦)﴾ [النساء]، ﴿امْرَأَ سَوْءٍ ... (٢٨)﴾ [مريم].

٤- «اثنين» من قوله تعالى: ﴿لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... (٥١)﴾ [النحل].

٥- «امرأة» من قوله تعالى: ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ ... ﴿٣٥﴾﴾ [آل عمران]، وكذا قوله تعالى: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ... ﴿١٠﴾﴾ [التحريم]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ...﴿٢٣﴾﴾ [القصص].

٦- «اسم» نحو قوله تعالى: ﴿اسْمُ رَبِّكَ ... ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن]، قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف][1].

٧- «اثنتين»، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ... ﴿١٧٦﴾﴾ [النساء].

* أما إذا وقعت همزة الوصل فى فعل، فانظر إلى ثالثه، فإن كان مكسوراً أو مفتوحًا، فابدأ منه بكسر الهمزة، نحو اضرب، ارجع، اذهب، انطلق، استخرج.

* وإن كان ثالثه مضمومًا ضما لازما[2]، فابدأ فيه بضم الهمزة، نحو: اتل، انظر، اضطر، اؤتمن، استهزئ، اجتثت، فإن كان ثالثه مضموما ضما عارضا، فابدأ فيه بكسر الهمزة نظرًا لأصله، نحو: امشوا، اقضوا، ابنوا. فإن أصله: امشيوا واقضيوا، وابنيوا بكسر عين الفعل كاضربوا؛ لأنك إذا أمرت الواحد والاثنين، قلت: امش وامشيا، واقضِ واقضيا، وابن وابنيا، فتجد عين الفعل مكسورة، لذلك كانت الضمة عارضة.

* ويرد سؤال ها هنا، وهو: إذا كان ثالث الفعل مكسور كسرت الهمزة، وإذا كان ثالثه مضمومًا، ضمت الهمزة فلماذا كسرت الهمزة فى ثالث الفعل المفتوح ولم تفتح؟.

* والجواب: أنها لو فتحت فيما كان ثالثه مفتوحًا، لالتبس المضارع بالأمر، لذلك كسرت.

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٨١.

(٢) الضم اللازم، أى الضم الأصلى.

* وهمزة الوصل تكون فى الماضى الخماسى والسداسى وفى أمرهما، نحو انطلق، واستخرج، وفى أمر الثلاثى، كاضرب، واعلم(١).

* وهمزة القطع تكون فى المضارع وفى ماضى الثلاثى - كأخذ، وفى ماضى الرباعى وأمره ومصدره - كأرسل، وإرسال، وأرسِل(٢).

* وتحذف همزة الوصل المكسورة، إذا دخلت عليها همزة الاستفهام وتبقى همزة الاستفهام مفتوحة، وذلك فى سبعة مواضع.

* خمسة منها متفق على قطعها، واثنان مختلف فيهما، أما الخمسة المتفق عليها، فهى فى قوله تعالى:

١- ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ ... (٨٠)﴾ [البقرة].

٢- ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ ... (٧٨)﴾ [مريم].

٣- ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... (٨)﴾ [سبأ].

٤- ﴿أَسْتَكْبَرْتَ ... (٧٥)﴾ [ص].

٥- ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ... (٦)﴾ [المنافقون].

* وأما المختلف فيهما، فقوله تعالى:

١- ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ ... (١٥٣)﴾ [الصافات]، وصلها أبو جعفر وورش وقطعها الجميع.

٢- ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ... (٦٣)﴾ [ص]، وصلها أبو عمرو وحمزة والكسائى وقطعها الباقون.

* أما همزة الوصل المفتوحة الواقعة بين همزة الاستفهام ولام التعريف، فلم تحذف، لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر، ولك فيها وجهان:

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٨٢.

(٢) ينظر: شرح التصريح على التوضيح، ٢/ ٣٦٤.

١- إبدالها ألفا، مع مدها مدا طويلا لالتقاء الساكنين، وهو الوجه القوى المفضل.

٢- تسهيلها بين الهمزة والألف: وجاءت كذلك فى ست مواضع[1]:

- ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾ فى موضعى الأنعام ١٤٣، ١٤٤.
- ﴿آلآنَ﴾ فى موضعى يونس ٥١، ٩١.
- ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ بيونس ٥٩.
- ﴿آللَّهُ خَيْرٌ﴾ بالنمل ٥٩.

الوقف على المقطوع والموصول

* الذى يتأكد معرفته من ذلك واعتنى به أكثر العلماء ستة عشر نوعًا:

النوع الأول: أن المفتوحة الهمزة الخفيفة النون مع «لا» النافية، وهى فى الرسم على ثلاثة أقسام:

(أ) مقطوع - بمعنى تظهر فيها النون كتابة - بلا خلاف، وحكمها القطع أى قطع «أن» عن «لا» ويوقف على النون وقفا اختياريا عند الامتحان أو التعلم، وهى فى عشرة مواضع:

١- فى الأعراف فى قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ... (١٠٥)﴾.

٢- فى الأعراف فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ... (١٦٩)﴾.

٣- فى التوبة فى قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ... (١١٨)﴾.

٤- فى هود فى قوله تعالى: ﴿وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)﴾.

٥- فى هود فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ... (٢٦)﴾.

٦- فى الحج فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ... (٢٦)﴾.

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٨٣.

٧- فى يس فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ... (٦٠)﴾.

٨- فى سورة الدخان فى قوله تعالى: ﴿وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ... (١٩)﴾.

٩- فى الممتحنة فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا ... (١٢)﴾.

١٠- فى سورة القلم فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ ... (٢٤)﴾.

(ب) موضع فيه خلاف فى سورة «الأنبياء» فى قوله تعالى: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ ... (٨٧)﴾، كتبت فى بعض المصاحف مقطوعة، وفى بعضها الآخر موصولة، والمختار فيها القطع، والأشهر الوصل.

(جـ) موصولة باتفاق، وهو ما عدا الأحد عشر موضعًا المتقدمة، وهذه توصل بما بعدها، نحو قوله تعالى:

١- ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ... (٢)﴾ [هود].

٢- ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨)﴾ [النجم].

٣- ﴿أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ ... (٣١)﴾ [النمل].

٤- ﴿أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ... (٨٩)﴾ [طه].

* أما إن المكسورة الهمزة فهى مدغمة مع لام «لا» النافية، فهى موصولة باتفاق حيثما وقعت نحو[1]: إلا تفعلوه، إلا تنصروه، وإلا تغفر لى.

النوع الثانى: فى «أن» مع «لن» الناصبة، وهى فيه على قسمين:

١- موصولة باتفاق، وهو فى موضعين:

أ - ﴿أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨)﴾ [الكهف].

ب- ﴿أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ (٣)﴾ [القيامة].

٢- مقطوعة بلا خلاف، وهو ما عدا ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ ... (١٢)﴾ [الفتح].

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٩١.

أ - ﴿أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ ... ۝٥﴾ [الجن].

ب- ﴿أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ [البلد].

٣- مختلف فيها بين الوصل والقطع، فى قوله تعالى: ﴿أَن لَّن تُحْصُوهُ ... ۝٢٠﴾ [المزمل]، قال بعضهم موصولة، وقال آخرون مفصولة، واختار ابن الجزرى الفصل لأنه الأصل(١).

النوع الثالث: فى «إن» الشرطية مع «لم»، وهى فيه على قسمين:

١- موصولة باتفاق، وذلك فى موضع واحد، فى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ... ۝١٤﴾ [هود].

٢- مقطوع بلا خلاف، وهو ما عدا ذلك، فى مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ... ۝٥٠﴾ [القصص].

- ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ... ۝٢٤﴾ [البقرة].

- ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا ... ۝٧٣﴾ [المائدة].

وأما «أن» مفتوحة الهمزة مع «لم» فمقطوع بلا خلاف أيضًا مثل قوله تعالى: ﴿أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۝٧﴾ [البلد].

ومثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ ... ۝١٣١﴾ [الأنعام](٢).

النوع الرابع: فى «إن» الشرطية مع «ما» وهى فيه على قسمين:

١- مقطوعة فى موضع واحد فى قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ... ۝٤٠﴾ [الرعد].

٢- موصولة فيما عدا ذلك، فتدغم النون فى الميم لفظًا وخطا نحو قوله تعالى:

- ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ... ۝٤٦﴾ [يونس].

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ٢/ ٣٩٢.

(٢) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٩٢.

- ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ... ﴿٧٧﴾﴾ [غافر].

- ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ ... ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال].

- ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ ... ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال].

- ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ ... ﴿٢٦﴾﴾ [مريم].

- ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ... ﴿٤﴾﴾ [محمد].

* وأما «أن» المفتوحة الهمزة مع «ما» فموصولة حيث جاءت بلا خلاف نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ... ﴿١٤٣﴾﴾ [الأنعام] و(١٤٤).

﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل]. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل].

النوع الخامس: فى «أم» مع «من» الاستفهامية، وهى على قسمين:

١- مقطوع بلا خلاف، وذلك فى أربعة مواضع، فى قوله تعالى:

- ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴿١٠٩﴾﴾ [النساء].

- ﴿أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ... ﴿١٠٩﴾﴾ التوبة].

- ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَا ... ﴿١١﴾﴾ [الصافات].

- ﴿أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا ... ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت].

٢- موصول، وهو ما عدا ذلك، فتدغم الميم الأولى فى الثانية لفظا وخطا، وعلة الإدغام موجودة، إذ الأول ساكن والثانى متحرك، وهما مثلان متفقان فى المخرج والصفات، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي ... ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴿٦٠﴾﴾ [النمل].

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ... ﴿٦٢﴾﴾ [النمل][1].

---

(١) ينظر نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٩٣.

النوع السادس: فى «من» الجارة مع «ما» الموصولة[1]، وهى على ثلاثة أقسام:

أ - مقطوعة باتفاق، وذلك فى موضعين: فى قوله تعالى:

١- ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ... (٢٥)﴾ [النساء].

٢- ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ... (٢٨)﴾ [الروم].

٣- ﴿مِّن مَّالِ اللَّهِ ...(٣٣)﴾ [النور].

٤- ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨)﴾ [السجدة].

ب- موضع فيه خلاف، كتب فى بعض المصاحف مقطوعًا، وفى بعضها موصولا، وهو فى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ...(١٠)﴾ [المنافقين]، ووجدتها مقطوعة فى مصاحف مصر والشام والحجاز.

جـ- موصولة بلا خلاف، فيما عدا ما تقدم، وذلك فى مثل قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣)﴾ [البقرة]، ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ...(٢٣)﴾ [البقرة].

* وإذا دخلت «مِن» الجارة على «مَن» فإن ذلك متصل بلا خلاف نحو: ممن افترى، وممن كذب.

* وإذا دخلت «مِن» على «ما» فموصولة باتفاق أيضًا، نحو «مم خلق».

النوع السابع: فى «عن» مع «ما» الموصولة، وهى فيه على قسمين:

١- مقطوعة، وهى فى موضع واحد بالأعراف[2]، وهو قوله تعالى: ﴿عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾.

٢- موصولة، وهى فيما عدا ذلك نحو قوله تعالى: ﴿عما يشركون﴾، وقوله: ﴿عما يعلمون﴾، وقوله: ﴿عما يقولون﴾.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر، ١/ ٤٦٥.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ٢/ ١٤٩.

* أما «عن» مع «من» الموصولة، فهى مقطوعة بلا خلاف فى موضعين لا ثالث لهما: وهما فى قوله تعالى:

١- ﴿عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور].

٢- ﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ ... ﴿٢٩﴾﴾ [النجم].

النوع الثامن: فى «إنّ» مكسورة الهمزة مشددة النون، مع «ما» الموصولة، وهى على ثلاثة أقسام:

١- مقطوعة بلا خلاف فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ ...﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام].

٢- مختلف فيها بين القطع والوصل، فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [النحل]، والوصل فيها أشهر وأقوى.

٣- موصولة بلا خلاف، وهو فيما عدا ذلك، فى قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾﴾ الذاريات، وفى المرسلات (الآية ٧).

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ... ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ...﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

النوع التاسع: فى «أن» المفتوحة الهمزة المشددة النون مع «ما» الموصولة، وهى على ثلاثة أقسام:

١- مقطوعة بلا خلاف، وذلك فى مواضع ثلاثة، فى قوله تعالى:

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ... ﴿٦٢﴾﴾ [الحج].

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ...﴿٣٠﴾﴾ [لقمان].

﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾﴾ [الهمزة].

٢- مختلف فيها بين الوصل والقطع، وهو قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ ...﴿٤١﴾﴾ [الأنفال]، والوصل فيه أقوى وأشهر.

٣- موصولة باتفاق، وهو فيما عدا ذلك، وهى موصولة فى قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة]، والتغابن (الآية ١٢).

النوع العاشر: فى «أين» مع «ما» الموصولة، وهى على أربعة أقسام:

١- موصولة باتفاق، وهى فى موضعين، فى قوله تعالى:

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ... ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة].

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ ... ﴿٧٦﴾﴾ [النحل].

٢- موضعان يستوى فيهما الوصل والفصل، وهما فى قوله تعالى:

﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴿٩٣﴾﴾ [الشعراء].

﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب].

* وهذان الموضعان، من أراد فيهما الوصل، وصل، ومن أراد القطع، قطع لأن «أين» وجدت فى بعض المصاحف مقطوعة عن «ما» وفى بعضها موصولة.

٣- موضع يترجح فيه القطع، وهو فى سورة النساء فى قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ... ﴿٧٨﴾﴾، والوصل قليل والقطع كثير.

٤- مقطوعة باتفاق، وهو فى ما عدا ما سبق من هذه الخمسة[1]، نحو قوله تعالى:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا...﴿١٤٨﴾﴾ [البقرة].

﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ...﴿٣٧﴾﴾ [الأعراف].

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [غافر].

﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

﴿أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم ... ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

---

(١) ينظر: النشر فى القراءات العشر، ٢/ ١٤٨، نهاية القول المفيد، ص١٩٣.

النوع الحادى عشر: وهو فى «كل» مع «ما»، وهى على ثلاثة أقسام:

١- مقطوعة بلا خلاف، فى موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ... (٣٤)﴾ [إبراهيم].

٢- مختلف فيها بين الوصل والقطع، لأنها كتبت فى بعض المصاحف مقطوعة عن «ما»، وفى بعضها موصولة، وهى فى أربعة مواضع: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ ...(٩١)﴾ [النساء]، ووجدتها مقطوعة فى مصاحف مصر والشام والحجاز.

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ... (٣٨)﴾ [الأعراف]، ووجدتها موصولة فى مصاحف مصر والشام والحجاز.

﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا ... (٤٤)﴾ [المؤمنين]، وكتبت مقطوعة فى مصاحف مصر والشام والحجاز.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا... (٨)﴾ [الملك]، ووجدتها مقطوعة فى مصاحف مصر والشام والحجاز، قال ابن الجزرى، والمشهور الوصل[1].

٣- موصولة بالإجماع، وهى فيما عدا ذلك، نحو قوله تعالى:

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا...(٢٥)﴾ [البقرة].

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ... (٨٧)﴾ [البقرة].

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ... (٦٤)﴾ [المائدة].

النوع الثانى عشر: فى «بئس» مع «ما» وحين تأتى على ذلك، تأتى على ثلاثة أقسام:

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٤٩، نهاية القول المفيد، ص١٩٥.

١- مقطوعة بلا خلاف، وذلك فى خمسة مواضع اقترنت فيها «بئس» باللام، وواحد قرنت فيه بالفاء، وهذه المواضع هى فى قوله تعالى:

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ...(١٠٢)﴾ [البقرة].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)﴾ [المائدة].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)﴾ [المائدة].

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة].

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ...(٨٠)﴾ [المائدة].

﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)﴾ [آل عمران]، وهو الذى قرنت فيه «بئس» بالفاء.

٢- مختلف فيها بين الوصل والقطع، وهو فى قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ...(٩٣)﴾ [البقرة]، وجد فى بعض المصاحف مقطوعا، وفى بعضها الآخر موصولا.

٣- موصولة بالإجماع، وهو فى موضعين[1]، فى قوله تعالى:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ...(٩٠)﴾ [البقرة].

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي...(١٥٠)﴾ [الأعراف].

النوع الثالث عشر: فى «كى» مع «لا»، وهى تأتى على قسمين:

١- موصولة باتفاق، أى اتفقت المصاحف على وصل «كى» الناصبة بـ «لا» النافية، وذلك فى أربعة مواضع[2]، فى قوله تعالى:

﴿لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ...(١٥٣)﴾ [آل عمران].

﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...(٥)﴾ [الحج].

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٤٩، نهاية القول المفيد، ص١٩٥.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٥٥، نهاية القول المفيد، ص١٩٦.

﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ...(٥٠)﴾ [الأحزاب].

﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ... (٢٣)﴾ [الحديد].

٢- مقطوع باتفاق، وهو ما عدا هذه المواضع، نحو قوله تعالى:

﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا...(٧٠)﴾ [النحل].

﴿لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ...(٣٧)﴾ [الأحزاب].

﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً...(٧)﴾ [الحشر].

النوع الرابع عشر: فى لفظ «فى» مع «ما»، وهى تأتى على ثلاثة أقسام:

١- مقطوع بلا خلاف، وهو موضع واحد فى سورة الشعراء، فى قوله تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦)﴾.

٢- ما يستوى فيه القطع والوصل، لكن القطع أكثر[1]، وقد ورد فى عشرة مواضع، فى قوله تعالى:

١- ﴿ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ...(٢٤٠)﴾ [البقرة].

٢- ﴿فِي مَا آتَاكُمْ ... (٤٨)﴾ [المائدة].

٣- ﴿فِي مَا آتَاكُمْ...(١٦٥)﴾ [الأنعام].

٤- ﴿ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ ...(١٤٥)﴾ [الأنعام].

٥- ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ...(١٠٢)﴾ [الأنبياء].

٦- ﴿فِي مَا أَفَضْتُمْ ...(١٤)﴾ [النور].

٧- ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ... (٢٨)﴾ [الروم].

٨- ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ...(٣)﴾ [الزمر].

٩- ﴿ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦)﴾ [الزمر].

---

(١) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٤٩، نهاية القول المفيد، ص١٩٦.

١٠- ﴿فِي مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الواقعة].

٣- موصولة باتفاق، وهى فيما عدا الأحد عـشر موضعًا المتقدمة، وذلك فى مثل قوله تعالى:

﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة].

﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ ...﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة].

﴿فِيمَ كُنتُمْ ... ﴿٩٧﴾﴾ [النساء].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات].

النوع الخامس عشر: فى «لام» الجر مع ما بعدها، وهى تأتى على قسمين:

١- مقطوعة بلا خلاف، وذلك فى أربعة مواضع[1]، تتمثل فى قوله تعالى:

- ﴿فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ... ﴿٧٨﴾﴾ [النساء].
- ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ... ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].
- ﴿ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ...﴿٧﴾﴾ [الفرقان].
- ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴿٣٦﴾﴾ [المعارج].

٢- موصولة باتفاق، وهى فيما عدا هذه الأربعة، نحو: وما لأحد، وما للظالمين.

* وليس مـعنى ذلك أن القـارئ يقـف على «مـا» من «مـال» فى المواضع الأربعة، ويبتدئ باللام متصلة بما بعـدها من الأسماء، وكذلك ليس معناه أن يقف القارئ على اللام الجاره، ويبتدئ بالأسـماء المجرورة بعدها، بل المعنى أن الابتداء يكون فى هذه الكلمـات على حـال الاضطرار كمـا كان الوقف عليـها فى حـال الاضطرار، إذ الوقف على الفـصل بين حرف الجـر والمجرور بعـده مما لا يجـيزه أحد[2].

(١) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٤٦.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ٢/١٥٧.

الموضع السادس عشر: فى «يوم» مع «هم» وهى فى هذا الموضع على قسمين:

١- مقطوع باتفاق، وهو فى موضعين:

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ... ⦗١٦⦘﴾ [غافر].

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ⦗١٣⦘﴾ [الذاريات].

* وسبب الفصل فى هذين الموضعين، أن «يوم» ليس بمضاف إلى الكناية «هم» وإنما هو مضاف إلى الجملة أى «يوم فتنتهم» و«يوم بروزهم» فالضمير «هم» فى الموضعين فى محل رفع على الابتداء، وما بعدها الخبر(١).

٢- موصول بلا خلاف، وهما فيما عدا هذين الموضعين(٢) مثل قوله تعالى:

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ⦗٨٣⦘﴾ [الزخرف].

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ⦗٤٢⦘﴾ [المعارج].

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ⦗٤٥⦘﴾ [الطور].

* والسبب أن «يوم» مع «هم» حرف واحد، أى كلمة واحدة؛ لأن «هم» فى موضع جر بإضافة «اليوم» إليه، والجار والمجرور بمنزلة الشىء الواحد.

هذا ما وفقنى الله تعالى إليه، من الوقف فى كتب القراءات، وأدعو الله أن ينفعنى به، وأن ينفع به من قرأ هذا الكتاب، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

---

(١) نهاية القول المفيد، محمد مكى، ص١٩٧.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ٢/ ١٥٥، قال ابن الجزرى: ولا أعلمه ورد - أى القطع - إلا فيما تقدم التنبيه عليه، أى موضعا غافر والذاريات.

مراجع البحث

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوى الشريف.
- أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى، أ.د. عبد الغفار هلال، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م.
- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطى، الطبعة الأولى، ت د. شعبان إسماعيل.
- أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ت الطيان وعلم.
- أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، الطبعة الأولى، دار التأليف، القاهرة.
- أصوات اللغة العربية، أ.د. عبد الغفار هلال، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- أصوات اللغة العربية - دراسة نظرية وتطبيقية، أ.د. جبل، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- التجويد والأصوات، أ.د. نجا، طبعة السعادة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- التذكرة فى القراءات، ابن غلبون، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ت أ.د. عبد الفتاح بحيرى.
- التطور النحوى - برجستراسر، ١٩٢٩م.
- الإتقان فى علوم القرآن، السيوطى، الطبعة الرابعة، مصطفى الحلبى، القاهرة.
- التمهيد فى علم التجويد، ابن الجزرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ت د. على حسين البواب، دار المعارف، الرياض.
- حاشية الخضرى على ابن عقيل، الشيخ محمد الخضرى، الطبعة الأولى.

- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، طبعة دار إحياء الكتب العربية، الحلبى.
- الخصائص، ابن جنى، ت النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى، بيروت.
- دراسة الصوت اللغوى، د. أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- دراسات فى فقه اللغة، د. صبحى الصالح، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، بيروت.
- دروس فى علم أصوات العربية، جان كانتنيو، تعريف د. صالح الفرماوى، نشر الجامعة التونسية.
- دراسات فى اللغة، د. إبراهيم السامرائى، ١٩٦١م، بغداد.
- الرعاية، مكى بن أبى طالب، الطبعة الثانية، ت د. أحمد فرحات.
- سر صناعة الإعراب، ابن جنى، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ت.د. حسن هنداوى.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجى، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، بيروت.
- شرح ابن عقيل، محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشرة، المكتبة التجارية، القاهرة.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- شرح المفصل، ابن يعيش، الطبعة الأولى، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- الصاحبى فى فقه اللغة، ابن فارس، طبعة بيروت، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٤م، ت. السيد أحمد صقر.
- الأصوات اللغوية، د. أنيس، ١٩٦١م، الأنجلو المصرية.
- الأصوات اللغوية فى لهجة صنعاء، بحث أ.د. عبد الغفار هلال فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد السابع.

- الأصوات، د. كمال بشر، ١٩٨٧م، مكتبة الشباب.
- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب د. شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٧م.
- علم الصوتيات، أ.د. ربيع، أ.د. علام، الطبعة الثانية، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- علم اللغة، د. وافى، الطبعة التاسعة، ١٩٤٥م.
- عن علم التجويد القرآنى، أ.د. علام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ت. المخزومى، والسامرائى، ١٩٨٢م.
- الفرق بين الأحرف الخمسة، البطليوسى، الطبعة الأولى، ت أ.د. حمزة النشرتى، مكتبة المتنبى، القاهرة.
- فقه اللغة، د. محمد المبارك، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ترجمة د. رمضان عبد التواب.
- الفلسفة اللغوية، جورجى زيدان، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، مراجعة د. مراد كامل.
- فى علم الأصوات الفيزيقى، أرنست بولجرام، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م، ترجمة د. سعد مصلوح.
- القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار القلم، ١٩٦٦م.
- الكتاب، سيبويه، الطبعة الثانية، ت. هارون، ١٩٧٧، الهيئة المصرية العامة.
- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، ت: نخبة من العلماء.
- اللغة، ج. فندريس، ١٩٥٠م، تعريب الدواخلى والقصاص.

- محاضرات فى الأصوات والتشكيل الصوتى، أ.د. عيد الطيب، كلية الدراسات الإسلامية.
- المدخل إلى علم الأصوات: دراسة مقارنة، د. صلاح الدين صالح، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.
- المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الخانجى.
- المزهر، السيوطى، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، مصطفى الحلبى.
- المفيد فى شرح عمدة المجيد فى النظم والتجويد، المرادى، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ت: على حسين البواب، الأردن.
- مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلى، المطبعة العصرية.
- مقدمة فى أصوات اللغة العربية، أ.د. عبد الفتاح البركاوى، الطبعة الثانية.
- مقاييس اللغة، ابن فارس، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ت: هارون.
- من أسرار اللغة، د. أنيس، ١٩٥١م، الأنجلو المصرية.
- مناهج البحث فى اللغة، د. تمام حسان، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- موسيقى الشعر، د. أنيس، ١٩٦٥م، الأنجلو المصرية.
- النون فى اللغة العربية، دراسة لغوية، د. مصطفى التونى، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية السابعة عشر، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ت. الضياع.
- نهاية القول المفيد، محمد مكى نصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ، مصطفى الحلبى، القاهرة.

المحتويات

الفصل الثالث

صفات الحروف وكيفية خروجها

الفصل الرابع

الجزء الثانى